الكتاب: كتاب الفتوح
المؤلف: أحمد بن أعثم الكوفي
الجزء: ٨
الوفاة: ٣١٤
المجموعة: مصادر سيرة النبي والائمة
تحقيق: علي شيري (ماجستر في التاريخ الإسلامي)
الطبعة: الأولى
سنة الطبع: ١٤١١
المطبعة: دار الأضواء
الناشر: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع
ردمك:
ملاحظات: دار الأضواء للطباعة والنشر والتوزيع ص ب ٤٠ / ٢٥ غبيري - أو ٦٦٤١ / ١١٣ الحمرا . / تلكس ٢٣٧١٧ بيدر أو ٢٣٤٠٧ هادي - بيروت - لبنان

كتاب الفتوح
للعلامة أبي محمد أحمد بن أعثم الكوفي
المتوفى نحو سنة ٣١٤ ه / ٩٢٦ م
الجزء الثامن

بسم الله الرحمن الرحيم
[خلافة يزيد بن عبد الملك] (١)
ذكر فتنة يزيد بن المهلب وخروجه على يزيد
ابن عبد الملك
قال: فلما أفضت الخلافة إلى يزيد بن عبد الملك لم يكن له همة إلا طلب يزيد بن المهلب، فكتب إلى عدي بن أرطاة الفزاري (٢) وهو عامله على العراقين يأمره أن يأخذ كل من قدر عليه بالبصرة من بني عمه وشيعته فيستوثق منهم ويحبسهم. فلما ورد الكتاب على عدي بن أرطاة بعث المفضل وحبيب ومروان وحماد وجميع إخوة يزيد بن المهلب فحبسهم وحبس مواليهم وشيعتهم. قال: وأقبل يزيد بن المهلب من بلاد الشام وهو لا يعلم أن الكتاب قد سبق إلى البصرة وقد حبس إخوته ومواليه وشيعتهم، فلما نزل بموضع يقال له القطقطانة (٣) اتصل به الخبر بموت عمر بن عبد العزيز وولاية يزيد بن عبد الملك وحبس إخوته بالبصرة، فاغتم لذلك غما شديدا، ولم يكن معه في وقته ذلك إلا أقل من مائة رجل ممن اتبعه من أهل الشام ومن مواليه وبني عمه. قال: وبلغ ذلك عبد الحميد بن عبد الرحمن عامل الكوفة فدعا برجل يقال له هشام بن [مساحق بن] (٤) عبد الله بن مخرمة الكناني وضم إليه ثلاثمائة رجل من أهل الكوفة، وأمره بالمسير إلى يزيد بن المهلب،

---

(١) زيادة عن هامش الأصل.
(٢) في الطبري وابن الأثير: كتب إلى عبد الحميد بن عبد الرحمن وإلى عدي بن أرطاة يأمرهما بالتحرز من يزيد ويعرفهما هربه.
(٣) بالأصل القطقطانية، وما أثبت عن الطبري وابن الأثير.
(٤) زيادة عن الطبري.

وقال: انظر إن قدرت أن تأتيني به أسيرا فافعل! فقال له هشام بن [مساحق بن] عبد الله: أيها الأمير: لك علي أن آتيك به في حبل! قال: ثم خرج هشام بن [مساحق بن] عبد الله فيمن معه من أصحابه حتى نزل العذيب (١)، ورحل يزيد بن المهلب من القطقطانة (٢) نحو البصرة، فلم يقدر عليه هشام بن [مساحق بن] عبد الله، فأنشأ بعضهم يقول في ذلك:

وسار ابن المهلب في نفير * وأحجم عنه شيخ بني كنانة (٣)
وعرس والبنانة كان حزما * ولم يعرف قصور القطقطانة (٤)

قال: ورجع هشام [بن مساحق] بن عبد الله خائبا إلى الكوفة لم يصنع شيئا.

ومضى يزيد بن المهلب نحو البصرة وعدي بن أرطاة عامل البصرة قد جمع إليه جند أهل البصرة في الآلة والسلاح، وقد تقارب يزيد من البصرة فنزل على مرحلة منها (٥)، ثم بعث إلى عدي بن أرطاة: أيها الأمير! إنك حبست إخوتي ومالي وأهل بيتي بلا ذنب كان منهم إليك وذلك أني أنا المطلوب فأخرجهم من حبسك، وأنا أصالحك على أني لا أدخل البصرة ولا أقربها وأخليك وإياها حتى آخذ لنفسي الأمان من أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك، فأبى عليه عدي بن أرطاة أن يقبل ذلك منه. قال: وجعل سادات أهل البصرة يخرجون إلى يزيد بن المهلب، وكلما أتاه واحد منهم أحسن إليه ومناه حتى صار في قريب من ثلاثة آلاف، قال: وقعد عامة أهل البصرة في منازلهم ممن كان يهوى يزيد بن المهلب، حتى بقي عدي بن أرطاة في أصحابه الذين قدموا معه من الشام ونفر يسير من قيس غيلان وبني تميم، وعزم عدي بن أرطاة على محاربة يزيد بن المهلب.

ذكر محاربة عدي بن أرطاة يزيد بن المهلب بالبصرة

قال: ثم جمع عدي بن أرطاة أصحابه فقال لهم: اعلموا أنه ليس يتهيأ لي أن

---

(١) العذيب تصغير عذب، ماء بين القادسية والمغيثة.
(٢) عن الطبري، وبالأصل (القطقطانية).
(٣) البيت في الطبري ٦ / ٥٧٩.
وسار ابن المهلب لم يعرج * وعرس ذو القطيفة من كنانه
(٤) البيت في الطبري:
وياسر والتيسر كان حزما * ولم يقرب قصور القطقطانه
(٥) في الطبري ٦ / ٥٨٠ (أن يزيد بن المهلب دخل البصرة، وقد تنحى قواد عدي عن طريقه حتى دخل منزله وإلى داره اختلف الناس، فأخذ يبعث إلى عدي...).

أفتح لكم بيت المال في وقتي هذا ولا أن أعطيكم منه شيئا إلا بإذن أمير المؤمنين (١)، ولكني قد أمرت لكم بنفقة من مالي فخذوها وتوزعوها بينكم، فإذا أنا فرغت من يزيد بن المهلب كتبت إلى أمير المؤمنين بذلك ثم إني أضع لكم الارزاق فأعطي كل رجل منكم على قدر ما أرى منه فيما قد عزمت عليه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله. قال: ثم أمر للناس بشيء يسير لا قدر له فاقتسموه بينهم، فأصاب كل رجل منهم درهمان لا أقل ولا أكثر، فأنشأ الفرزدق بن غالب يقول:

أظن رجال الدرهمين يقودهم (٢) * إلى الموت آجال لهم ومصارع
وأكيسهم (٣) من قر في قعر بيته * وأيقن أن الموت لابد واقع (٤)

قال: وأقبل يزيد بن المهلب فيمن معه من الناس حتى نزل قريبا من المريد، وسار إليه عدي بن أرطاة في أهل الشام ومن جاءه من أهل البصرة، فلما دنا القوم بعضهم من بعض
دعا يزيد بن المهلب بأخيه محمد بن المهلب وابن عم له يقال له المهلب بن العلاء بن أبي صفرة فضم إليهما ألف رجل وأمرهما بالتقدم، فالتقى القوم للقتال وحمل بعضهم على بعض فاقتتلوا قتالا شديدا، وحمل محمد بن المهلب على رجل من أصحاب عدي بن أرطاة يقال له المسور بن عباد الحنظلي (٥)، فضربه بسيفه ضربة على أنف البيضة فقطع أنف البيضة وأسرع السيف في أنفه. ثم حمل أيضا على هريم بن أبي طحمة (٦) ليجتذبه عن فرسه إلى الأرض فلم يقدر على ذلك، قال: وضحك هريم بن أبي طحمة (٦) وقال: هيهات يا بن أخ! إن عمك أثقل مما تحسب، قال: ثم تقدم غلام لحبيب بن المهلب يقال له دارس وكان فارسا بطلا، فجعل يرتجز ويقول:

أنا غلام الأزد اسمي دارس * ليث غضوض هرت خنابس
إن تميما ساء ما يمارس * إذا التقينا فارس وفارس

هذا في الوقت الذي كان يزيد بن المهلب يعطي من أتاه قطع الذهب والفضة، فمال الناس إليه، (الطبري - ابن الأثير).
(٢) في الطبري وديوانه ١ / ٤٢١ تسوقهم.
(٣) الديوان: وأحزمهم.
(٤) الديوان: وأيقن أن العزم لابد واقع.
(٥) الطبري ٦ / ٥٨١ الحبطي.
(٦) الطبري: طلحة.

ثم حمل دارس على جميع أهل البصرة ففرق الناس يمنة ويسرة، وقتل منهم جماعة وجرح منهم بشر كثير، فأنشأ الفرزدق بن غالب يقول في ذلك:

تفرقت الخيلان (١) إذ صارح دارس * ولم يصبروا تحت (٢) السيوف الصوارم
جزى الله قيسا عن يزيد (٣) ملامة * وخص بها الأدنين أهل الملاوم (٤)
فقل لعدي حال ما كنت تبتغي * إليك ولا تحفل بجند الدراهم
أتاك فتى لم تخدم القوم أمه * طويل السرى ألفيته غير نائم

قال: وأقبل يزيد بن المهلب في نفر من بني عمه ومواليه حتى حمل على عدي ابن أرطاة وأصحابه حملة فكشفوهم حتى بلغ بهم إلى دار الامارة، ثم إنه كسر السجن فأخرج من كان فيه من إخوته وبني عمه ومواليهم وشيعتهم فضمهم إليه، ومر عدي بن أرطاة منهزما (٥) حتى دخل دار الامارة وانهزم الناس ودخلوا منازلهم. وأقبل يزيد بن المهلب حتى نزل في دار أم محمر بنت عبد الله بن عثمان الثقفي (٦) وأرسل إلى عدي بن أرطاة فأتى به أسيرا هو وجماعته من بني عمه، فلما وقف بين يدي يزيد جعل يتبسم، فقال له يزيد: مما تضحك وتتبسم؟ والله لقد كان ينبغي لك أن يمنعك من الضحك خلتان: إحداهما الفرار (٧) من الكريهة حتى أعطيت بيدك كما تعطي الأمة الوكعاء، والثانية أني أتيت بك وأنت تتل [كما يتل] (٨) العبد الآبق إلى أربابه، وليس معك مني عقد ولا عهد فما يؤمنك مني إن أضرب عنقك؟ قال فقال له عدي بن أرطاة: أبا خالد! إنك قد قدرت ومننت فتلك شيمتك، وإن عاقبت فبما كسبت يداي مع أني أعلم أن بقائي متصل ببقائك وإن أهلكتني أنت مطلوب منه أخرى، فإنك قد رأيت جنود الله بالشام، وعلمت بلاء الله عند أهله في كل موطن من مواطن أهل الغدر والنكث، فتدارك أمرك وزلتك بالتوبة واستقالة العثرة من قبل أن

---

(١) في الديون ٢ / ٢٢٤ تصدعت الجعراء.
(٢) الديوان: عند.
(٣) الديوان: عدي.
(٤) هذا البيت والذي بعده ليسا في الطبري، وبدلهما في الديوان:
هم قتلوا مولاهم وأميرهم * ولم يصبروا للموت عند الملاحم
(٥) الأصل (منهزم) خطأ.
(٦) في الطبري: (دار سلم بن زياد بن أبي سفيان) وفي ابن الأثير: (دارا لسليمان بن زياد بن أبيه).
(٧) في الطبري ٦ / ٥٨٢ الفرار من القتلة الكريمة.
(٨) زيادة عن الطبري، يتل أي يقاد.

يرمي بك البحر بأمواجه، فإن طلبت الإقالة لم تقل (١)، قال فقال له يزيد بن المهلب: أما قولك إن بقائي متصل ببقائك، فلا أبقاني الله حياة طائر إن كان لا ينفعني إلا بقاؤك، وأما قولك بأني مطلوب بدمك، فوالله أن لو كان في يدي عشرة آلاف رجل من أهل الشام ليس فيهم رجل إلا وهو أجل منك وأعظم قدرا ثم ضربت أعناقهم في صعيد واحد لكان إمساكي عنهم بعد ذلك أشد عليهم وأهول عندهم في صدورهم من قتلي أولئك العشرة آلاف، وأما قولك أن تدارك أمرك وزلتك واستقل عثرتك، فوالله ما استشرتك في أمري، ولا (٢) أنت عندي بواد ولا ناصح. ثم قال يزيد بن المهلب: انطلقوا به للسجن، فوالله لو هممت بقتله لكان ذلك عندي أهون من دم قراد، ولكني أحبسه كما حبس بني المهلب وضيق عليهم وكانوا يسألونه الترفه والترفق فلم يفعل ذلك، فحبس عدي بن أرطاة وبايع الناس يزيد بن المهلب على كتاب الله وسنة رسوله محمد صلى الله عليه وسلم

ذكر فتنة يزيد بالبصرة

قال: فبايع الناس (٣) يزيد وسلموا إليه بيت المال وفيه يومئذ عشرة آلاف ألف درهم، فأخذها يزيد وفرقها في الناس، ثم إنه بعث إلى عماله إلى الأهواز وفارس وكرمان ومكران والسند والهند وسائر البلاد فاحتوى عليها، ثم نادى في الناس فجمعهم إلى المسجد الجامع، فلما تكاملوا صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال: أيها الناس! أنا رجل منكم أعني بما تعنون به، وأحامي على ما تحامون عليه، ولست أقول بأني خليفة ولكني أدعوكم إلى كتاب الله وسنة محمد صلى الله عليه وسلم وإلى

جهاد أهل الشام محرقي البيت الحرام، فإن جهادهم أفضل من جهاد الترك والديلم، ألا! فاسمعوا وأطيعوا رحمكم الله.

قال: فالتفت النضر بن أنس بن مالك إلى الناس فقال: يا هؤلاء! إنكم

---

(١) زيد في الطبري: وإن أردت الصلح وقد أشخصت القوم إليك وجدتهم لك مباعدين، وما لم يشخص القوم إليك فلم يمنعوك شيئا طلبت فيه الأمان على نفسك وأهلك ومالك.

(٢) عن الطبري، وبالأصل: (إلا).

(٣) وجاءت بيعة الناس يزيدا بعد هروب رؤوس أهل البصرة إلى الكوفة يبلغون عبد الحميد عن هزيمة عدي بن أرطأة، وبعد ما بلغ أمر يزيد يزيد بن عبد الملك بعث مسلمة بن عبد الملك لقتاله فانهزم، ثم بعث العباس بن الوليد فانهزم أيضا فلما رأى الناس ذلك بايعوا يزيد بن المهلب (انظر تفاصيل وردت في الطبري ٦ / ٥٨٤ - ٥٨٥).

تسمعون الرجل يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فأجيبوا الرجل ولا
تخذلوه! قال: فسمعه الحسن البصري وهو يقول ذلك، فالتفت إلى قوم كانوا إلى جانبه فقال: وهذا النضر بن أنس بن مالك وهو أيضا ممن يعين على الفتنة! قال:
ثم قام الحسن فخرج من المسجد، فإذا هو بالناس قد اصطفوا ليزيد بن المهلب سماطين ينتظرون أن يخرج من المسجد وهم يقولون: إنه ليدعونا إلى سنة العمرين، قال: فتبسم ثم قال: إن هذا الذي يدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه
محمد صلى الله عليه وسلم وإلى سنة العمرين هو الذي كان يقتل الناس بالأمس في هوى بني أمية،
فالآن لما غضب عليهم [غضبة] (١) وخالفهم نصب لكم قصبا وعلق (٢) عليها خرقا، ثم قال: إني أدعوكم إلى سنة العمرين، إن من سنة العمرين أن يؤخذ فيوضع في رجله قيد ثقيل ثم يرد إلى محبسه الذي كان فيه، ولا يلقي الفتنة بين الناس. قال:
فصاح به الناس من كل جانب: يا أبا سعيد! كأنك متعصب لفساق أهل الشام، [فقال: أنا راض عن أهل الشام، قبحهم الله وبرحهم] (٣) أو ليس هم الذين أحلوا حرم الله وحرم رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، يقتلون أهل المدينة ثلاثة أيام وينهبونهم، لا
يتناهون عن انتهاك حرمة ولا عن إبداء عورة؟ أو ليس هم الذين رموا بيت الله الحرام بالحجارة والنيران والعذرة؟ وما لهم قبحهم الله ولا رحمهم وجعل دائرة السوء عليهم وعلى من يتعصب لهم. قال (٤): فسكت الحسن ولم يقل شيئا وصار إلى منزله (٤).
وخرج يزيد بن المهلب من المسجد وبين يديه الاعلام والمطارد، وقد أحدق به الناس يمنة ويسرة ومن بين يديه ومن خلفه، والقطامي الشاعر بين يديه وهو يرتجز ويقول أبياتا مطلعها:
لعل عيني أن ترى يزيدا * يقود جيشا جحفلا رشيدا (٥)
إلى آخرها.
قال: ودخل يزيد إلى منزله وقد استوسق له الامر، وأقبل إليه ابن عمه حتى

---

(١) زيادة عن الطبري.
(٢) الطبري: ثم وضع عليها خرقا.
(٣) زيادة عن الطبري، فسياق الكلام اقتضاها، فالكلام في العبارة التالية من كلامه، كما في الطبري.
(٤) كذا بالأصل، على اعتبار أن الكلام السابق هو قول عامة الناس، وما في الطبري كما لاحظنا سابقا أنه من كلامه، فحذف العبارة هنا يصبح ضروريا.
(٥) في الطبري ٦ / ٥٨٥ (شديدا) والبيت من عدة أبيات وردت فيه.

وقف بين يديه ثم أنشأ وهو يقول (١):
أظن بني مروان قد باد ملكهم * وإن كنت لا تشعر بذلك فاشعر
وعش ملكا أو كن كريما فإن تمت * وسيفك مشهور بكفك تعذر
قال: وبلغ يزيد بن عبد الملك أن يزيد بن المهلب قد تغلب على العراق والجبال وسائر البلاد، وقد ظفر بعدي بن أرطاة وأصحابه فحبسهم، واحتوى على بيت مال البصرة فأخذه وقسمه في أصحابه، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، وجعل يرى في ذلك رأيه. وبلغ ذلك ثابت بن كعب الأزدي وهو يومئذ بخراسان، فكتب إلى يزيد بن المهلب بكتاب يحرضه فيه على بني أمية ويأمره بحربهم، وأثبت في أسفل كتابه هذه الأبيات:
أيزيد كن في الحرب إن هيجتها * كأبيك لا رعشا ولا رعديدا
أثر المجرب في الحروب ولم تزل * نارا تسعر للعداة جديدا
ما كان في أبويك قادح هجنة * فيكون زندك في الزنود صلودا
يا ليت أسرتك الذين تغيبوا * كانوا لأمرك بالعراق شهودا
فترى مواطنهم إذا اختلف القنا * والمشرفية يوقدون وقودا
نارا تجلى (٢) المصطلين بحرها * أسدا قساور في اللقاء أسودا
صورا إذا كثر الصياح ترى لهم * في كل معركة هنالك صيدا
هلا سألت بهم فتخبر عنهم * من كان أعلى ناصرا وعديدا
وأحق بالصبر الجميل وقد رأوا * قول العداة تبرعا ووعيدا
إن امرءا حدثت ربيعة دونه * والرأس من يمن فمات عميدا
لضعيف ما ضمت جوانح صدره * إن لم يصبح بالجنود جنودا
منكل أشوس قاصد يوم الوغى * رأس المتوج إن أراد صدودا
قال: فلما وردت هذه الأبيات على يزيد بن المهلب ونظر فيها كأنه هش لها ودعته نفسه إلى قتال بني أمية وعزم على ذلك.
قال: ودعا يزيد بن عبد الملك بأخيه مسلمة بن عبد الملك وابن أخيه

---

(١) البيتان في الطبري ٦ / ٥٩٦، وابن الأثير ٣ / ٢٨٢ الثاني فقط، ونسبنا إلى يزيد بن الحكم بن أبي العاص. باختلاف بعض الالفاظ.
(٢) بالأصل (تحلى) بغير نقط، وما أثبتناه يناسب المعنى.

العباس بن الوليد بن عبد الملك، فضم إليهما جميع من بالشام من المقاتلة وأمرهما بالمسير إلى يزيد بن المهلب (١). قال: فسار العباس بن الوليد في عشرين ألفا من جنود أهل الشام حتى نزل الحيرة حذاء أهل الكوفة، وأقبل مسلمة بن عبد الملك في ثلاثين ألفا حتى نزل الأنبار. وبلغ ذلك يزيد بن المهلب، فجمع أصحابه فخطبهم وقال: يا أهل العراق! إن أهل الشام قد نهضت إليكم في خمسين ألفا فهاتوا آراءكم رحمكم الله! قال: فقام إليه أخوه حبيب بن المهلب، فقال: الرأي عندي أن تخرج من البصرة في جميع أصحابك حتى تصير إلى فارس فتنزلها، ثم تأخذ بالشعاب والعقاب، ثم تدنو من بلاد خراسان فتطاول القوم، فيكون القلاع والحصون في يدك وأهل الجبال معك، فإن سار القوم إليك قاتلتهم واستعنت الله عليهم. قال فقال يزيد: يا أخي! ليس هذا برأي، أتريد أن تجعلني طائرا على رأس جبل، والله ما الرأي عندي إلا مصادمة القوم، لي كانت أم علي.

قال: ثم دعا يزيد بن المهلب بأخيه مروان بن المهلب فاستخلفه على البصرة، ثم نادى في أصحابه وخرج حتى نزل بنهر معقل (٢) ومعه الأموال والآلة والسلاح، قال: فضرب عسكره هنالك. قال: وجعل مروان بن المهلب يحث الناس على الخروج إلى أخيه يزيد بن المهلب ويأمرهم أن يلحقوا بعسكره، قال: وكان الناس يخرجون والحسن البصري يثبط الناس عن الخروج ويقول (٣): أيها الناس! الزموا منازلكم وكفوا أيديكم، واتقوا الله ربكم، لا يقتل بعضكم بعضا على دنيا زائلة وطمع فيها يسير ليست لأهلها بباقية. وليس الله عنهم فيما كسبوا براض، واعلموا بأنه لم تكن فتنة قط إلا وأكثر أهلها الخطباء والشعراء والسفهاء وأهل التيه والخيلاء، وليس يسلم منهم إلا الجهول الحقير والمعروف التقي، فمن كان منكم تقيا فليلزم منزله، وليحبس نفسه عما يتنافس فيه الناس من هذه الدنيا الدنية – والسلام.

قال: فبلغ مروان أن الحسن البصري يقول ما يقول ويثبط الناس عن الخروج إلى حرب بني أمية، فقام في الناس خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! قد بلغني عن هذا الشيخ الضال المرائي بأنه يثبط الناس عنا ويأمرهم

---

(١) أشرنا إلى هذا الامر، وما آل إليه من استيثاق يزيد بن المهلب أهل البصرة ومبايعتهم له.

(٢) نهر معروف بالبصرة فمه عند فم نهر الإجانة.

(٣) انظر مقالته في الطبري ٦ / ٥٩٤ وابن الأثير ٣ / ٢٨١. وانظر البداية والنهاية ٩ / ٢٢٠.

بخذلاننا. ووالله! لو أن جاره نزع من خص داره قصبة لظل أنفه يرعف دما من الغيظ عليه وينكر علينا وعلى أهل مصرنا أن نطلب بحقنا! أما والله! ليكفن عنا وعن ذكرنا وعن الجمع إليه سقاط (١) أهل الأبلة وعلوج فرات البصرة [و] إلا ناله منا ما يكره (٢). قال: فغضب عامة الناس للحسن البصري وهموا بالوثوب على مروان بن المهلب، فقال لهم الحسن البصري: مهلا! فإني نهيتكم أن تقتلوا أنفسكم مع غيري، ولست أحب أيضا أن يقتل بعضكم بعضا لأجلي، فالزموا منازلكم، فإني أكره أن يكرمني ربي بهوان مروان بن المهلب (٣).

قال: وسار يزيد بمن معه من الناس حتى نزلوا بواسط العراق، فأقام بها حتى تكامل عسكره، ثم دعا بابنه معاوية فاستخلفه على واسط، وجعل عنده الأموال والخزائن والأسارى الذين أخذهم بالبصرة يوم الوقعة، ثم إنه سار حتى صار إلى فم النيل إلى موضع يقال له العقر (٤) من أرض بابل فنزل هنالك، وعزم على حرب القوم. قال: وبلغ مسلمة بن عبد الملك نزول يزيد بن المهلب بالعقر فأمر بالسنن فجمعت له، ثم أمر فعقد له جسر على الفرات وأمر بالناس فعبروا. قال: وبلغ ذلك العباس بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، فأقبل من الحيرة حتى نزل مع مسلمة.

قال: ودنت العساكر من يزيد بن المهلب في خمسين ألفا، ويزيد يومئذ في نيف عن عشرين ألفا، فقام في أصحابه خطيبا فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس! إني قد سمعت الناس في عسكري هذا وقولهم بأنه قد جاء مسلمة بن عبد الملك، وقد جاء العباس بن الوليد، وجاء أهل الشام فخبروني من مسلمة، فوالله ما مسلمة عندي إلا جرادة صفراء قسطنطين بن قسطنطين (٥)! ومن العباس بن الوليد! فوالله ما العباس عندي إلا نسطوس بن نسطوس (٦)! ومن أهل الشام! فوالله ما هم إلا سبعة أسياف سبعة أسياف خمسة منها لي واثنان علي! وإنما أتاكم مسلمة والعباس في برابرة

---

(١) السقاط جمع ساقط، وهو اللئيم في حسبه ونسبه.

(٢) الطبري: أو لأنحين عليه مبردا خشنا.

(٣) زيد في الطبري: فبلغ ذلك مروان بن المهلب، فاشتد عليهم وأخافهم وطلبهم حتى تفرقوا. ولم يدع الحسن كلامه ذلك، وكف عنه مروان بن المهلب.

(٤) العقر: عدة مواضع، منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة قتل عنده يزيد بن المهلب سنة ١٠٢ وكان قد خلع طاعة بني مروان ودعا إلى نفسه (معجم البلدان).

(٥) كذا بالأصل.

(٦) كذا بالأصل.

وأقباط وجرامقة وأنباط وجراجمة وأخلاط مغاربة وسقالبة، زراعون وفلاحون أوباش وأخناش، فلا يهولنكم أمرهم، فوالله ما لقوا مثل جدكم! وإني لأرجو أنهم ما جاؤوا إلا لهلاكهم وحلول النعمة بهم، وليس يردعهم عن غيهم إلا الطعن في نحورهم والضرب بالمشرفية على قممهم، فأعيروني سواعدكم ساعة تصطفقون بها هامهم وخراطيمهم، فإنما هي غدوة أو روحة حتى يحكم الله بينكم وبين القوم الظالمين.

قال: فأقام القوم على ذلك ثلاثة أيام (١) ليس بينهم حرب ومسلمة بن عبد الملك يبعث إلى يزيد بن المهلب ويسأله أن يحقن الدماء ويرجع عما هو عليه على أن يوليه ويولي إخوته أي بلد شاء وأحبوا، ويزيد يأبى ذلك.

قال: ثم أقبل يزيد على أصحابه فقال: إني قد عزمت أن أنتخب من عسكري هذا ثمانية آلاف (٢) رجل فأضمهم إلى محمد بن المهلب وآمره أن يكبس عسكر مسلمة ليلا فيضع فيهم السيف، فإن كان ما أحب فذاك وإلا ناجزتهم غدا إن شاء الله ولا قوة إلا بالله، فإني أرجو أن ينصرني الله عليهم. قال فقال له رجل من أصحابه يقال له السميدع: أيها الأمير! إن القوم يذكرون أنهم يدعوننا (٣) إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد (صلى الله عليه وعلى آله)، فكيف تغدر بهم وبناسهم (٤). قال: فتبسم يزيد ثم قال: ويحك يا سميدع! وتصدق هذا أن بني أمية يعملون بالكتاب والسنة! وقد فعلوا بالحرمين ما فعلوا، وهدموا البيت، وقتلوا ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم

عبد الله بن الزبير وصلبوه منكسا، اقبلوا مني وابدأوهم قبل أن يبدأوكم وبادروا القوم، فليسوا عندي بشيء، ولا يهولنكم مسلمة بن عبد الملك والعباس بن الوليد، فوالله لوددت أنهما وجميع بني أمية وأنا وإخوتي في حظيرة واحدة! فلا يبقى منا إلا من غلب بسيفه، والله أن لو كانوا في الأرض جميعا وأنا وحدي ليس معي أحد من الناس لما برحت هذه العرصة أبدا! لي كان أم علي. قال: فأبى عليه أصحابه أن يبيتوا القوم، فأمسك عنهم (٥).

إذا كان من الغد دنا القوم بعضهم من بعض وذلك في يوم الجمعة (٦)، قال:

---

(١) في الطبري: ثمانية أيام.
(٢) في الطبري: اثني عشر ألف رجل.
(٣) الطبري: إنا قد دعوناهم.
(٤) الطبري: فليس لنا أن نمكر ولا نغدر، ولا نريدهم بسوء حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا.
(٥) الطبري: قالوا: لا نرى أن نفعل ذلك، حتى يردوا علينا ما زعموا أنهم قابلوه منا.
(٦) وذلك لأربع عشرة خلت من صفر، وبعد اجتماعه ومسلمة بثمانية أيام.

وعبى مسلمة أصحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين، وعبى يزيد أصحابه كذلك (١)، وجالت الخيلان وخرج رجل من أهل الشام يدعو المبارزة، فما لبث أن خرج إليه حبيب (٢) بن المهلب والتقيا بصربتين، ضربه حبيب ضربة اتقاها الشامي (٣) بحجفته فقدت الضربة الحجفة ووصل إلى يد الشامي، وعلى كف الشامي يومئذ كف من حديد فقطع السيف الكف فرمى بها إلى الأرض، فولى الشامي إلى أصحابه وهو لما به، فصاح به حبيب بن المهلب: عليك بالمنجل والحصاد، فإن المنجل أعود عليك من مبارزة الاقران. قال: ثم حمل الفريقان بعضهم على بعض فاقتتلوا قتالا شديدا، وجعل يزيد بن المهلب يقاتل أهل الشام قتالا لم يسمع بمثله حتى قتل منهم جماعة، ثم جعل يدنو من صفوف أهل الشام حتى نظر إلى مسلمة واقفا في القلب، فنادى يزيد بن المهلب: يا مسلمة! هل لك أن تبرز إلي وتعفي الفريقين من القتال؟ قال: فالتفت مسلمة إلى أصحابه فقال: ما تقولون؟ فقال له رجل من بني كليب يقال له عياش الفحل (٤): أصلح الله الأمير! إنه يزيد بن المهلب فارس العراق قاطبة، فقال له مسلمة: صدقت يا عياش! إنه لكذلك ولكنه قد دعاني إلى المبارزة وهذا عار علي إن لم أبرز إليه، فقال له عياش الفحل: صدقت أصلح الله الأمير! هو والله العار أو الموت، فاختر أيهما شئت، قال: فسكت مسلمة ولم يبرز إليه. قال: وإذا برجل قد أقبل إلى يزيد بن المهلب فقال: أيها الأمير! ما يقيمك وقد قتل حبيب بن المهلب؟ فقال يزيد: إنا لله وإنا إليه راجعون، لا خير في العيش من بعد حبيب، والله لقد كنت أحب الحياة من قبل ولقد أبغضتها في وقتي هذا! قال: ثم تقدم يزيد بن المهلب على برذون له أشهب وسيفه في يده كأنه صاعقة، فجعل يقاتل قتال رجل قد أيس من الحياة، فما يدنو من كتيبة من كتائب أهل الشام إلا كشفها حتى قتل منهم بشرا كثيرا.

قال: وإذا برجل من أصحابه قد أقبل إليه فقال: أيها الأمير! أعظم أجرك في أخيك ابن المهلب! قال: فبقي يزيد واقفا لا يحلى ولا يمر، فقال رجل من بني عمه: (٥) أيها الأمير! أشير عليك أن تنهزم إلى واسط فتنزلها وتخندق على نفسك

---

(١) انظر في تعبية الجيشين الطبري ٦ / ٥٩٥.
(٢) في الطبري ٦ / ٥٩٥ محمد بن المهلب.
(٣) قيل هو حيان النبطي، كما في الطبري.
(٤) في الطبري: القحل بن عياش.
(٥) هو أبو رؤبة المرجئ كما في الطبري ٦ / ٥٩٦ وابن الأثير ٣ / ٢٨٠.

خندقا ويأتيك مدد أهل البصرة والبحرين وأهل عمان في السفن فتقاتل عدوك إذا أتاك. قال فقال له يزيد: قبح الله هذا الرأي! إلي يقال هذا! والله إن الموت لأيسر علي من ذلك، وإني لم أزل أبغض الهزيمة مذ كنت. قال فقال له الرجل، أيها الأمير! إني إنما قلت هذا القول لما أتخوف عليك، ألا ترى إلى ما حولك كأنهم جبال حديد؟ قال فقال يزيد؟ ما كنت بالذي أبالي أجبال حديد كان أم ج بال نيران (١)! فاذهب عنا إن كنت لا تحب أن تقاتل معنا، قال: ثم جعل يزيد يتمثل بقول الأعشى وهو يقول:

أبالموت يرميني سفاها وإنما * رأيت منايا الناس يسعى دليلها (٢)
فما ميتة إن متها غير عاجز * بعار إذا ما غالت النفس غولها

قال: ثم حمل يزيد بن المهلب على أهل الشام وحمل الناس معه فاقتتلوا قتالا شديدا، وارتفع الرهج وسطعت الغبرة واضطرب القوم اضطرابا شديدا. ثم انجلت الغبرة عن الفريقين وقد قتل منهم نيف على ثلاثة آلاف، وإذا بيزيد بن المهلب في وسط القتلى من الفريقين (٣) وقد وقعت به نيف على ثلاثين ضربة، فأنشأ بعض أهل الشام يقول:

ألا ترى بطشة الله التي بطشت * بابن المهلب إن الله ذو نقم
فما الجياد من البلقاء منصلتا * شهرا يغلغل في الأرسان واللجم
حتى أتت أرض هاروت لعاشره * فيها بنو دحمة الحمراء كاللجم
لما رأوا أن مكر الله حاق بهم * وأنهم مثل ضلال من البهم
فأصبحوا لا نرى إلا مساكنهم * كأنهم من ثمود الحجر أم إرم

قال: وإذا أربعة من ولد المهلب قد قتلوا في معركة واحدة منهم حبيب بن المهلب وحماد بن المهلب ومدرك ويزيد، فأنشأ بعض آل المهلب في ذلك يقول:

سقى الله أجسادا ببابل كسروا * سيوفهم والأثرى المعضدا
حبيبا وحمادا وذا البأس والندى * يزيد وأسقى مدركا ومحمدا

---

(١) الطبري: أم جبال نار.
(٢) البيت في الطبري:
أبالموت خشتني عباد وإنما * رأيت منايا الناس يشقى ذليلها
(٣) قتله القحل بن عياش كما في الطبري ٦ / ٥٩٧.

بني الحرب عند الحرب بأسا ونجدة * وفي المحل قناصون جودا وسؤددا
قال: وانهزم المفضل بن المهلب بمن معه من الجنود مع بني إخوته وسائر أصحابه حتى صاروا إلى واسط، فأخرجوا الأسارى الذين كانوا قد أتوا بهم من البصرة وهم ثلاثة وثمانون رجلا، فضربوا أعناقهم على دم، ثم حملوا الأموال والخزائن وقعدوا في السفن وانحدروا إلى البصرة. قال: وأسر ذلك اليوم من أصحاب يزيد بن المهلب نيف على أربعمائة (١) رجل، فأتي بهم إلى مسلمة بن عبد الملك حتى وقفوا بين يديه.
قال: فعزل مسلمة منهم ثلاثين رجلا من رؤسائهم ليحملهم إلى يزيد بن عبد الملك، وضرب أعناق الباقين. قال فقال هؤلاء الثلاثون: أيها الأمير! إنما نحن الذين انهزمنا بالناس حتى ظفرتم بيزيد وأصحابه فكان جزاؤنا منكم الأسر والقتل! قال: فلم يلتفت مسلمة إلى ذلك (٢)، فأنشأ حاجب بن ذبيان المازني يقول: (٣)
لعمري لقد خاضت قريش دماءنا * بأسيافنا حتى انتهى بهم الوحل
وما حمل الأقوام من أمر ديننا * حرام ولا حل إذا التمس الذحل (٤)
حقنتم دماء المصلتين عليكم * وجر على فرسان شيعتك القتل
وقربهم العريان فرسان قومه * فيا عجبا أين الملامة والعدل (٥)
قال: ثم أتي مسلمة برأس يزيد بن المهلب ورؤوس إخوته حبيب وحماد ومدرك ومحمد حتى وضعت بين يديه، فقال مسلمة: أترى هؤلاء القوم قد خرجوا علينا كانوا يظنون أن الخلافة فيهم، لئن كانوا ظنوا ذلك فلقد ظنوا إفكا وزورا، فأنشأ جرير بن الخطفي يقول (٦):
آل المهلب جذ الله دابرهم * أضحوا رفاتا فلا أصل ولا طرف

---

(١) نحو ثلاثمئة رجل كما في الطبري ٦ / ٥٩٨.
(٢) انظر بشأنهم ما ورد في الطبري ٦ / ٥٩٩.
(٣) الأبيات في الطبري ٦ / ٥٩٩ باختلاف بعض الالفاظ.
(٤) الذحل: الحقد.
(٥) هو العريان بن الهيثم، كان على شرط محمد بن عمرو بن الوليد.
(٦) الأبيات في ديوانه ٢ / ١٦ باختلاف بعض الالفاظ.

إن الخلافة لم تخلف ليملكها * عبد لأزدية في خلقها عنف
والأزد قد جعلوا الأزدي قائدهم * فقتلتهم جنود الله فانتتفوا
إن المرون (١) رجوا ما لم يكن لهم * في سالف الدهر معروفا ولا عرفوا
قال: ثم أمر مسلمة بيزيد بن المهلب فصلب على دقل سفينة منكسا وصلب معه خنزير إلى جنبه فكانا جميعا معلقين بقلس من قلوس السفينة. فأنشأ رجل من أهل الشام يقول:
لقد عجبت من الأزدي جاء به * يقوده للمنايا حين مغرور
حتى رآه عباد الله في دقل * منكس الرأس مقرونا بخنزير
والقلس أهون بأس أن يجر به * في الماء مطلية الألواح بالقير
يأبى لآل أبي العاص إن غضبوا * من كل سيف حديد الحد مأثور
قال: ثم أقبل مسلمة بن عبد الملك حتى نزل بالحيرة وأمر بمن معه من الأسارى حتى حملوا إلى الشام، فلما دخلوا على يزيد بن عبد الملك ونظر إليهم قال: إنهم أنصار يزيد بن المهلب فلقد خاب من اغتر بنصرة أمثاله، ثم أمر بهم فضربت أعناقهم، وكانوا ثمانين رجلا فما أبقى منهم على واحد. ثم أقبل على رجل من آل المهلب كان في ناحية يزيد بن عبد الملك فقال له: يا أخا الأزد ما تقول في بني عمك هؤلاء؟ فقال: يا أمير المؤمنين! قوم زرعتهم الطاعة وحصدتهم الفتنة.
قال: ثم أمر يزيد بن عبد الملك برأس يزيد بن المهلب فطيف به في مدائن الشام لينظر إليه، ثم أتي به بعد ذلك فنصب على باب توماء (٢) بدمشق، ونصب رؤوس إخوته عن يمينه وشماله، فأنشأ سالم بن وابصة (٣) الأسدي يقول:
ألم تر أن الله أنزل نصره * علينا وأعطانا به أعظم الاجر
غداة بغى أهل العراق فشايعوا * لواء يزيد بن المهلب ذي الغدر
فجئنا به لا يسمع الصوت في الثرى * ولا يشتكي شكوى أنين ولا فقر
تعرف أهل الشام بالشام رأسه * به بدت الاحداث من حادث الدهر
قال: ثم كتب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه مسلمة يأمره أن يطلب آل المهلب

---

(١) كذا بالأصل، والبيت لم يرد في الديوان.
(٢) توماء، اسم قرية بغوطة دمشق، وإليها ينسب باب توماء من أبواب دمشق (معجم البلدان).
(٣) عن المؤتلف والمختلف للآمدي، وبالأصل (وابطة).

حيث كانوا فيقتلهم ولا يبقي على أحد منهم. قال: فلما ورد كتاب يزيد بن عبد الملك إلى أخيه مسلمة بذلك جاء النذير إلى آل المهلب فخبرهم بذلك وهم يومئذ مقيمون بالبصرة، غير أنهم قد أعدوا المراكب فركبوا فيها ومعهم أموالهم ونساؤهم وأولادهم، وقد حملوا معهم دوابهم وأسلحتهم، ثم ساروا في البحر إلى كرمان فخرجوا من مراكبهم هنالك وحملوا ما معهم على الدواب، وساروا يريدون إلى قندابيل (١) من بلاد الهند ليتحصنوا بها.

قال: واتصل الخبر بمسلمة بن عبد الملك أن القوم قد مضوا نحو بلاد الهند فوجه في طلبهم بقائدين: أحدهما يقال له مدرك بن ضب الكلبي، والاخر هلال بن أحوز التميمي، في عشرة آلاف رجل من أهل الشام. قال: فسارت الخيل سيرا حثيثا حتى وافت أرض فارس، ثم خرجوا عنها لا يعرجون على شيء حتى صاروا إلى كرمان، ومن كرمان إلى أرض الهند إلى قندابيل (٢)، وبقندابيل (٢) يومئذ رجل من الأزد يقال له وادع (٣) بن حميد، قد كان ولاه يزيد بن المهلب قبل ذلك. فلما نظر إلى آل المهلب قد لجأوا إلى ما قبله أمر بأبواب المدينة فأغلقت ومنعهم من الدخول إليها. قال: وتوافت عساكر أهل الشام في عشرة آلاف، فلما نظر إليهم المفضل بن المهلب أقبل إلى إخوته وبني عمه فقال: اعلموا أنه الموت، فإن كان لا بد فموتوا كراما، قال: ثم دنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا قتالا شديدا، فأول من قتل منهم ممن كان مع المفضل بن المهلب النعمان بن إبراهيم بن الأشتر ومحمد بن إسحاق (٤) بن الأشعث بن قيس الكندي وجماعة من سادات أهل العراق.

قال: وجعل آل المهلب خاصة يقاتلون قتالا شديدا قتال قوم قد يئسوا من الحياة، حتى قتلوا من أهل الشام مقتلة عظيمة ثم قتلوا بأجمعهم، فما أفلت منهم إلا من هرب ودخل إلى غياض بلاد الهند، ثم صار بعد ذلك إلى خاقان ملك الترك فآمنهم وأحسن إليهم، فأنشأ موسى بن سحيم التميمي يقول أبياتا مطلعها:

لقد غضبت للدين قيس وشمرت * تميم ولم تفلل تميم وفلت

إلى آخرها.

---

(١) عن الطبري، وبالأصل (قندابل) وانظر معجم البلدان.

(٢) بالأصل: (قندابل).

(٣) في الطبري ٦ / ٦٠٢ وداع.

(٤) الطبري: محمد بن إسحاق بن محمد بن الأشعث.

قال: وبعث هلال بن أحوز بن المازني برؤوس القوم ونسائهم وأولادهم إلى مسلمة بن عبد الملك وهو مقيم بالحيرة. فلما وضعت الرؤوس بين يديه جعل ينظر إليها ويقول: هذا رأس المفضل بن المهلب كأنه جالس بين يدي يحدثني، هذا رأس عبد الملك بن المهلب، هذا رأس مروان بن المهلب، هذا رأس فلان، هذا رأس فلان، ثم حلف مسلمة أنه يبيع نساءهم وأولادهم بيع العبيد والإماء، فقام إليه الجراح بن عبد الله الحكمي فقال: أصلح الله الأمير! فإني قد اشتريتهم منك بمائة ألف درهم تبرئة ليمينك! فقال مسلمة أخزاه الله: قد بعتك إياهم. قال: ثم استحى مسلمة أن يبيع قوما أحرارا فقال للجراح: أقلني في بيعتي، قال: قد أقلتك أيها الأمير! فأعتقهم مسلمة وخلى سبيلهم وألحقهم بقومهم بالبصرة (١).

ثم دعا بعبد الرحمن بن سليم الكلابي (٢) فولاه العراقين ورحل إلى الشام – يزيد بن عبد الملك وقد فرغ من أمر العراق، فأنشأ رجل من أهل الشام يمدح مسلمة بن عبد الملك ويقول:

إن الذي مد علينا نعمه * وقد أحاطت بالعراق الدمدمه
دعوة مشؤم دعا بالمشأمه * فاتبع الظالم قوم ظلمه
فالله يحني منهم بمسلمه * من بعد ما وبعد ما وبعد مه
كانت بنات الموت عند الغلصمه * كادت الحرة أن تدعى أمه

ثم رجعنا إلى فتوح خراسان وأرمينية وأذربيجان من فتوح الترك والخزر

قال: فلما فرغ يزيد بن عبد الملك من أمر يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وصفت له البلاد دعا بسعيد بن عمرو الحرشي (٣) فولاه بلاد خراسان ما كان من دون النهر إلى سمرقند وما والاها إلى أرض فرغانة وأمره بالعدل، ودعا برجل من أهل حمص يقال له ثبيت (٤) النهراني فولاه بلاد أرمينية وأذربيجان، وضم إليه جيشا وإلى

---

(١) في الطبري ٦ / ٦٠٣ إلا تسعة فتية أحداث منهم بعث بهم إلى يزيد بن عبد الملك، فقدم بهم عليه، فضرب أعناقهم.
(٢) الطبري ٦ / ٦٠٥ الكلبي.
(٣) الأصل وابن الأثير، وفي فتوح البلدان: الجرشي، وفي البداية والنهاية: الجريشي.
(٤) عن ابن الأثير، وبالأصل (تبيت).

هذا جيشا. قال: فأما سعيد بن عمرو فإنه سار حتى دخل بلاد خراسان فجعل يصالح البلاد ويتقدم حتى عبر نهر بلخ، ثم صار إلى بخارا فنزلها، ثم ارتحل منها إلى سمرقند فنزلها، وبلغه أن ملك فرغانة قد عاث في البلاد وأفسد، فصار إليه سعيد بن عمرو حتى دخل أرض فرغانة، ثم نزل على حصن من حصونهم حصين وفيه يومئذ جلنج ملك فرغانة (١). قال: فأقام سعيد بن عمرو الحرشي على ذلك الحصن محاصرا لجلنج، فأرسل إليه جلنج وصالحه على السمع والطاعة وعلى أن يؤدي إليه مائة ألف درهم، خمسين غلاما وخمسين جارية، وأن يخرج إلى سعيد بن عمرو فيضع يده في يده، فرضي سعيد بن عمرو بذلك. فلما كان الليل نام عامة المسلمين ولم يشعروا إلا وجلنج ملك فرغانة قد كبس العسكر في خمسة آلاف رجل من الكفار، فقتل من المسلمين جماعة قبل أن يركبوا، ثم ركب الناس خيولهم واستقبلوا بها الكفار بالسيوف والرماح والسهام. قال: فاجتمع الكفار على حرب المسلمين فاقتتلوا قتالا شديدا، وأمكن الله المسلمين منهم في وقتهم ذلك إلى أن أصبحوا قريبا من ثلاثة آلاف وقتل صاحبهم جلنج الملك. قال: وغنم المسلمون غنيمة حسنة، فقسمها سعيد بن عمرو في المسلمين بعد أن أخرج منها الخمس وبعث به إلى يزيد بن عبد الملك، فأنشأ نعيم بن دارم الفريعي يقول في ذلك:

لعمري لقد أردت سيوف سعيدنا * جلنجا فلم نبد بذلك مفخرا
قتلنا جلنجا واستبحنا حريمه * بسمر ترى منها المدجج أزورا
ضربناه أم الرأس والنقع ساطع * فخر صريعا للجبين مغفرا
وكنا إذا رام العدو طلابنا * أبينا ويأبى أن نضام ونقبر

قال: ثم إن يزيد بن عبد الملك عزل سعيد بن عمرو الحرشي وولى مكانه عبد الرحمن بن سليم الكلابي، ثم عزل عبد الرحمن بن سليم عن خراسان وولاه العراق ورد سعيد بن عمرو إلى خراسان، ثم عزل أيضا عبد الرحمن بن سليم عن العراق وولى مكانه ابن عمه عبد الملك بن بشر بن مروان من قبله. قال وولى عبد الملك بن بشر العراقين جميعا كما وليها أبو بشر بن مروان من قبله وكان عبد الملك بن بشر هذا جوادا سخيا لا يبقي على شيء، وهو الذي يقول فيه الشاعر:

---

(١) في الطبري: بلاذا، وبيلاذا أبو جور الملك.

جئت بشرا زائرا فوجدته والله سمحا * وقصدته متعمدا ليلا فما أصبحت صبحا
حتى رأيت نواعما يدلجن بالبدرات دلجا * فلبست ثوبا للغنى وطويت للافلاس كشحا
قال: ثم أرسل يزيد بن عبد الملك أيضا إلى سعيد بن عمرو الحرشي فعزله عن خراسان وولى مكانه مسلم بن سعيد بن أسلم (١) بن زرعة الكلابي. قال: فسار مسلم بن سعيد هذا حتى نزل مدينة مرو فأقام بها متمسكا بما في يديه لا يغزو أحدا.
قال: وسار ثبيت (٢) النهراني في خلق كثير من أهل الشام وأهل الجزيرة حتى دخل بلاد أرمينية. قال: وسمعت به الخزر فاجتمعوا عليه في نيف على ثلاثين ألفا في موضع يقال له مرج الحجارة. قال: فدنا منهم المسلمون. فاقتتلوا هنالك، فقتل من المسلمين بشر كثير، واحتوت الخزر على عسكر المسلمين فغنموا جميع ما فيه، وأقبل المسلمون مغلولين حتى صاروا إلى الشام إلى يزيد بن عبد الملك وأميرهم النهراني معهم، فاغتم يزيد بن عبد الملك لذلك غما شديدا، ثم دعا النهراني فوبخه على صنيعه وهزيمته من بين أيدي الخزر، فقال النهراني: والله يا أمير المؤمنين ما جبنت ولا نكبت عن لقاء أعداء الله وقد لصقت الخيل بالخيل والرجل بالرجل، ولقد طاعنت حتى انقصف رمحي وضاربت حتى انكسر سيفي، غير أن الله عز وجل يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

ذكر دخول الجراح بن عبد الله الحكمي بلاد أرمينية وما كان منه في الخزر

قال: ثم دعا يزيد بن عبد الملك بالجراح بن عبد الله الحكمي فعقد له عقدا وضم إليه جيشا كثيرا وأمره بالمسير إلى بلاد أرمينية. قال: فسار الجراح بن عبد الله في جيش عرمرم حتى دخل إلى بلاد أرمينية، وتسامعت به الخزر فهربوا من بين يديه حتى صاروا إلى مدينة الباب والأبواب. قال: وسار الجراح بالمسلمين إلى أن صار إلى برذعة فنزل بها أياما حتى استراح أصحابه وأراحوا دوابهم، ثم رحل من هنالك حتى عبر نهر الكر (٣) وسار يريد الباب والأبواب، فلم يزل كذلك حتى صار إلى نهر

---

(١) عن الطبري ٧ / ١٨ وبالأصل (مسلم).
(٢) بالأصل: (تبيت) وما أثبت عن ابن الأثير.
(٣) نهر الكر بين أرمينيا وأران، بينه وبين برذعة فرسخان.

يقال له روباس (١) على فرسخين من مدينة الباب، فنزل هنالك حتى أرسل إلى ملوك الجبال، فأقبلوا إليه من كل ناحية.
فلما عزم على المسير إلى الخزر رحلت الخزر عن مدينة الباب حتى لحقوا بلادهم، وأقبل إلى الجراح بن عبد الله رجل من أهل تلك الناحية من أصحابه، فقال: أيها الأمير! أخبرك أن أربيس بن بسباس ملك بلاد الكر قد بعث إلى ملك الخزر يخبره بمسيرك إلى ما قبله فاعمل على حسب ذلك! قال: فأمر الجراح بن عبد الله مناديه فنادى في العسكر: ألا! إن الأمير مقيم ههنا ثلاثة أيام (٢) فاستكثروا من الزاد والعلق والحطب وما تحتاجون إليه! قال: فنادى المنادي بذلك في العسكر، وأرسل أربيس بن بسباس إلى ملك الخزر. فلما كان الليل وهدأت العيون أمر الجراح بن عبد الله أصحابه بالرحيل نحو الباب والأبواب. قال: فرحل المسلمون في جوف الليل ولهم ثلاث مشاعل قد رفعت في عسكرهم: مشعلة عظيمة في أول العسكر، وأخرى مثلها في وسط العسكر، وأخرى في آخره. ثم ساروا حتى انتهوا إلى مدينة الباب والأبواب، فإذا ليس فيها أحد من الخزر، قال: فدخلها المسلمون وخرجوا من الباب الاخر. قال: فنزل الجراح بعسكره عند عين باب الجهاد على نصف فرسخ من مدينة الباب، فلما أصبح دعا برجل من أصحابه فضم إليه ثلاثة آلاف فارس، وقال له: سر حتى توافي أرض حداق (٣) فلا تدعن لأهلها شيئا إلا أغرت عليه، واقتل من قاتلك وانظر لا تطلع الشمس إلا وأنت في عسكري معي على نهر الران. قال: وسار الجراح فيمن بقي معه وهم عشرون ألفا حتى نزل على نهر الران على ستة فراسخ من مدينة الباب. فلما أصبح قائداه (٤) اللذان وجه بهما ومعهما نيف على عشرة آلاف فارس من الماشية وثلاثة آلاف رأس من السبي.
قال: وبلغ نارستيك ابن خاقان ملك الخزر بأن الجراح بن عبد الله نزل بنهر الران في خمسة وعشرين ألفا من العرب وأنه قد أغار وقتل وغنم غنائم كثيرة فنادى في أصحابه

---

(١) كذا ولم نعثر عليه، ولعله (الرس) يصب في بحر الخزر بعد اجتماعه مع نهر الكر (انظر معجم البلدان – الكر).
(٢) في ابن الأثير: عدة أيام.
(٣) كذا، ولعله خيزار انظر معجم البلدان، وفيه أن خيزار من نواحي أرمينيا لها ذكر في الفتوح. وورد في فتوح البلدان: (خيزان).
(٤) كذا بالأصل، والظاهر أن سقطا ما وقع هنا بالأصل.

ثم سار في أربعين ألفا حتى صبح نهر الرن قال: ودنا القوم بعضهم من بعض والجراح بن عبد الله يومئذ على بغلة له دهماء فقال: أيها الناس! إنه ليس لكم من فئة تلجأون إليها بعد الله غيري، وقد علمتم من قتل منكم فإلى الجنة ومن ظفر فالغنيمة والذكر الحسن. قال: ثم تناوش القوم فاختلطوا لساعة وارتفع الرهج والقتام فصارت الريح على الخزر فولوا منهزمين، واتبعهم مسلمون يقتلونهم حتى بلغوا إلى موضع (١) يعرف بالحصين وقد قتل منهم خلق كثير، قال: فغنم الجراح وأصحابه من غنائم الخزر شيئا كثيرا. وأقبل حتى نزل على الحصين يومه ذلك، قال: ونزل أهل الحصين في الأمان وصالحوه على مال فقبل ذلك منهم، ثم حولهم إلى أرض يقال لها حيزان (٢) فأنزلهم هنالك، ثم إنه سار من الحصين حتى صار إلى مدينة من مدن الخزر يقال لها برعوفا (٣) فأقام عليها ستة أيام يحاربهم، ثم إنهم سألوا الصلح بعد ذلك فأجابهم الجراح إلى ما أرادوا وحولهم إلى رستاق يقال له رستاق قبله فأنزلهم بقرية يقال لها الغانية (٤).

ثم سار الجراح من برعوفا حتى صار إلى البلنجر (٥) قد جمعوا نيفا على ثلاثمائة عجلة، فشدوا بعضها على بعض وجعلوها حول حصنهم كما دار الحصن ليمنعوا بتلك العجل حصنهم. قال: فوثب رجل من أصحاب الجراح إلى سيفه فاستله عن غمده ثم نادى بأعلى صوته: من يهب نفسه لله؟ فأجابه المسلمون إلى ما سأل، فقال: اتبعوني! فاتبعه قريب من مائة رجل (٦) بالسيوف وتقدموا نحو تلك العجلة وسهام الكفار تأخذهم من فوق السور وهم يتقدمون، حتى إذا دنوا من العجل تقدم رجل منهم فضرب حبل عجلة منها، فقطع الحبال وانحدرت العجل تتبع بعضها بعضا منحدرة حتى صارت إلى عسكر المسلمين. قال: واشتد الحرب بين المسلمين وبين أهل بلنجر ساعة من النهار، ثم إنهم انهزموا وأخذ المسلمون الحصن عنوة بجميع ما فيه (٧).

---

(١) في ابن الأثير ٣ / ٣٠٠ حصن يعرف بالحصين.
(٢) كذا وفي فتوح البلدان (خيزان) وانظر معجم البلدان.
(٣) كذا، وفي ابن الأثير ٣ / ٣٠٠ (برغوا) وفي تاريخه خليفة ص ٣٢٩ (بزغوا) ولم نجدها.
(٤) كذا بالأصل، ولم نجدها.
(٥) البلنجر: مدينة ببلاد الخزر خلف باب الأبواب.
(٦) في ابن الأثير: ثلاثين رجلا.
(٧) وكان ذلك يوم الاحد لثلاث خلون من شعر ربيع الأول سنة ١٠٤ ه (كما في تاريخ خليفة). وأصاب الفارس ثلاثمئة دينار، وكانوا بضعة وثلاثين ألفا (كما في ابن الأثير).

قال: وهرب صاحب البلنجر في نحو من خمسين رجلا من الخزر حتى صار إلى قريب من سمندر (١)، وصارت البلنجر بما فيها من الأموال والنساء والذرية في أيدي المسلمين، فأنشأ رجل منهم يقول شعرا. قال: وأخذ الجراح امرأة صاحب البلنجر وأولاده وخدمه، فنادى عليهم فبلغوا ثلاثين ألف درهم، فاشتراهم الجراح بماله ثم جعلهم في عزلة. قال: وخاض الناس في ذلك فقال قائل منهم: ما اشتراها إلا لجمالها، وقال قائل: وما اشتراها إلا لمالها، وقال بعضهم: ما اشتراها إلا لشرفها في الخزر، قال: وبلغ الجراع ذلك فنادى في الناس فجمعهم ثم قال: إنه قد بلغني ما تكلمتم به في أمر هذه المرأة وإني لم أشترها لمالها ولا لجمالها ولا لشرفها، ولكني أحببت أن أردها إلى زوجها وأرده إلى مدينته هذه ليكون لنا مصلحة ومجازى لمن أرسله إلى أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك. قال: فقال الناس: جزاك الله خيرا أيها الأمير! فنعم ما رأيت! قال: ثم بعث الجراح إلى صاحب البلنجر وأعطاه الأمان وأعلمه أنه راد عليه أهله وماله وولده وخدمه، وأنه مقرره في أرضه. قال: فأقبل صاحب البلنجر إلى الجراح بالأمان، فرد عليه أهله وماله وولده وخدمه وأقره في بلده (٢).

ثم سار الجراح من أرض البلنجر في جماعة المسلمين حتى نزل على أرض الوبندر (٣) وهم يومئذ أربعون ألف بيت. فلما نظروا إلى عسكر المسلمين قد نزل عليهم جزعوا بذلك وعظم لديهم، ثم إنهم سألوا الصلح، فأجابهم الجراح إلى ذلك وأخذ منهم أموالا كثيرة وعزم على المسير منها إلى سمندر، قال: وإذا كتاب ورد عليه من صابح البلنجر مكتوب فيه: أيها الأمير! إني قد أحببت أن أحسن إليك كما أحسنت إلي وأكافيك على فعلك الجميل بردك علي أهلي ومالي وولدي وخدمي، أخبرك أيها الأمير أنه قد اجتمع عليك من الخزر جمع عظيم لا طاقة لك بهم وقد انتقضت عليك ملوك الجبال، فإذا ورد عليك كتابي هذا فلا تضعه من يدك حتى تقبل راجعا من موضعك الذي أنت فيه، فإني خائف عليك وعلى من معك من أصحابك. قال: فلما ورد كتاب صاحب البلنجر على الجراح بن عبد الله نادى في أصحابه بالرحيل، فرحل ورحل الناس معه راجعين إلى نحو من جبل الكيل، ثم

---

(١) سمندر: مدينة خلف باب الأبواب بثمانية أيام بأرض الخزر.
(٢) زيد في ابن الأثير: وجعله عينا لهم يخبرهم بما يفعله النار.
(٣) كذا، وفي ابن الأثير ٣ / ٣٠١ (حصن الوبندر). ولم نعثر عليه.

صاروا من رستاق إلى رستاق حتى انحط الجراح وأصحابه على رستاق يقال له شكى (١). قال: وأدركهم الشتاء فأقام الجراح وأصحابه هنالك، ثم كتب إلى يزيد بن عبد الملك يخبره بما فتح الله على يده من الكفار ويسأله المدد. قال: فلما ورد كتاب الجراح على يزيد بن عبد الملك عزم أن يمده بخيل ورجال يقوى بهم على الخزر.

قال: وأرسل أيضا أهل العراق إلى يزيد بن عبد الملك يشكو عاملهم، فعزله وولى مكانه عمر بن يزيد بن هبيرة (٢) الفزاري، قال: فقدم عمر بن يزيد عاملا على العراقين جميعا: البصرة والكوفة، ودان له الناس بالسمع والطاعة، والجراح بن عبد الله مقيم بأرض شكى يتوقع المدد بأن يأتيه من الشام، حتى إذا انقضى عنه الشتاء إذا الخبر قد ورد عليه بأن يزيد بن عبد الملك قد مات، وكان ملك يزيد بن عبد الملك أربع سنين وشهرا واحدا (٣)، وتوفي ليلة الجمعة لأربع ليال بقين من شعبان سنة خمس (٤) ومائة وهو يومئذ ابن أربعين سنة (٥) - والله أعلم -. وصار الامر

---

(١) في ابن الأثير: (رستاق ملى) وفي معجم البلدان: شكى بفتح أوله وتشديد ثانيه... ولاية بأرمينية.

(٢) في الطبري، عمر بن هبيرة.

(٣) انظر في مدة ولايته الاخبار الطوال ص ٣٣٤ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣١٤ الطبري ٨ / ١٧٩.

(٤) عن الطبري ٨ / ١٧٩ وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣١٤ والإمامة والسياسة ٢ / ١٤٢.

(٥) في مقدار عمره خلاف انظر مروج الذهب ٣ / ٢٣٩ الاخبار الطوال ص ٣٣٤ الطبري ٨ / ١٧٩.

قيل في موته أنه بقي بعد حبابة جاريته خمسة عشر يوما ومات ودفن إلى جانبها. وكان يزيد بن عبد الملك قد استسلم إلى غرائزه وشهواته ورغباته. وقد اتسمت ولايته بعناوين أبرزها:

- تشاغله عن مصالح الأمة وانغماسه باللهو والغناء والشراب والعبث وترك الدولة بكل مؤسساتها إلى الولاة والجواري بحيث أن حبابة جاريته كانت تعزل وتولي دون الرجوع إليه.
- عمد إلى كل الاجراءات والتنظيمات التي وضعها عمر بن عبد العزيز والتي لا توافق هواه فردها. ومثال ذلك أنه كتب إلى عمال عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإن عمر كان مغرورا، غررتموه أنتم وأصحابكم، وقد رأيت كتبكم إليه في انكسار الخراج والضريبة، فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده، وأعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى، أخصبوا أم أجدبوا، أحبوا أم كرهوا، حيوا أم ماتوا والسلام.
- بعث روح العصبية بين اليمنية والمضرية، مما جعلها تنخر في عظام الخلافة الأموية إلى أن قضت عليها. فانحاز إلى الجناح المضري (أحد جناحي النظام الأموي) وهدد مصالح الجناح اليمني.
- لسوء سياسته عاد الخوارج إلى التحرك.
- تعيين ولاة في الولايات اعتمدوا في سياستهم الإساءة إلى الموالي مما أدى إلى انتقاض الامن، وخروج الأطراف على الدولة، والكثير ارتدوا عن الاسلام.
- إهماله الجهاد وترك الغزو ومناضلة الأعداء.

إلى أخيه هشام بن عبد الملك، فأقر الجراح بن عبد الله على بلاد أرمينية ووعده أن يمده بجيش لمحاربة الخزر، ثم إنه عزل عمر بن يزيد بن هبيرة عن العراق وولى مكانه خالد بن عبد الله القسري وأمره أن يوجه بأخيه أسد بن عبد الله عاملا على خراسان وأن يأخذ عمر بن يزيد بن هبيرة فيعذبه حتى يستخرج ما عنده من المال الذي أخذه من العراق. قال: فقدم خالد بن عبد الله القسري عاملا على العراق جميعا ونزل البصرة، ثم أخذ عمر بن يزيد بن هبيرة فجعل يعذبه بأنواع العذاب ويستأديه الأموال حتى شق ذلك على أهل البصرة مشقة شديدة، لان عمر بن يزيد قد كان محبا لأهل البصرة، فشق عليهم ما قد نزل به من ذلك العذاب فقال الفرزدق بن غالب في ذلك:

ألا قطع (١) الرحمن ظهر مطية * أتتنا تخطى (٢) من دمشق بخالد
وكيف يؤم الناس من كانت أمه * تدين بأن الله ليس بواحد (٣)

قال: وكان عمر بن يزيد إذا اشتد به ألم العذاب يصيح ويقول: يا هشام! يا هشام! المستغاث من عذاب خالد! فأنشأ نصر بن سيار الكناني يقول في ذلك:

أرى مضر المصرين قد ذل نصرها * ولكن عسى أن لا يذل سنامها
فمن مبلغ بالشام قيسا وخندقا * أحاديث قد هاجت علينا سقامها
دم ابن يزيد صار حلا لخالد * وفينا بقيات الهدى وإمامها
أنقتل فيكم إن قتلنا عدوكم * على دينكم والحرب باد قتامها
أثار بقتل ابن المهلب خالد * ألهفي لنفس ليس يهدى أنينها

قال: وجعل عمر بن يزيد بن هبيرة يحتال ويتلطف وبذل ما يقدر عليه لمن معه في السجن حتى نقبوا له في السجن نقبا وجعلوا النقب على مثال السرب، فدخل عمر بن يزيد بن هبيرة من ذلك النقب ومر تحت الأرض حتى خرج من ذلك السرب فأفلت من السجن، فقال بعضهم في ذلك:

ولما رأيت الأرض قد سد ظهرها * ولم نر إلا تحتها لك مخرجا

---

(١) في وفيات الأعيان ٢ / ٢٢٨ ألا قبح.
(٢) في ابن الأثير ٣ / ٤٠٤ تهادى، وفي الأغاني ٢١ / ٣١٣ تمطى.
(٣) وكانت أم خالد نصرانية رومية. وبعده في ابن الأثير:
بنى بيعة فيها النصارى لامه * ويهدم من كفر منار المساجد

دعوت الذي ناداه يونس بعد ما * هوى في ثلاث مظلمات ففرجا
فأصبحت تحت الأرض قد سرت سيرة * وما سار سار مثلها حين أدلجا
وما احتال محتال كحيلته التي * لها نفسه تحت الضريحة أولجا
وظلماء تحت الأرض قد خفت هولها * وليل كليل الطيلساني أدعجا

قال: وعلم خالد بن عبد الله القسري بهرب عمر بن يزيد، فوجه في طلبه برجل يقال له مالك بن المنذر بن الجارود العبدي، فخرج مالك بن المنذر في نفر من غلمانه حتى لحق عمر بن يزيد في بعض الطريق وهو يريد الشام فقتله، ثم رجع إلى خالد بن عبد الله فخبره ذلك. قال: وبلغ ذلك هشام بن عبد الملك فأرسل إلى مالك بن المنذر بن الجارود فأشخصه من العراق، فلما دخل عليه وسلم قال له هشام: لا سلم الله عليك ولا حياك ولا مرحبا بك ولا أهلا يا عدو الله! أقتلت عمر بن يزيد بن هبيرة! فوالله لقد كان خيرا منك أبا وأما وحسبا ونسبا وريشا وعقبا! فقال مالك: ولم ذلك يا أمير المؤمنين؟ أو لست ابن المنذر بن الجارود؟ قال: فغضب هشام من ذلك ثم أمر فوجئت عنقه وهشم أنفه وأدمي فوه، ثم أمر به إلى السجن فلم يزل يعذب بألوان العذاب حتى مات.

قال: ثم كتب هشام بن عبد الملك إلى الجراح وهو يومئذ مقيم بأرض شكى يأمره بمحاربة الخزر ويعده في كتابه أن يمده بجيش أهل الشام، قال: فطمع الجراح في ذلك ثم صار من أرض شكى حتى صار إلى حصن برذعة، ثم صار من هنالك إلى مدينة يقال لها البيلقان، ثم إلى مدينة ورثان (١)، وباجروان (٢) ثم إلى أردبيل فنزل بها، وبها يومئذ خلق كثير من المسلمين يزيدون على ثلاثين ألفا.

قال: فنزلها الجراح ثم جعل يبث منها السرايا إلى موقان وجيلان وطالقان (٣) فتغير وتأسر وتقتل وترجع السرايا إلى أردبيل، وبعث خاقان ملك الخزر إلى جميع أصناف الكفر ممن كان على دينه وملته فاستمدهم إلى حرب المسلمين فأجابوه إلى ذلك، فضمهم بأجمعهم إلى ابنه نارستيك بن خاقان وأمره بالمسير إلى أذربيجان لمحاربة الجراح بن عبد الله وأصحابه. قال: فسار نارستيك بن خاقان في ثلاثمائة ألف من

---

(١) عن ابن الأثير، وبالأصل: (وريان). وورثان بلد هو آخر حدود أذربيجان بينه وبين وادي الرس فرسخان وبين ورثان وبيلقان سبعة فراسخ.
(٢) باجروان: مدينة من نواحي باب الأبواب.
(٣) عن معجم البلدان، وبالأصل (طالشان).

الخزر وأصناف الكفار حتى نزل مجمع النهرين: نهر الكر ونهر الرس. ثم سار من هنالك إلى ورثان فأخذها وقتل عامة أهلها، ثم خرج منها يريد الجراح بن عبد الله وأصحاب الجراح يومئذ متفرقون في بلاد أذربيجان.

قال: فجعلت الخزر تقتل كل من قدر عليه من المسلمين ويغيرون ويحرقون وينهبون، وبلغ ذلك الجراح بن عبد الله فكتب إلى هشام بن عبد الملك يخبره بذلك ويسأله المدد، قال فتباطأ هشام عن نصرة الجراح وأقبلت الخزر حتى نزلوا قريبا من أرض أردبيل (١).

ذكر محاربة الجراح بن عبد الله مع الخزر
ومقتله رحمة الله عليه

قال: وخرج الجراح بن عبد الله حتى صار إلى مرج جبل يقال له السبلان (٢) فضرب عسكره هنالك، ثم رحل حتى صار إلى نهر على قارعة الطريق فعقد له جسرا - قال: وذلك الجسر إلى يومنا هذا لا يعرف إلا بجسر الجراح. قال: وكان مع الجراح يومئذ دهقان أذربيجان واسمه مردان شاه وكان مجوسيا، فأقبل على الجراح فقال: أيها الأمير! إنك في قلة من الجيوش، والعدو في جيش كثير وجند كبير، وليس ينبغي للقليل من الجيش أن يصحر للجيش الكثير في الأرض المستوية، ولكن هذا جبل سبلان (٣) قريب منك، فمل إليه وانزل في سفحه واجعله وراء ظهرك وقاتل العدو من وجه واحد إلى أن يأتيك المدد من عند أمير المؤمنين. قال فقال له الجراح: يا مردان شاه! أظنك جبانا، فقال، لا ما جبنت قط، ولكن قد أشرت عليك بالصواب، فقال الجراح: ما كان نساؤكم باللاتي يتحدثن عني بأني جبنت عن قتال أعداء الله. قال: ثم سار الجراح من موضعه ذلك حتى نزل بقرية يقال لها شهرازاد، فحط الأثقال هنالك على تلك القرية. قال: وفي أصل ذلك التل عين ماء جارية، فلما استقر به الموضع إذا الخزر قد أقبلت في السيل والليل، وعبأ الجراح أصحابه ودنا القوم بعضهم من بعض. فقال مردان شاه الدهقان للجراح بن عبد الله: أيها الأمير! ألستم تزعمون في دينكم أن الرجل إذا كان مخالفا لكم ثم إنه شهد

---

(١) أردبيل من أشهر مدن أذربيجان.
(٢) في ابن الأثير: (مرج أردبيل) والسبلان (جبل عظيم مشرف على مدينة أردبيل). وفي فتوح البلدان: واقعهم على أربعة فراسخ من ناحية أردبيل.
(٣) بالأصل: سيلان.

بشهادة الحق وضرب بسيفه في المشركين حتى يقتل فإنه في الجنة شهيد / فقال له الجراح: بلى يا مردان شاه! إنا نقول ذلك ولا نشك فيه! قال: فخرج الدهقان بسكين كان معه فقطع كشحا كان في وسطه، ثم نزع ثيابه وشهد بشهادة الحق، ثم أخذ سيفه وتقدم نحو الخزر فلم يزل يقاتل حتى قتل. قال: واشتد القتال بين المسلمين والخزر وكلبت الخزر على القتال وجعل المسلمون يروغون عن الحرب (١). فقال: هو ما ترى أصلح الله الأمير! فقال: ناد بهم (هلموا إلى الجنة لا إلى النار! هلموا إلى الهدى لا إلى الحبار! هلموا إلى الرحمن لا إلى الشيطان! هلموا إلى الجنان لا إلى النيران!) فجعل الغلام ينادي كذلك والقوم يروغون من شدة الحرب، قال: فعندها حمل الجراح وهو يرتجز ويقول:

لم يبق إلا حسبي ودِيني * وصارم ذو صنعة مسنون
لله در الصبر من قرين * قرين صدق غير ما خؤون

قال: ثم حمل على جميع الخزر، فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم مقتلة عظيمة وقتل (٢).

قال: ووضعت الخزر السيف في أصحاب الجراح فقتلوهم بأجمعهم إلا سبعمائة رجل أو دون ذلك، فإنهم انهزموا حتى صاروا إلى جبل سبلان (٣) واشتغل الخزر عنهم بما صار إليهم من الغنائم، وأمر نارستيك بن خاقان بطلب الجراح فطلبوه في القتلى حتى وقفوا عليه، فأمر به نارستيك فاحتز رأسه، ثم احتوى على أمواله وأهله وولده وجواريه وخدمه وجميع ما كان له.

قال: وخرج رجل من عسكره يسمى صقليا، فلم يزل يسير إلى هشام بن عبد الملك، فدفع إليه خاتم الجراح وخبره بخبره وخبر أصحابه وكيف قتلوا، قال: فبكى هشام بن عبد الملك بكاء شديدا حتى علا نحيبه وبل لحيته بدموعه، وبكى المسلمون في كل بلد حزنا منهم على الجراح وأصحابه، فأنشأ بعض أهل الشام يقول في ذلك أبياتا مطلعها:

نفسي الفداء لجراح وقد نحبت * نفس الجبان وضاق الورد والصدر

---

(١) الظاهر أن في الأصل سقطا.
(٢) في فتوح البلدان ص ٢٠٨ اقتتلوا ثلاثة أيام. فاستشهد ومن معه.
(٣) بالأصل: سيلان.

إلى آخرها.
قال: وسارت الخزر إلى أردبيل فنزلوا عليها وصابرهم أهل أردبيل أياما كثيرة وليالي، فلما طال عليهم الحصار ولم يأتهم غياث أسلموا المدينة. قال: فدخل الخزر مدينة أردبيل عنوة بالسيف، فقتلوا المقاتلة وسلبوا النساء والذرية وغنموا ما كان فيها، ثم إنهم تفرقوا في رساتيقها فينزلونها ويقتلون وينهبون ويحرقون ويفجرون.
قال: وجعل هشام بن عبد الملك يستشير وزراء خاصته فيما قد نزل به من أمر الجراح بن عبد الله وأصحابه وامتنع من النوم وضاقت الأرض عليه برحبها، ثم أقبل على مولى له يقال له سالم فقال: ويحك يا سالم! ما الذي عندك من الرأي؟ فقال سالم: والله يا أمير المؤمنين! إن دعاءك إياي للمشورة أعظم عندي مما فعلت الخزر بالمسلمين، أنا عندك في موضع مشورة فتستشيرني؟ عليك بأصحابك وصنائعك وفوادك ووجوه العرب فاستشرهم في ذلك الامر ثم افعل بعد ذلك ما تريد وبما يعزم الله لك عليه. قال: فجعل هشام يدخل إلى منزله ويخرج ولا يستقر به موضع استعظاما لما قد انتهى إليه من أمر الجراح وأصحابه، قال: فكلمه خادم يقوم على رأسه فقال: يا أمير المؤمنين جعلني الله فداك! هؤلاء الاشراف الذين قد ألزمتهم بابك وأجريت عليهم أرزاقك لأي شيء يرادون إلا لمثل هذا اليوم! فقال هشام: والله لقد صدقت في ذلك! علي بهم، قال: فأدخل عليه كل من كان ببابه فاستشارهم هشام في أمره، فتكلم جماعة وقالوا: يا أمير المؤمنين! ليس لهذا الامر إلا سعيد بن عمرو الحرشي فإنه رجل مجرب وقد علمت ما كان منه بخراسان في جهاد الترك والسغد، وهو رجل مقدام بطل همام، غير أنه ضعيف البصر ونحن نرجو أن يقوم بأمر الخزر. قال فقال هشام: هو لها ما لها! سواه.

ذكر أمر سعيد بن عمرو الحرشي
وخروجه إلى الخزر

قال: وكان سعيد بن عمرو هذا ينزل مدينة من مدائن الشام يقال لها منبج، فأمر هشام كاتبه فكتب: أما بعد يا سعيد! فقد كان من أمر الجراح بن عبد الله وأصحابه ما لا يخفى عليك، فانظر إن ألفاك كتابي هذا وأنت قاعد فقم، وإن ألفاك قائما فلا تقعد، فإن الامر يجل عن الوصف - والسلام -.

قال: فلما ورد كتاب هشام على سعيد بن عمرو وقرأه وثب قائما، واستوى على بغل له وأمر بني عمه بالركوب فركبوا، وسار حتى قدم على هشام بن عبد الملك وهشام يومئذ على موضع يقال له الرصافة فاستأذن، فأذن له فدخل وسلم فرد عليه هشام السلام ثم أمر بالجلوس فجلس، فقال له هشام: يا سعيد! قتل أخوك الجراح بن عبد الله وقتل إخوانك من المسلمين بأرض أردبيل، فماذا عندك من الغناء؟ (١) فقال سعيد: يا أمير المؤمنين! ما كنت قط أقوى مني هذا اليوم، فقال هشام: الحمد الله على كل حال على ذلك، وكيف بصرك من ضعفه؟ فقال: يا أمير المؤمنين! هذا يوم يبصر فيه الأعمى ولا مخبأ لعطر بعد عروس (٢)، قال فقال هشام: أحسنت! وهذا كان ظني بك. قال: ثم أمر هشام فطلب من خزانته رمح من رماح أهل بدر، فما أصيب إلا رمح واحد فأتي به إلى هشام، فعقد للحرشي إلى ذلك الرمح عقدا بيده ودفعه إليه، فقال الحرشي: يا أمير المؤمنين! إني قد رأيت في منامي رؤيا عجيبة، فقال هشام: وما الذي رأيت يا سعيد؟ قال: رأيت كأني أتيت بنخل كثيرة فجعلت أحطمها برمحي حتى أتيت على غايتها، ثم إني أدخلت إلى قبر الجراح بن عبد الله وأخرجت من فيه، ثم انتبهت فزعا مرعوبا، فصرت بنفسي إلى محمد بن سيرين وقصصت عليه ما رأيت، فقال: أما النخل فإنها عساكر الخزر وأنت قاتلها إن شاء الله، وأما دخولك قبر الجراح فأنت الثائر بدمه. قال فقال هشام: والله إني لأرجو أن يقصم الله بك الكفار! وما ذلك على الله بعزيز. قال: فتناول الحري اللواء ثم صاح بغلام له: يا فرج! خذ هذا اللواء إليك، فقال هشام: يا سعيد! هذا اسمه أو أردت بذلك الفأل؟ فقال: بل هو اسمه يا أمير المؤمنين، قال: فأمر هشام بن عبد الملك له بخمسين درعا وخمسين سيفا وخمسين رمحا وخمسين مغفرا وخمسين قوسا وخمسين كنانة، وحمله على عشرة أفراس عربية، ثم انتخب له وجوه أهل الشام وأشراف العرب فضمهم إليه وقال: سر يا سعيد حتى تنزل الرقة، فلا تبرحها إلى أن يلحقك الناس.

قال: فسار الحرشي في قومه وبني عمه وسادات أهل الشام حتى نزل الرقة، وجعل هشام يندب إليه الناس حتى صاروا في ثلاثين ألفا. قال: ووجه إليه هشام

---

(١) في الطبري ٧ / ٧٠ وابن الأثير ٣ / ٣٣٠ قال الجراح: تبعثني على أربعين دابة من دواب البريد، ثم تبعث إلي كل يوم أربعين رجلا، ثم اكتب إلى أمراء الأجناد يوافوني.

(٢) مثل يضرب لمن لا يدخر عنه نفيس (الميداني - مجمع الأمثال).

بمائة ألف درهم وأمره بالتقدم إلى العدو. قال: فرحل الحرشي بجيشه ذلك، كان لا يمر بمدينة من الجزيرة إلا استنهض أهلها إلى حرب الخزر فيجيبه من كل مدينة قومهم ممن يريد الجهاد، فلم يزل كذلك حتى صار إلى مدينة يقال لها أرزن (١) فإذا هو
بقوم من أصحاب الجراح قد استقبلوه مفلولين يريدون الشام، فلما نظروا إلى الحرشي بكوا بكاء شديدا ثم نعوا إليه الجراح، فبكى الحرشي حتى علا نحيبه، ثم فرق عليهم مالا قواهم به وأمرهم بالرجوع معه إلى الجهاد، وجعل لا يلقاه واحد إلا أعطاه عشرة دنانير، ثم إنه دخل إلى الدرب الذي يعرف إلى يومنا هذا بدرب بني زرارة فقطعه حتى خرج إلى مدينة خلاط (٢) وفي قلعتها يومئذ جماعة من الكفار، فأقام عليها أياما حتى فتحها، وقتل مقاتلتها، وقسم على أصحابه غنائمها. ثم تقدم من خلاط (٣) فجعل يفتح قلعة بعد قلعة وحصنا بعد حصن حتى صار إلى برذعة فنزلها وتباشر به أهل برذعة من المسلمين الذين بها. قال: ونارستيك بن خاقان يومئذ في بلاد أذربيجان يقتل ويسبي (٤). قال: واجتمع الناس إلى الحرشي من كل أوب عازمين على الجهاد، فقام في الناس خطيبا، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أما بعد يا معشر المسلمين! فليعد موسركم على معسركم، فليس هذا يوم ادخار الأموال، ألا! ومن كان عنده فضل دابة فليحمل عليها رجلا من المسلمين، واستعينوا بالله وتوكلوا عليه، واستنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم. قال: فناداه الناس من كل ناحية: سمعنا وأطعنا أيها الأمير! فسر بنا إلى عدونا يرحمك الله عز وجل.

ذكر الرجل الرستاقي

قال: وسار الحرشي من برذعة حتى نزل البيلقان، فلما استقر بها أقبل إليه رجل من رستاقها فقال: أصلح الله الأمير! إني رجل ملهوف فاسمع مني ما أقوله، فقال الحرشي: قل ما بدا لك، فقال: إن نارستيك بن خاقان لما قتل الجراح بن عبد الله وفعل بأهل أردبيل ما فعل بعث إلى هذا الرستاق بطرخان من طراخنته، ففرق أصحابه في هذه القرى فأخذ ابنتين لي، فجردهما من ثيابهما وأمرهما أن تسقياه الخمر عريانين، وهو الان نازل في قرية من هذه الرستاق آمنا مطمئنا لا يعلم بشيء

---

(١) أرزن: مدينة مشهورة قرب خلاط، ولها قلعة حصينة وكانت من أعمر نواحي أرمينيا.
(٢) بالأصل: (أخلاط) وما أثبت عن ابن الأثير ٣ / ٣٣٠ وخلاط هي قصبة أرمينيا الوسطى.
(٣) بالأصل: (أخلاط).
(٤) وكان ابن خاقان يومئذ يحاصر مدينة ورثان كما في ابن الأثير. وفتوح البلدان ص ٢٠٨.

من خبر قدومك إليه، فيصبح سكران ويمسي سكران، فوجه إليه أيها الأمير معي برجل من أصحابك فعسى الله تبارك وتعالى أن يمكن منه وأستنقذ منه ابنتي وأنت في ذلك مأجور! فاغتم الحرشي لذلك غما شديدا، ثم دعا برجل من بني عمه يقال له عبد الملك (١) بن مسلم العقيلي فضم إليه جماعة من فرسان أصحابه ووجه بهم الرستاقي إلى القرية التي فيها الطرخان، ثم أقبل بعبد الملك بن مسلم حتى أوقفه على البيت الذي للطرخان، قال: فصعد العقيلي وتطلع من كوة (٢) البيت فإذا هو بالطرخان سكران لا يعقل والجاريتان عند رأسه، قال: فرمى بنفسه من كوة (٢) البيت فسقط على الكانون، ثم وثب على الطرخان، فلم يزل يضربه بسيفه حتى قتله، ثم احتز رأسه وخرج إلى أصحابه والجاريتان معه فسلمهما إلى أبيهما، ثم وضع السيف فقتل كل خزري كان في تلك القرية وغنم ما غنم، ثم رجع إلى الحرشي فخبره بذلك. قال: فكان ذلك أول فتح كان للحرشي.

قال: واتصل الخبر بالحرشي بأن نارستيك بن خاقان ملك الخزر محاصر لأهل مدينة ورثان في جمع عظيم، فدعا برجل من أهل البيلقان يقال له بردك (٣) - وكان بردك هذا من أبناء فارس، وكان مع ذلك شجاعا بطلا، وكان فصيحا بالخزرية، وكان يعرف بصاحب البرذون الأبلق. قال: فدعاه الحرشي فقال: يا بردك! أنت ترجل مسلم وأريد منك أن تهب نفسك لله وللمسلمين وتصير إلى ورثان فتعلمهم أني قادم إليهم لكيلا يسلموا مدينتهم إلى الخزر! قال فقال له الرجل: أفعل ذلك أيها الأمير إن شاء الله! قال: فخرج الرجل في جوف الليل يريد إلى مدينة ورثان، فلما أصبح وقع عليه قوم من الخزر فأخذوه ثم سألوه عن ح اله، فخبرهم أنه رسول الحرشي إلى أهل ورثان يعلمهم أن الحرشي قادم، قال فقال له الخزر: أين الحرشي؟ قال: بالبيلقان، قالوا: فإن أحببت الان أن نخلي سبيلك وأن تنجو بنفسك فتقدم إلى مدينة ورثان وخبرهم بأنه ليس بقادم عليهم أحد من العرب حتى يسلموا المدينة إلينا! قال فقال لهم: أفعل ذلك غير أنكم قد أخذتم برذوني هذا الأبلق وأنا لا أعرف إلا به، فردوه علي وقربوني من المدينة، قال: فردوا عليه برذونه، فاستوى عليه ثم نادى بأعلى صوته: يا أهل ورثان! هل تعرفونني؟ فقالوا:

---

(١) في فتوح البلدان ص ٢٠٨ ورد ذكره في رجال الحرشي.
(٢) بالأصل (كورة) وما أثبت يناسب سياق المعنى.
(٣) في ابن الأثير ٣ / ٣٣٠ فأرسل بعض أصحابه.

نعم أنت بردك (١) البيلقاني صاحب البرذون الأبلق، فقال: صدقتم أنا هو، ولكن أبشروا قد جاءكم سعيد بن عمرو الحرشي في عسكر لجب وهو بالبيلقان، فشدوا أيديكم بمدينتكم ولا تسلموها إلى الخزر، فإن الحرشي يصبحكم غدا (٢) إن شاء الله ولا قوة إلا بالله! وأما أنا فإني مقتول - وعليكم السلام -. قال: فلما سمع أهل ورثان ذلك رفعوا أصواتهم بالتكبير، وعلمت الخزر أن بردك قد نصحهم وبشرهم بقدوم الحرشي عليهم، فشدوا عليه بالسيوف فقتلوه.

قال: وبلغ ذلك الحرشي فأمر بحطب كثير، فجمع له، ثم أمر فألهبت فيه النيران لكي يرتفع دخانه فيعلم أهل ورثان أني قادم عليهم، قال: ونظرت الخزر إلى ذلك الدخان فارتحلوا عن باب ورثان حتى صاروا إلى صحراء البلاشجان (٣) ومن البلاشجان إلى حصن باجروان. قال: وأقبل الحرشي إلى باب ورثان فنزل على بابها يومه ذلك، فخرجوا إليه بالأطعمة والعلوفة، وانضم إليه منهم زهاء على ألفي فارس، فارتحل الحرشي من ورثان في طلب الخزر من بين يديه إلى ناحية أردبيل وإلى ناحية الميمذ (٤)، وأقبل الحرشي حتى نزل باجروان.

فلما استقر به الموضع إذا بفارس قد أقبل على فرس كالقرطاس الأبيض من شدة بياضه وعلى الفارس أيضا ثياب بيض حتى وقف على الحرشي، والحرشي قاعد على باب حصن باجروان فسلم عليه، فرد عليه الحرشي السلام ثم قال: من أنت عافاك الله؟ فقال له الفارس؟ أنا عبد من عبيد الله، ولكن هل لك أيها الأمير في الجهاد والغنيمة من حاجة؟ قال الحرشي: وكيف لي بذلك؟ فقال: هذا عسكر الخزر في عشرة آلاف (٥) أهل بيت من المسلمين أسارى وسبايا وقد نزلوا على أربعة فراسخ من موضعك هذا بأرض يقال لها رستك (٦) فإن أردتهم فهذا وقتهم، قال: ثم تركه صاحب الفرس ومضى. ونادى الحرشي في أصحابه: أيها الناس! اركبوا إلى الجهاد والغنيمة رحمكم الله! وانظروا أن لا يصحبني منكم إلا صاحب بيضة محكمة

---

(١) بالأصل (يزدك) وقد مر أنه (بردك) وفي ابن الأثير: قالوا: نعم أنت فلان.
(٢) ابن الأثير: في هذين اليومين يصل إليكم.
(٣) كذا بالأصل، ولم نجده.
(٤) بالأصل (الميمند) وما أثبت عن فتوح البلدان، وفيها ميمذ من عمل أذربيجان.
(٥) في ابن الأثير: في عشرة آلاف ومعهم خمسة آلاف من أهل بيت المسلمين.
(٦) كذا، ولم نعثر عليه.

ودرع سابغ وسيف قاطع، ثم دعا الحرشي بدرعه وأفرغه عليه وتقلد بسيفه، ثم قدم إليه فرسه فسما وتقدم على باب باجروان، فجعل ينظر إلى قائد بعد قائد حتى خرج إليه أربعة من القواد في أربعة آلاف رجل على ما أراد من الهيئة والسلاح، فقال: حسبكم، الان اغلقوا الباب، فغلق باب باجروان.

ثم دعا الحرشي - ليأتيهم بالخبر - برجل يقال له إبراهيم بن عاصم العقيلي فأرسله إلى الخزر، قال: وكان إبراهيم هذا فصيحا بالخزرية، فأقبل يسير في جوف الليل نحو عسكر الخزر والحرشي من ورائهم في أربعة آلاف. قال: وسيفه إبراهيم بن عاصم هذا فدخل عسكر الخزر وكان يلبس كلباسهم ويتشبه بهم، فجعل يجول في عسكرهم راجلا والخزر آمنون مطمئنون. قال: وإذا طرخان من طراختهم عنده سرية للجراح بن عبد الله فهو يراودها عن نفسها وهي تبكي وتقول: يا رب! ما لنا أحد سواك وقد ترى ما نحن فيه، فوعدك الحق. قال: فلما سمع إبراهيم بن عاصم مقالة الجارية هم أن يهجم على الطرخان فيقتله، ثم إنه خشي أن يقتل ولا يبلغ حاجته، فرجع إلى الحرشي فخبره بذلك. قال: فبكى الحرشي ومن معه من المسلمين بكاء شديدا، ثم أمسكوا عن بكائهم وجعلوا يسيرون حتى أشرفوا على عسكر الخزر في آخر الليل والقوم نيام، فلما نظر إليهم الحرشي على تلك الحالة فرق عليهم أصحابه من أربعة أوجه وأمرهم أن لا يقدموا إليهم حتى لا يسمعوا التكبير. قال: وبرق عمود الصبح فكبر الحرشي وكبر معه المسلمون، وسمع الأسارى التكبير فأيقنوا بالفرج، ووضع المسلمون فيهم السيف، فما بزغت الشمس حتى أبيدوا بأجمعهم في معركة واحدة وهم عشرة آلاف، فما أفلت منهم إلا رجل واحد وإنه سار إلى نارستيك بن خاقان فخبره بذلك، فأنشأ رجل من المسلمين يقول أبياتا مطلعها:

تشبث لمتي همي بما لا * يهم به الضعيف من الرجال

إلى آخرها.

قال: وجمع الحرشي غنائم الخزر، واستنقذ المسلمون والمسلمات والذراري الذين كانوا في أيدي الخزر ودوابهم، وسار حتى صار إلى باجروان.

قال: فما دخلها حينا حتى أقبل إليه صاحب الفرش الأشهب (١) فقال: السلام

---

(١) في ابن الأثير ٣ / ٣٣١ صاحب الفرس الأبيض.

عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته! فقال له الحرشي: أيها [الرجل] أين أنت؟ فإني قد أمرت لك بجائزة فخذها فإنك رجل ناصح دال على الخبر والاجر والثواب، فقال له: أيها الأمير! تكون هذه الجائزة عندك فإنها (١) أحرز لها، ولكن هل لك أيها الأمير في الغنيمة الباردة؟ فقال الحرشي: وكيف لنا بذلك؟ فقال: هذا جيش الخزر قد أقبل ومعهم أموال المسلمين وحرم الجراح بن عبد الله وأولاده، وهم يريدون إلى بلادهم غير أنهم نزلوا على نهر الميمذ (٢) من ههنا على فراسخ يسيرة للخيل، فإن أردتهم أيها الأمير فهذا وقتهم. قال: ثم مضى الرجل ونادى الحرشي في أصحابه، وسار بهم نحو نهر الميمذ، فلما أشرف على النهر إذا هو بجيش الخزر في عشرين ألفا أو يزيدون ومعهم الأسارى من المسلمين والمسلمات، قال: فكبر الحرشي وكبر المسلمون معه، ثم حملوا على جميع الخزر ووضعوا فيهم السيف، فلما أفلت منهم إلا الشريد، واحتوى الحرشي على الغنائم، واستنقذ الأسارى، وإذا فيهم جواري الجراح وأولاده وحرمه وجميع أمواله، فجعل الحرشي يضم أولاد الجراح إلى صدره ويبكي ويقول: يا بني أخي! ليتني كنت مع أبيكم فنحيى جميعا أو نموت جميعا! قال: ثم سار الحرشي بالمسلمين والمسلمات والغنائم يريد إلى باجروان، فأنشأ رجل من بني عبس يقول أبياتا مطلعها:

أنا العبسي أذكر مجد قومي * يحوزون النهاب ويحكمونا

إلى آخرها.

قال: ودخل الحرشي إلى باجروان بغنائم الخزر.

قال: وبلغ ذلك نارستيك بن خاقان ملك الخزر فهم أن يقتل نفسه من شدة الغم، ثم أقبل على طراخنته ووجوه أصحابه فقال: ويلكم يا معشر الخزر! أنتم تعلمون أني قفلت الجراح وهو ملك من البلاد، ثم استبحت عسكره وأسرت من أسرت، وسبيت من سبيت، ثم جاءكم رجل على بغل في قلة وذلة ففعل بي وبكم ما فعل وأخذ غنيمتي فقتل أصحابي، أفليس الموت خيرا لي من ذلك؟ قال: فضجت الخزر من كل ناحية وقالوا: أيها الأمير! لا عليك فإنها نأتيك به أسيرا فاصنع به ما أحببت. قال: فعندها جعل نارستيك بن خاقان يجمع أطرافه ويضم إليه أصحابه من جميع بلاد أذربيجان، حتى اجتمع له خلق كثير، وبلغ ذلك سعيد بن

---

(١) كذا بالأصل، والمناسب: فإنك.

(٢) في ابن الأثير: بمكان كذا.

عمرو الحرشي فأرسل إلى ورثان والبيلقان وبرذعة وقبلة (١) وإلى جميع بلاد أرمينية، فحشر إليه الناس من المزرفة (٢) والمطوعة (٣) وسائر الناس، فسار بهم في جمع عظيم. قال: وإذا بصاحب الفرس الأشهب قد أقبل فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته! فقال له سعيد بن عمرو: يا هذا أنت رجل مبارك علينا، وذلك أنك عرضتنا للغنيمة والشهادة غير مرة، وقد اجتمعت لك عندنا جوائز وقد أمرنا لك بها، فلم لا تأخذها يرحمك الله؟ فقال: تكون هذه الجوائز عند الأمير إلى وقت حاجتي إليها، ولكن هل للأمير في نارستيك بن خاقان وجيشه وفي الجهاد والغنيمة؟ قال الحرشي: ما أحوجنا إلى ذلك! قال: فإنه قد سار إلى ما قبلك في جمع عظيم ومعه أربعون ألف عجلة عليها المسلمون والمسلمات والذراري والأمتعة، فإن أردتهم فهذا وقتهم. قال: ثم مضى الرجل، ونادى الحرشي في أصحابه، فركبوا بأجمعهم، ثم سار بهم سيرا عنيفا حتى وافى بهم أرض برزند (٤) وبها يومئذ نارستيك بن خاقان في جملة عساكر الخزر، فلما نظر إلى عساكر العرب واقفة عبى أصحابه تعبية الحرب، وعبى الحرشي أصحابه كذلك في وقت العصر، وتقدم على برذون له أدهم وسيفه على عاتقه، وتقدم المسلمون معه نحو الخزر. قال: وصدقتهم الخزر القتال فدفعوا المسلمين دفعة اضطروهم إلى سفح الجبل. فلما نظر الحرشي إلى ذلك حسر البيضة عن رأسه ثم وعظ الناس وذكرهم وحرضهم على القتال، وقال: ويحكم! يا أهل الاسلام إلي! تنهزمون من بين يدي هؤلاء الأغنام الذين لا يعرفون الله ولا يعبدونه، أما تسمعون أطيط العجل عليها المسلمون والمسلمات أسارى ينادون: وا محمداه! وا أبا القاسماه! قال: فثاب إليه المسلمون من كل ناحية، ثم إنهم صدقوا القتال فقاتلوا قتالا شديدا، وصدق الله وعده وأعز جنده ونصر أولياءه وأذل أعداءه، وانهزمت الخزر من بين يدي المسلمين هزيمة قبيحة ومعهم ملكهم نارستيك بن خاقان، واحتوى الحرشي وأصحابه على سوادهم وأموالهم وقليلهم وكثيرهم، وحاز العجل ومن عليها من المسلمين والذراري والأمتعة، وأنشأ رجل من المسلمين في ذلك يقول أبياتا مطلعها:

لنا هضبة تعلو الهضاب بعيدة * من الذل يخشى درها من يحاربه

---

(١) قبلة: مدينة قديمة قرب الدربند وهو باب الأبواب من أعمال أرمينية.
(٢) المزرفة: قرية كثيرة فوق بغداد على دجلة.
(٣) المطوعة: موضع من نواحي البصرة.
(٤) برزند: بلد من نواحي تفليس من أعمال جرزان من أرمينيا الأولى.

إلى آخرها.
وانهزمت الخزر على وجوهها، والمسلمون في طلبهم حتى بلغوا بهم إلى شاطئ لهم (١)، ثم رجعوا عنهم وساقوا الأسارى والغنائم إلى باجروان.
قال: وإذا بصاحب الفرس الأشهب قد أقبل إلى الحرشي فقال: السلام عليك أيها الأمير ورحمة الله وبركاته! قم أيها الأمير وناد في أصحابك فليركبوا. فهذا نارستيك بن خاقان عدو الله قد التأم عليه عامة من شذ عنه من أصحابه، وقد أقبل إليك في جمهور الطراخنة وفرسان الخزر، وقد نزل على نهر موقان (٢) في جمع عظيم وجيش كثير، فلا يهولنك أمرهم أيها الأمير! فإن الله ناصرك وخاذلهم وجاعل دائرة السوء عليهم، فإني خائف أن يصبحك غدا في جمعه ذلك وليس الامر بصغير، وقد أعذر من أنذر. قال: ثم تركه ومضى، ونادى الحرشي في أصحابه من المسلمين أن لا يبقى أحد من المسلمين صغير ولا كبير إلا ركب واستعد للموت.
قال: فركب المسلمون بأجمعهم، ويقولون: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، بالله استعنا وعليه توكلنا وهو حسبنا ونعم الوكيل! قال: ثم دعا الحرشي بقوم من ثقات أصحابه وأمرهم بحفظ مدينة باجروان ومن بها من المسلمين والمسلمات والغنائم، ثم سار في ثلاثة وخمسين ألفا من أهل الشام والجزيرة ومن التأم إليه من جميع البلاد حتى وافى نهر موقان (٣)، وإذا نارستيك بن خاقان هنالك في تسعين ومائة ألف. فلما نظر إلى غبار خيل المسلمين وثب فعبى أصحابه، ودنا منهم الحرشي على غير تعبية حتى وافقهم هنالك، ثم دعا بعصابة فعصب بها حاجبه وقال: أيها الناس! هل فيكم من يعرف نارستيك بن خاقان؟ فقالوا: نعم، هو صاحب التاج الواقف تحت البيداء الأعظم الذي عليه الرأس. فقال الحرشي: وما ذلك الرأس؟ قالوا: رأس الجراح بن عبد الله، قال: فدمعت عينا الحرشي ثم قال: إنا لله وإنا إليه راجعون! لا خير في الحياة بعد هذا اليوم. ثم صاح بالناس فحمل وحملوا معه، فلم يكذب الحرشي أن وصل إلى نارستيك بن خاقان فضربه على تاجه ضربة صرعه عن فرسه إلى الأرض. قال: واجتمعت إليه الخزر فخلصوه من المعركة، واشتد القتال بين الفريقين فقتل من المسلمين ومن الخزر خلق كثير، وغرق في نهر موقان ما لا يحصون كثرة، وانهزم الباقون نحو البحر، ثم أخذوا على

---

(١) في ابن الأثير ٣ / ٣٣١ بلغوا بهم إلى نهر الرس.
(٢) في ابن الأثير: على نهر البيلقان.
(٣) ابن الأثير: نهر البيلقان.

الساحل حتى صاروا إلى مجمع النهرين من الكر والرس، فأنشأ رجل من قيس غيلان يقول أبياتا مطلعها:
وقيس أوطأت خاقان ذلا * وقائع منهم فيها اعتداء
إلى آخرها.
قال: وجاء الليل فهجم على المسلمين والحرشي قاعد ما ينام وسلاحه عليه، فكلما جاء رجل في جوف الليل يقول الحرشي: من أنت؟ فيقول: أنا فلان أصلح الله الأمير! فلم يزل الحرشي كذلك يفتقد فرسان أصحابه حتى حلوا بأجمعهم إلا رجلا واحدا وهو الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي. قال: فاغتم الحرشي له غما شديدا ولم يدر ما حاله، حتى إذا كان في الثلث الأخير من الليل إذا رجل قد أقبل، فقال الحرشي: من هذا؟ أنا فلان أصلح الله الأمير! قال الحرشي:
ويحك! هل رأيت الهذيل بن زفر؟ فقال: نعم أيها الأمير رأيته على فرس له أبلق وهو يحاول رجلا من الخزر على شاطئ النهر، فلا أدري إلى ماذا صار أمره، قال الحرشي: ويحك! فهلا وقفت عليه وأعنته بنفسك! سوءة لك من رجل! وإن كنت عربيا فلا أكثر الله في العرب مثلك! أترى رجلا مسلما يحاوز رجلا كافرا فلا تعينه بنفسك! قال: فلما أصبح إذا بالهذيل بن زفر قد أقبل ورأس الخزري معلق من سرجه، فقال له الحرشي: ويحك يا هذيل! لقد غررت بنفسك في مثل هذا الكلب! فقال الهذيل: أصلح الله الأمير لقد لقيت منه عشاء ولا مارست في هؤلاء الخزر رجلا هو أشد منه.
قال: ثم جمع الحرشي غنائم الخزر وسار حتى صار إلى باجروان، فأخرج من تلك الغنائم كلها الخمس، وقسم باقي ذلك في المسلمين، فبلغ منهم كل رجل من المسلمين ألف وثمانمائة دينار سوى الأثاث والدواب. قال: ثم وجه الحرشي بالخمس من تلك الغنائم إلى هشام بن عبد الملك وكتب إليه يخبره بما فتح الله عز وجل على يديه من الخزر، فسر هشام (١) بذلك سرورا شديدا، ثم كتب إلى الحرشي يجزيه ويجزي المسلمين خيرا ويبشرهم بثواب الله الجزيل الذي وعد عباده المجاهدين في سبيل الله.
قال: وهربت الخزر على وجوهها نحو بلادهم والمسلمون في طلبهم حتى

---

(١) بالأصل: هاشم. خطأ.

بلغوا بهم أرض الشروان (١)، ثم مضت الخزر من هنالك ولم يتبعهم المسلمون، وأقام الحرشي بأرض الشروان (٢) ينتظر أمر هشام وما يأمر به.

ذكر ولاية مسلمة بن عبد الملك وعزل سعيد ابن عمرو الحرشي عن البلاد

قال: وإذا كتاب قد ورد على الحرشي بأن مسلمة بن عبد الملك قد ولاه أمير المؤمنين، وكتب إلى الحرشي: أما بعد فإذا ورد عليك مسلمة بن عبد الملك فسلم عليه

وسلم إليه العمل وأقدم على أمير المؤمنين ليكافئك على فعلك الجميل. قال: فلما قرأ الحري الكتاب قال: سمعا وطاعة لأمير المؤمنين وللأمير مسلمة. ثم أقام في موضعه ذلك لا يحارب أحدا.

قال: وأقبل مسلمة بن عبد الملك من الشام أميرا على أرمينية وأذربيجان حتى صار إلى مدينة برذعة فنزلها، ثم أرسل إلى الحرشي فأشخصه إليه من أرض الشروان، فلما جاءه ودخل عليه قال له مسلمة: يا سعيد! ألم يأتك كتابي أمرتك فيه أن لا تتعرض لحرب الخزر حتى أقدم عليك! فلم هونت بنفسك وخاطرت بمن معك من المسلمين؟ فقال الحرشي: أصلح الله الأمير! إنه لم يرد علي كتابك إلا بعد ما هزم الله الخزر وأمكن منهم، ولو ورد علي كتابك قبل ذلك لما تعديت أمرك، فقال مسلمة: كذبت، ولكن أحببت أن يقال: فعل الحرشي وقتل الحرشي، وصرم الحرشي، فقال الحرشي: إني لم أرد ذلك ولكني أردت ما عند الله وكان الرأي ما صنعت، والأمير أصلحه الله يعلم أن هذا كما أقول - والسلام.

قال: فغضب مسلمة من ذلك، ثم أحر بالحرشي فوجئ في عنقه وشتمه، وأمر بلوائه فضرب على رأسه، وسحب برجله إلى السجن (٣).

قال: فجلس الحرشي في سجن برذعة واتصل الخبر بهشام بن عبد الملك، فغضب على أخيه مسلمة غضبا شديدا ثم كتب إليه: أما بعد فقد بلغ أمير المؤمنين ما كان من خطئك في سعيد بن عمرو الحرشي وشتمك له واستخفافك بحقه وضربك

---

(١) مدينة من نواحي باب الأبواب الذي تسميه الفرس الدربند، وبينها وبين باب الأبواب مائة فرسخ.

(٢) في ابن الأثير: أقام بباجروان.

(٣) انظر فتوح البلدان ص ٢٠٨ - ٢٠٩.

بلوائه على رأسه وسحبك له برجله إلى السجن، وقد علمت أنك قد حسدته، نعم الله علي أمير المؤمنين به، فلو كنت قد تداركت زلتك فيه بالاكرام والاعتذار إليه إذا لأعفاك أمير المؤمنين من موجدته عليك وقبل توبتك فيه، ولكنك تماديت في لجاجك فبقيت عليك موجدة أمير المؤمنين ولست تدري ما يكون حالك غدا عند رب العالمين، فإن ذلك لمن أعظم الأمور قالة عند أهل الاسلام فيك، فأما مآلك عند الله من الاثم فإن الامل في عفو الله عظيم - والسلام -.

قال: فورد الكتاب على مسلمة وقد عبر نهر الكر وتقارب من بلاد الشروان، فلما قرأ الكتاب كأنه ندم على ما فعل بالحرشي. قال: وإذا كتاب هشام قد أقبل إلى الحرشي على البريد يعتذر إليه بما فعل به مسلمة، وتنصل إليه وبعده الرضاء له ولأهل بيته وعشيرته. قال: فجاءت رسل مسلمة أيضا على البريد إلى البرذعة، فأخرج الحرشي من السجن، وانطلقوا به إلى الحمام فنظفوه وألبسوه خلعا قد بعث هشام إليه، ثم جاءه بقارورة وقد ملئت غالية، فغلوه بها وحملوه على البريد إلى هشام. قال: فلما أدخل عليه قربه هشام وأدناه وخلع عليه وأحسن جائزته، ثم أقطعه وأقطع أهل بيته وعشيرته قطائع، فهي اليوم لا تعرف إلا بهم من ذلك اليوم والزمان الماضي.

ذكر مسير مسلمة بن عبد الملك إلى جهاد الكفار ومحاربته لهم

قال: وسار مسلمة بالمسلمين حتى نزل على قلعة حيزان (١) من أرض الشروان فدعا أهلها إلى الطاعة فأبوا عليه، فحاربهم أياما فلم يقدر عليهم فأمسك عن قتالهم، ولم يزل محاصرا لهم حتى فني طعامهم، وجاعوا جوعا شديدا، فبعثوا إليه وسألوه الأمان على أنه لا يقتل منهم أحدا، فحلف لهم مسلمة أنه لا يقتل منهم رجلا واحدا ولا كلبا واحدا، فرضوا بذلك ولم يحسنوا أن يستوثقوا لأنفسهم، ثم نزلوا من قلعتهم وكانوا ألف رجل من المقاتلة، فقتل منهم تسعمائة وتسعة وتسعين مقاتلا وخلى عن رجل واحد، وقتل كل كلب كان في القلعة ما خلا كلبا واحدا، ثم أمر بهدم حصنهم فهدم حتى وضع بالأرض، ثم أمر بنسائهم وأولادهم فأسكنوا أرض

---

(١) عن معجم البلدان، وبالأصل (حيران) وفي فتوح البلدان ص ٢٠٩: (خيزان).

حيزان (١).
ثم سار مسلمة من هناك يريد مدينة الباب والأبواب، وكان لا يدخل بلدا إلا سالمه أهلها وخرج إليه ملكها بخيله ورجله. قال: فاجتمع إليه ملوك الجبال (٢) بأجمعهم وأدوا إليه الخراج وساروا معه، حتى صار إلى مدينة الباب وفي قلعتها يومئذ ألف رجل من طراخنة الخزر وكان رتبهم ملك الخزر هنالك فلم يعرض لهم مسلمة إلا بسبيل الخير لكنه تركهم وجاز من مدينة الباب حتى صار إلى الحصنين اللذين هنالك فلم ير فيهما أحدا، ثم سار إلى البلنجر فلم ير فيه أحد.
وبلغ خاقان ملك الخزر بأن مسلمة بن عبد الملك قد دخل إلى بلاده، فجعل يجمع الجموع من أرض الخزر حتى صار في جمع عظيم. قال: وسار مسلمة في جيشه ذلك حتى صار إلى الوبندر ثم إلى سمندر فلم ير هنالك أحدا، فجاز يريد إلى خاقان ملك الخزر. قال: وإذا الأمم قد سارت إلى مسلمة مع جميع أصناف الكفار فيما لا يطيقهم مسلمة ولا جيشه ولا يحصي عددهم إلا الذي خلقهم. قال: فلما علم بذلك مسلمة أمر أصحابه أن يوقدوا النيران، ففعلوا ذلك. فلما كان الليل تركوا خيامهم مضروبة في موضعها وارتحلوا بعد عشاء الآخرة، وجعل مسلمة يطوي المراحل طيا فجعل كل مرحلتين مرحلة، غير أنه قدم الضعفاء بين يديه والأقوياء أهل الجلد والشجاعة على الساقة، فلم يزل كذلك حتى صار إلى مدينة الباب (٣).
ثم أقبل حتى نزل ما بين الرمل إلى باب واق (٤) وما يليه، ثم إنه خندق على نفسه خندقا فحصن نفسه وعسكره بالخندق والحسك. قال: وأقبلت الخزر في جمع لم ير مثله. فلما نظر مسلمة إلى ذلك جمع أصحابه من ملوك الجبال الذين كانوا معه فقال لهم: ما الرأي في هذا العدو؟ فقالوا: أيها الأمير! أمدنا بقناديل النشاب وقدمنا أمام عسكرك وذرنا وإياهم، فإن قتلنا فإلى الله والجنة، وإن فتحنا فتحا فذلك الذي نريد. فقال مسلمة: أما إنكم قد نصحتم في المشورة فجزيتم عن الاسلام خيرا. قال: ثم وثب مسلمة فعبى أصحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحا، وقدم ملوك

---

(١) في فتوح البلدان ص ٢٠٩ وصالح مسلمة أهل خيزان وأمر بحصنها فهدم. واتخذ لنفسه به ضياعا وهي اليوم تعرف بحوز خيران.
(٢) انظر فتوح البلدان ص ٢٠٩.
(٣) انظر ابن الأثير ٣ / ٣٣٩. (٤) كذا ولم نعثر عليه.

الجبال بين يديه وأمرهم بقناديل النشاب، ثم أمر بلوائه فنصب بين يديه. قال: ونظر خاقان ملك الخزر إلى ذلك اللواء، فأقبل على طراخنته وأهل الشدة من أهل طاعته فقال لهم: اعلموا أن هذا اللواء ما نشر مذ عقد إلا في هذا اليوم فتقدموا نحوه، فإن قدرتم على أن تأخذوه وتكسروه فقد ظفرتم، فأخرجوا الان وانظروا لا ينصرفن أحد منكم إلا وقد أثر فيه أثرا محمودا! قال: فخرج طرخان من طراخنة الخزر في كردوس عظيم نحو المسلمين، وضرب مروان بن محمد بن مروان بطن فرسه فخرج من بين أصحابه وعليه قباء حرير أصفر وقد شد بريطة صفراء وقد خالف بين طرفيها على كتفيه، فقال: أيها المسلمون! فداكم أبي وأمي! إني أسألكم صبر ساعة، وضربا بالرؤوس على القرابيس، وقلة الكلام فإن كثرته فشل، ولا يضربن أحد منكم بسيفه إلا الوجه واليد. قال: فأجابه المسلمون بأحسن الجواب. ثم تقدم مروان بن محمد بن مروان وتقدم الناس نحو كراديس الخزر، قال: وثارت عجاجة وغيرة شديدة فلم يبصره أحد منهم. قال: وتقدم سليمان بن هشام إلى عمه مسلمة فقال: أيها الأمير! قتل والله مروان! فقال مسلمة: كلا ما قتل فاسكت! فسكت سليمان بن هشام وانكشفت العجاجة فنظر مسلمة إلى المسلمين من أصحاب مروان بن محمد فإذا بمروان بن محمد قد لصق بكراديس الخزر وقد قتل منهم جماعة وأصحابه وإنه ليمسح سيفه على معرفة (١) فرسه من دماء الخزر.

قال: وغضب خاقان ملك الخزر ثم أقبل على طراخنته وقال: أنا واقف من ورائكم أنظر إلى أفعالكم، فلا تستحيون أن يفضحكم رجل واحد! قال: ثم عبى كردوسا آخر أحسن من الاخر وأكثر رجالا وعدة. فقال: (٢) أنا أفدي هذه الوجوه! اعلموا أنه قد أتتكم مفاتيح الجنة ولكم ما وعدكم الله من جزيل ثوابه أنه من قتل منكم قد فاز بالثواب العظيم والجنة التي لا عدد لها وربكم لا يخلف الميعاد. قال: ثم حمل مروان بن محمد وأصحابه على كراديس الخزر فقتل منهم أكثر مما قتل في المرة الأولى وجرح منهم بشرا كثيرا، قال: وجعل خاقان كلما أخرج إلى المسلمين كردوسا من الخزر انفرد له مروان بن محمد وأصحابه فيأتي عليه حتى قتل من الخزر مقتلة عظيمة، ثم رجع إلى عسكر المسلمين فوقف فيه كما كان. ودعا مسلمة بالطعام فجعل يأكل هو وبنو عمه ووجوه الناس وخاقان واقف على فرسه مغتاظا ينظر

---

(١) بالأصل (مغرفة) وما أثبت يناسب السياق، ومعرفة الفرس يريد موضع العرف منه.
(٢) القائل هو مروان بن محمد.

إليه لا يدري ما يقول، ثم أقبل على طراخنته فقال: لأقتلن نفسي اليوم شر قتلة! ويلكم يا معشر الخزر! أنتم عشرة أضعافهم لاه عنكم يأكل ويشرب لا يبالي بكم ولا يحفل. قال فقال له الخزر: أيها الملك! لا تغضب فإنه إذا كان غدا أرضيناك وأتيناك بصاحبهم أسيرا فتصنع به ما أحببت.

قال: فلما أصبح خاقان عبى أصحابه كما كان يعبيهم بالأمس ثم إ نه انتخب الخزر خاصته فجعلهم بين يديه وفي القلب وأوصاهم وتقدم إليهم أن لا يقصروا في القتال. وعلم مسلمة بذلك فقال: ويلي على العلج الأقلف بعد الخزر فيجعلهم بين يديه والله لأعدن لهم خزر الغرب. قال: ثم عبى مسلمة الناس فجعل على ميمنته مروان بن محمد، وعلى ميسرته سليمان بن هشام، وعلى القلب العباس بن الوليد، وعلى الجناح الهذيل بن زفر بن الحارث الكلابي. قال: ودنا القوم بعضهم من بعض فالتحموا، واشتبك الحرب بين الفريقين، وكان الرجل من المسلمين يحمل على الخزري فيطعنه برمحه ثم يجر الرمح فينثني عليه فيضربه بسيفه حتى يقتله.

قال: فلم يزل القوم كذلك حتى تعالى النهار، قال: وإذا برجل قد أقبل إلى مسلمة بالأمان راغبا في دين الاسلام، فقال: هل لك في خاقان ملك الخزر؟ فقال مسلمة: وأين هو؟ فقال: في العجلة التي قبالتك التي عليها الديباج. قال: فأرسل مسلمة إلى مروان بن محمد فدعاه إليه ثم قال: أبا عبد الله! ألا ترى العجلة التي عليها الديباج؟ قال مروان: بلى قد رأيتها، فقال مسلمة: فإنها عجلة خاقان وهو قاعد فيها. قال مروان: فأنا له، قال مسلمة: وأنا معك أبا عبد الله! فوالله لئن نحن قدرنا عليه في هذا اليوم فلقد ذهبنا بذكرها آخر الأبد! قال: فتقدم سليمان بن هشام إلى عمه فقال: أيها الأمير! اسمع كلامي ولا تعجل، قال مسلمة: هات ما عندك، فقال سليمان: خاقان لم يقعد في العجلة إلا وقد عبى أصحابه وأبطال الخزر عن يمينه وشماله ومن ورائه، ولست آمن إن خرجت أنت ومروان أن يأمر الطراخنة فيحدق بكما، فلا يتهيأ لكما الرجوع إلى عسكركما إلا بعد ذهاب الأنفس، ولكن الرأي عندي أن تنتخب رجلا من أبطال عسكرك يكون قد عرفته بالبأس والشدة، فتضم إليه نفرا من أبطال عسكرك، ثم تأمره بالاقدام إلى خاقان. قال: فعلم مسلمة أن سليمان قد أتى بالرأي، فدعا برجل من أصحابه يقال له ثبيت (١) النهراني وكان

---

(١) بالأصل (تبيت) وقد مر ذكره. وقد صحح في كل مواضع الخير.

أحد الابطال، فقال له مسلمة: يا ثبيت! إني قد اخترتك من بين فرسان أصحابي لهذا الامر الذي قد ندبتك له، فإن وجدتك على ما ظننت بك في البأس والاقدام وبلغت من الامر ما أريد بلغت في عطائك، وأجزتك بعشرة آلاف درهم، وعرضتك لنوال أمير المؤمنين، ونوهت باسمك، وإن أنت كععت (١) وقصرت فلله علي عهد لأصلبنك على شجرة أقدر عليها. قال فقال له ثبيت: أصلح الله الأمير! مرني بما أحببت. قال مسلمة: اضمم إليك ألف رجل ممن تعرفهم وتثق بهم في البأس والشجاعة، ثم احمل بهم على عسكر خاقان، فلا ترجع أو تهزمه أو تأخذه أسيرا إن قدرت على ذلك. قال فقال ثبيت: أصلح الله الأمير! أما أخذه فلا أدري أقدر عليه أم لا! ولكن للأمير أيده الله علي أن لا أرجع أو أهزمه وأهزم أصحابه إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: ثم انتخب ثبيت النهراني ألف رجل من فرسان أهل الشام، ثم إنه عهد إليهم عهدا وأوصاهم وصية وقال: انظروا لا تقاتلون لمسلمة ولا لأمير المؤمنين هشام، ولكن قاتلوا عن دين الله وجاهدوا في سبيل الله. فقال له أصحابه: كفيت يرحمك الله! فاحمل حتى نحمل معك فترى ما تحب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم! قال: فتقدم ثبيت النهراني في هؤلاء الألف نحو خاقان، وخاقان يومئذ في عجلة له يقال لها الجدادة (٢) وقد فرشت له بأنواع الفرش، وقد عليت بقية من ديباج، وعلى رأس القبة رمانة من ذهب. قال: فلم يكذب ثبيت النهراني أن صار إلى العجلة فضرب القبة بسيفه ضربة خرقت الضربة الديباج ووصل السيف إلى خاقان فلم يصبه شيء، ففزع خاقان من ذلك ووثب من العجلة مسرعا إلى برذون له قد شد بجنب العجلة فاستوى عليه ومر منهزما فلم يقدر عليه، وحمل المسلمون على الخزر حملة، فولوا الادبار منهزمين وقد تفرقت عساكرهم حتى صاروا هاربين إلى بلادهم، فأنشأ ثبيت النهراني يقول أبياتا مطلعها:

كم كم وكم لي من يوم له رهج * وسط العجاجة بالهندية البتر

إلى آخرها:

قال: وجمع مسلمة غنائم الخزر فقسمها في المسلمين بعد أن أخرج منها

---

(١) بالأصل (كعت).

(٢) كذا بالأصل.

الخمس ثم نادى في أصحابه وأقبل نحو مدينة الباب، وفي قلعتها يومئذ ألف بيت من الخزر، فأقام عليها محاصرا لهم أياما كثيرة فلم يكن له فيهم حيلة (١)، فهم أن ينصرف عنهم وإذا برجل قد أقبل إليه من بعض تلك الأبواب فقال: أصلح الله الأمير! إن دفعت إليك هذه القلعة بمؤنة يسيرة هل ترد مالي وأهلي وولدي؟ قال مسلمة: نعم، لك ذلك، قال: فادفع إلي الساعة مائة رأس من البقر والغنم حتى أدفع إليك هذه القلعة، قال: فأمر له مسلمة بما أراد، فأقبل إلى العين التي استخرجها لهم أنو شروان بن قباذ في أول الدهر وأجراها إلى القلعة، فقال: احفروا هذا الموضع، حتى إذا بلغوا إلى الماء قال: قدموا الان هذه البقر والغنم فانحروها في هذه العين! فجعلوا ينحرون والدم يجري مع الماء إلى صهاريجهم، حتى إذا علم ذلك الرجل أن الدماء كلها قد صارت إلى الصهاريج أمر بقطع الماء فقطع عنهم، وأجرى آبارها إلى الوادي، وأصبح القوم وقد امتلأت صهاريجهم دما. فلم يلبثوا إلا ليلة حتى أنتنت الصهاريج، ثم إنها انتعشت بعد ذلك بالدود (٢)، فعطشوا عطشا شديدا، وأقبل ذلك الرجل إلى مسلمة فقال: أيها الأمير! قد هلك القوم عطشا فتنح عن باب القلعة وعن طريقهم حتى يهربوا وتصير القلعة في يدك، قال: فأمر مسلمة أصحابه فتنحوا عن باب القلعة. فلما كان الليل فتح القوم الباب وخرجوا هاربين على وجوههم، وصارت القلعة في أيدي المسلمين. وجاء مسلمة حتى دخل القلعة فنظر إليها وإلى حصانتها، ثم أمر أن تكنس تلك الصهاريج من ذلك الفرث والدم فكنست. ثم أجرى فيها الماء كما كان. ثم أمر مسلمة بمدينة الباب فقسمت أربعة أرباع: فجعل ربعا لأهل دمشق، وربعا لأهل حمص، وربعا لأهل فلسطين، وربعا لسائر أهل الشام والجزيرة، فهي اليوم لا تعرف إلا بهم.

قال: ثم دعا مسلمة برجل من أصحابه يقال له فرنر (٣) بن سويد الثعلبي فولاه مدينة الباب والأبواب، وأمره أن يجعل أبرجة المدينة إهراء للحنطة والشعير والسلاح، وأن يقيم شرف المدينة ويغلق عليها أبوابا من الحديد، ثم جعل مسلمة رتبة مدينة الباب مائة دينار وعشرة دنانير في كل سنة غير القمح والزيت والرزق شهرا بشهر (٤). قال: ثم دعا مسلمة بابن عمه مروان بن محمد فاستخلفه على جماعة

---

(١) بهامش الأصل: أخذ قلعة الخزر بحيلة يسيرة.

(٢) انظر فتوح البلدان ص ٢٠٩.

(٣) كذا بالأصل.

(٤) انظر فتوح البلدان ص ٢٠٩.

المسلمين بمدينة الباب، وانصرف حتى رجع إلى هشام بالشام فخبره بما فتح الله على يديه وأنه قد استخلف مروان بن محمد على جماعة من المسلمين.
قال: وعلمت الخزر أن مسلمة بن عبد الملك قد انصرف عنهم إلى بلاد الشام، فرجعوا إلى بلادهم التي أخذت منهم فأخذوها وسكنوها. وبلغ ذلك مروان ابن محمد فجمع الناس وعرضهم فكانوا يزيدون على أربعين ألفا، فسار بهم حتى صار إلى البلنجر، ثم رحل عن البلنجر في بلاد الخزر، ثم جعل يقتل ويسبي حتى قتل من الخزر خلقا كثيرا، وسبى الذراري والنساء واستاق المواشي حتى صار إلى مدينة الباب سالما غانما، وذلك في وقت الشتاء والبرد الشديد، فسميت هذه الغزوة غزوة الطين لكثرة الأمطار والوحول، وفي هذه الغزاة أمر بحذف أذناب الخيل فحذفت بأجمعها لكثرة اللبق والندى.
قال: وشتا مروان بن محمد تلك الشتوة بمدينة الباب، فلما كان في وجه الربيع بعث إليه هشام بن عبد الملك فعزله عن البلاد وأشخصه إليه، ودعا سعيد بن عمرو الحرشي فعقد له عقدا وولاه البلاد (١). قال: فتقدم سعيد بن عمرو الحرشي في أيام الربيع أميرا على جميع الأرمينية وأذربيجان والران وجرزان (٢)، فصار إلى مدينة الباب فنزلها، ثم جعل يغزو الخزر الليل مع النهار فلا يجف له لبد إلى أن ضعف بصره وكتب إلى هشام بن عبد الملك يخبره أن الماء الأسود قد نزل في عينيه وقد رق بصره، فليس يبصر سهلا ولا جبلا. قال: فأرسل هشام بثقته من الشام لينظر هل هو على ما قال أم لا! قال: فتقدم الثقة فنظر إلى سعيد بن عمرو فإذا هو كما قال. قال: فكتب إلى هشام يخبره بذلك، فأرسل هشام إلى الحرشي فعزله عن البلاد (٣)، ودعا بمروان بن محمد بن مروان فعقد له على أرمينية وأذربيجان، وأمره بمحاربة الخزر.
قال: وأقبل مروان من الشام في عشرين ومائة ألف حتى صار إلى أرمينية، ثم

---

(١) لم يرد ذكره في الطبري وابن الأثير. وعبارة الطبري ٧ / ٩٠ وفيها (سنة ١١٤) قفل مسلمة بن عبد الملك عن الباب بعدما هزم خاقان وبنى الباب فأحكم ما هنالك. وفي هذه السنة ولى هشام مروان بن محمد أرمينيا وأذربيجان. أما في فتوح البلدان: ولى هشام بعد مسلمة سعيد الحرشي فأقام بالثغر سنتين ثم ولى الثغر مروان بن محمد.
(٢) في معجم البلدان: جرزان وأران مما يلي أبواب أرمينية.
(٣) وذلك بعد سنتين من ولايته كما في فتوح البلدان ص ٢٠٩.

نزل بموضع يقال له كساك (١) على أربعين فرسخا من مدينة برذعة وعشرين فرسخا من
تفليس، ثم جعل يقاتل ملوك أرمينية وبطارقتها حتى أذعنوا له بالسمع والطاعة. ثم إنه تقدم فجعل يفتح قلعة بعد قلعة حتى فتح قلاع أرمينية كلها، ثم كتب إلى جميع الأجناد الذين بالباب والأبواب أن يدخلوا بلاد الخزر وأن يوافوه بمدينة سمندر.
قال: ثم نادى مروان في أصحابه وسار حتى دخل باب اللان (٢) فجعل يقتل ويسبي ويحرق حتى صار إلى سمندر وهي مدينة من مدائن الخزر. قال: ووافته عساكر المسلمين في خمسين ومائة ألف، فعندها عبى أصحابه هنالك تعبية حسنة ولم يترك معه قائدا ولا تابعا ولا خادما إلا ألبسه بيضة، وحمله رمحا وفي رأسه سنان كأنه شعلة نار. قال: وكان العسكر من شدة البريق لا يمر به طائر فيجاوزه حتى يسقط متحيرا من شدة بريقه وشعاعه. قال: ثم سار حتى انتهى إلى المدينة البيضاء التي يكون فيها خاقان ملك الخزر. قال: وهرب خاقان من بين يدي مروان حتى لحق بالجبال، ونجح مروان في بلاد الخزر بالمسلمين حتى جازهم فكان من ورائه، ثم إنه أغار على الصقالبة وما يليه من أصناف الكفار، وسبى منهم عشرين ألف أهل بيت.
ثم أقبل حتى نزل على نهر الصقالبة (٣) ودعا برجل من شجعان أهل الشام يقال له الكوثر بن الأسود العنبري وكان على شرطته فقال له: ويحك يا كوثر! إنه قد جاءني عين فخبرني أن خاقان ملك الخزر قد وجه إلينا بطرخان من طراخنته يقال له هزار طرخان في أربعين ألفا من أبناء الطراخنة ولكن جز هذا النهر إلى ما قبلهم واكمن لهم في مثل عدتهم، فإذا أصبحت فإني موافيك إن شاء الله ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. قال فقال الكوثر: أصلح الله الأمير! إنا قد أمسينا وهذا وقت يختلط فيه الظلام، فليمهلني الأمير إلى غد. قال: فغضب مروان ثم قال: والله لئن لم تعبر الساعة هذا النهر لأضربن عنقك ولأقتلن أهل بيتك بأجمعهم، فاختر الان من أمرك ما أحببت! قال الكوثر: فإني أعبر أصلح الله الأمير! قال: ثم انتخب الكوثر

---

(١) كذا بالأصل، ولم نعثر عليه. وفي فتوح البلدان: كسال.
(٢) بالأصل: (الان) وما أثبت عن معجم البلدان وفتوح البلدان. واللان بلاد واسعة في طرف أرمينية قرب باب الأبواب يجاورون للخزر.
(٣) الأصل: السقالبة.

من ساعته ذلك أربعين ألف رجل من فرسان العسكر، ثم عقدت له الأطواق فعبر الكوثر وعبر معه من الناس زهاء ألف رجل. قال: فسار بهم الكوثر يومه ذلك حتى إذا تعالى النهار إذا هو برجل استقبله في عشرين فارسا من فرسان الخزر معهم الكلاب والبزاة وهم يتصيدون. قال: فشد عليه الكوثر فقتله وقتل أصحابه الذين كانوا معه، فلم يفلت منهم أحد. قال: وأخذ المسلمون أسلحتهم ودوابهم ومضى الكوثر وأصحابه حتى نزلوا إلى جنب غيضة أشبة، فلما استقر بهم الموضع إذا بدخان قد ارتفع من جوف الغيضة، فقال الكوثر: ما هذا الدخان؟ فقال بعضهم: يجب أن يكون ههنا عسكر من عساكر الخزر، قال: ثم نادى الكوثر في أصحابه فركب وركبوا معه وسار نحو الدخان، فلم يشعر الخزر إلا والكوثر على رؤوسهم في أربعين ألفا، فوضعوا فيهم السيف، فقتل منهم عشرة آلاف، وأسر منهم سبعة آلاف، وأفلت الباقون على وجوههم في الغياض والأودية والجبال، ثم أقبل الكوثر إلى هؤلاء الأسارى الذين في يده فقال لهم: خبروني ما فعل قائدكم هزار طرخان؟ فقالوا: إنه خرج يتصيد في نفر من أصحابه فلا ندري ما فعل! قال: فعلم الكوثر أن الذي استقبلهم هزار طرخان، فأخذوا في وقت الغلس بأجمعهم، ثم سار الكوثر راجعا فلم تطلع الشمس من اليوم الثاني إلا ورأس هزار طرخان ورؤوس أصحابه في عسكر مروان على أطراف الرماح.

قال: وبلغ ذلك خاقان ملك الخزر فجزع لذلك جزعا شديدا وأعطى بيده.

ثم أرسل إلى مروان بن محمد: أيها الأمير! إنك قد سبيت الخزر والصقالبة وقد قتلت وبلغت غايتك، فما الذي تريد؟ فقال مروان للرسول: أريد منه أن يسلم أو أقتله وآخذ ملكه فأجعل لغيره، فاستأجله الرسول ثلاثة أيام حتى يرجع إلى خاقان وينصرف إليه بالخبر. قال: فأجابه مروان بن محمد إلى ذلك. فانصرف الرسول إلى خاقان فأخبره بذلك، فأرسل خاقان إلى مروان: أيها الأمير! إني قد قبلت الاسلام وأجبت وأحببت، ولكن وجه إلي برجل من أصحابك يشرحه لي. قال: فوجه إليه مروان برجلين أحدهما نوح بن السائب الأسدي، والاخر عبد الرحمن بن فلان الخولاني قال: فخرجا جميعا إلى خاقان وعرضا عليه الاسلام، فقال خاقان للترجمان: قل لهما عني: أريد منكما أن تحلا لي الخمر والميتة، فقال الخولاني الأسدي: تحل له ذلك حتى يسلم، فإذا أسلم وأسلم القوم أخبرناهم أن ذلك حرام عليهم، فقال الأسدي: ما كنت بالذي أحل ما حرم الله ولا أحرم ما أحل الله، لان الدين لا يصلحه إلا النصيحة والصدق، ثم أقبل الأسدي على الترجمان فقال له:

قل لصاحبك هذا إنه ليس في دين الاسلام أن أحل الحرام ولا أن أحرم الحلال، فإن أسلمت حرمت عليك الميتة والدم ولحم الخنزير [و] كل شيء لا يذكر عليه اسم الله إذا ما ذبح. فلما قال ذلك الترجمان ذلك لخاقان قال خاقان لترجمانه: قل لهما عني: أنتم المسلمون حقا! قال: ثم أسلم خاقان ملك الخزر وأسلم معه خلق كثير من أهل بيته وأهل بلده (١). قال: فأقره مروان على ملكه ثم آخاه أخوة الاسلام وودعه وقبل هداياه، وسار راجعا يريد مدينة الباب والأبواب ومعه يومئذ سبي الكفار أربعون ألفا أو يزيدون، فأنزلهم مروان بموضع يقال له نهر السمور (٢) إلى السهل من أرض الكر (٣)، ثم إنه كتب إلى هشام بن عبد الملك يخبره بذلك، ووجه إليه الخمس من جميع ما أفاء الله عليه.

قال: وجاء الشتاء وأقام مروان تلك الشتوة بموضع يقال له كساك (٤)، فلما انسلخ عنه الشتاء وجاء الربيع عزم على الدخول إلى أرض السرير (٥)، وكتب إلى عامله أسيد بن زافر السلمي أن يوافيه إلى أرض السرير فيمن معه من الجند والمقاتلة. قال: ورحل مروان من كساك حتى عبر نهر الكر وصار إلى بلد يقال له شكى ومن شكى إلى أرض السرير، فصار إلى قلعة يقال لها قلعة البلال وهي قلعة منيعة وحصينة، فأقام عليها شهرا كاملا لا يصل إلى شيء منها، فلما كان بعد شهر دعا الحدادين فأمرهم أن يصنعوا له أعمدة من حديد على مثل السكك، ففعلوا ذلك، ثم أمرهم أن يتخذوا ألواحا من خشب، فلما فرغ له من ذلك أمر بالأعمدة فحملت على البغال، ثم أقبل إلى مؤخر القلعة ومعه يومئذ ثمانية آلاف رجل من نخبة عسكره عليهم الدروع والمغافر، فجعلوا يدخلون تلك الأعمدة ما بين حجارة السور واحدا حذاء الاخر، ثم وضع على عمودين لوح من خشب من تلك الألواح، وصعد

---

(١) ورد ذكر إسلام عظيم الخزر في فتوح البلدان، ولم يرد ذلك في الطبري ولا في ابن الأثير. قال ابن الأثير أن مستشاري ملك الخزر وأصحابه أشاروا عليه: أن تتأخر إلى أقصى بلادك وتدع مروان بن محمد وما يريد، فقبل رأيهم وسار حيث أمروه.

(٢) كذا بالأصل، ولم نعثر عليه، وفي فتوح البلدان: فأنزلهم ما بين السمور والشابران في سهل أرض اللكز.

(٣) في فتوح البلدان: اللكز.

(٤) في فتوح البلدان: كسال.

(٥) السرير: مملكة واسعة بين اللان وباب الأبواب وليس لها إلا مسلكين، مسلك إلى بلاد الخزر ومسلك إلى أرمينية.

عليها الرجال وأهل القلعة غافلون لا يعلمون أنهم يؤتون من وراء القلعة، واقتحم مروان وأصحابه القلعة، فأخذ مقاتلهم بأجمعهم أخذا باليد، ثم قعد مروان على صخرة على باب القلعة، فجعل يدعو برجل رجل من أهل القلعة فيضرب أعناقهم حتى أتى على آخرهم، ثم إنه فرق نساءهم وأولادهم وأموالهم على أصحابه، وأمر بسور القلعة فهدم حتى وضع بالأرض.

قال: ثم رحل إلى حصن آخر يقال له حصن عميق (١)، فنزل عليه وحاربه أهل عميق حربا شديدا فظفر بهم مروان، فقتل رجالهم، وسبى نساءهم وأولادهم، وهدم حصنهم.

قال: واتصل الخبر بصاحب السرير فهرب من بين يدي مروان حتى صار إلى قلعة لا ترام يقال له خيزج (٢)، وأقبل مروان حتى نزل عليها، فأقام أياما فلم يقدر عليها بوجه من الوجوه ولا بحيلة من الحيل. قال: وحلف مروان بيمين ليست لها كفارة أنه لا يبرح من هذه القلعة أو يدخلها أو يموت قبل ذلك. ثم أمر الناس بالبنيان فبنوا حذاء القلعة، فلم يزل مروان مقيما على باب هذه القلعة حولا كاملا، فلما أعيته الحيلة فيها وثب فاغتسل بالماء غسلا نقيا وذلك جسده دلكا شديدا حتى ذهب رائحة الطيب، ثم دعا بثياب طباخه فلبسها، ولف على رأسه عمامة وسخة، ولبس خفين عظيمين، ثم إنه قعد وكتب كتابا من نفسه من مروان بن محمد إلى صاحب السرير: أما بعد فإني قد حلفت أني لا أنصرف أو تسالمني وأسالمك آخر الدهر، فإن رأيت أيها الملك أن تأذن لي حتى أدخلها وأنظر إليها فعلت ذلك منعما إن شاء الله تعالى. قال: ثم إنه شدد وسطه وأخذ الكتاب في يده وصعد وحده حتى وقف على باب القلعة، ثم استأذن وقال: قولوا للملك: رسول مروان بالباب! قال: فخبروا الملك بذلك فأذن له، فدخل حتى وقف بين يدي الملك ودفع إليه الكتاب، فأخذه ودفع إلى ترجمانه، فجعل يقرأ عليه بلسانه حتى أتى على آخره، ثم قال: خذوا هذا الرجل وأديروه في القلعة حتى ينظر هل لاحد إليها من سبيل! قال: فأخذ القوم بيدي مروان وجعلوا يديرونه في القلعة، ومروان ينظر إلى عمارة القلعة وتحصينها، حتى نظر إلى موضع يتهيأ أن تؤخذ القلعة منه، فنظر إليه وتأمله وعرفه. ثم أقبل على

---

(١) كذا بالأصل، وفي معجم البلدان: غوميك، قال: وهو حصن فيه بنت الملك. ومثله في ابن الأثير، وفي تاريخ خليفة: غومسك.

(٢) عن ابن الأثير، وبالأصل (حبرح) وفي تاريخ خليفة: (خثرج) وفي معجم البلدان: خيرج.

القوم فقال: أعطوني خبزا آكل فإني جائع وأخاف أن يرحل مروان ولا ألحقه! قال: فدفعوا إليه رغيفين وقطعة لحم دابة، وأخرجوه من باب القلعة، فأقبل مروان بن محمد حتى صار إلى عسكره، ثم دعا بثيابه فلبسها وقعد وكتب إلى صاحب السرير: أما بعد يا بن الخبيثة! فأنا مروان بن محمد، وأنا الذي كنت رسول نفسي، فقد ؟؟؟ يميني التي كنت حلفت بها أني لادخل إلى قلعتك، وقد دخلتها ودرت فيها وعرفت مسالكها، وأنا أرجو أن أدخلها ثانية إن شاء الله وأنفك راغم فانظر أي رجل تكون! قال: فلما ورد كتاب مروان على صاحب السرير علم أن مروان بن محمد قد عمل عليه حتى دخل قلعته، فكأنه اتقى على نفسه وكتب إلى مروان يسأله الصلح، فأجابه مروان إلى ذلك، فوقع الصلح بينهما على خمسمائة غلام وخمسمائة جارية شقر (١) الشعور والحواجب والأشفار (٢) وعشرة آلاف دينار وخمسمائة (٣) مد من طعام
يحمل في كل سنة إلى مدينة الباب، فقبض مروان ذلك كله من صاحب السرير.
ثم رحل حتى نزل على حصن يقال له تومان (٤)، فصالحوه على مائة رأس من السبي (٥) وألف دابة وألف (٦) مد من الطعام يحمل إلى مدينة الباب في كل سنة.
قال: ثم رحل مروان حتى نزل على حصن حمزين (٧). وإذا أهل الحصن قد استعدوا لمحاربته، فحاربهم مروان وأصحابه حربا شديدا حتى كثر القتلى في المسلمين. فقال مروان: أيها الناس! أيما رجل صعد هذه القلعة فأخذها عنوة فله ألف دينار وله أفضل جارية في هذه القلعة! قال: فوثب رجل من العرب من تنوخ فقال: أنا لها أيها الأمير! قال: ثم أقبل التنوخي إلى موضع كان قد عرفه قبل ذلك، فجعل يصعد والقوم لا يعلمون حتى صار في رأس القلعة، ثم كبر ففزع القوم فعضوا أيديهم وسلموا القلعة بما فيها، فدخلها المسلمون عنوة، وخرج صاحبها حمزين شاه هاربا على وجهه حتى صار إلى القلعة الأخرى فتحصن فيها، وأخذ المسلمون ما

---

(١) في ابن الأثير وفتوح البلدان: سود الشعور.
(٢) في فتوح البلدان: وهدب الأشفار.
(٣) في فتوح البلدان: ومائة ألف مدي قصب في أهراء الباب وأخذ منه الرهن.
(٤) الأصل وابن الأثير وفتوح البلدان، ولم نعثر عليه.
(٥) في فتوح البلدان: خمسين جارية وخمسين غلاما خماسيين سود الشعور والحواجب وهدب الأشفار.
(٦) فتوح البلدان وابن الأثير: وعشرين ألف مد.
(٧) الأصل وفتوح البلدان وابن الأثير، ولم نعثر عليه. ويفهم من عبارة فتوح البلدان أن حمزين هو صاحب الحصن.

كان فيها من الأموال والنساء والذرية. ثم أقبل مروان على التنوخي الذي صعد القلعة فقال: إني قد كنت ضمنت لك ألف دينار وأنا أدفعها إليك، ولكن اختر أنت أي جارية شئت! قال: فوثب التنوخي إلى جارية حسناء فأخذها وقال: هذه أصلح الله الأمير! فقال: خذها فهي لك، قال فأخذ التنوخي الجارية وجعل ينحدر يريد العسكر فضربت الجارية بيدها إلى التنوخي فأعتنقته ثم رمت بنفسها وإياه إلى الوادي، فتقطعا جميعا على الحجارة فماتا. قال: فغضب مروان لذلك فقدم الرجل القلعة بأجمعهم فضرب أعناقهم، فما أبقى منهم أحدا، ثم إنه بث خيله بأرض حمزين فأخرب نيفا على ثلاثمائة قرية من قراهم. ثم أقبل حتى نزل على ملكهم حمزين شاه في قلعة وعزم على حصاره، فصالحه حمزين شاه على خمسمائة رأس من السبي وخمسمائة (١) مد من الطعام يحمل في كل سنة إلى مدينة الباب. قال: وجعل مروان بن محمد يفتح قلعة بعد قلعة حتى فتح جميع قلاع بلاد السرير وحمزين وتومان وسندان (٢) وما والاها. ثم أقبل راجعا إلى مدينة الباب فنزلها، وهجم عليه الشتاء. و [لما] جاء الربيع أرسل إلى جميع ملوك الجبال فأقدمهم عليه من الشروان وإيران (٣) وقيلان (٤) وطبرستان وجميع البلاد إلى أربيس بن
بسباس ملك الكر (٥) فإنه امتنع عليه فلم يأته وأقبل مروان بن محمد حتى نزل على قرية يقال لها بيلستان (٦) في بطن نهر السمور، ثم إنه بث الغارات في بلاد الكر، فجعل يغير وينهب ويحرق، فلم يزل على ذلك حولا كاملا. فلما كان بعد ذلك وطال الحصار على أربيس خرج من قلعته ليلا ومر هاربا على وجهه في نفر من أصحابه ومروان لا يعلم بذلك. قال: ومضى أربيس على وجهه حتى جاوز مدينة الباب والأبواب، ثم إنه مر بغلام راع فقال لأصحابه: خذوا شاة من غنم هذا الراعي، فأخذوا شاة من الغنم ونزل أربيس في موضعه ذلك، ثم إنه نزع ثيابه وجلس في قباء، وتفرق أصحابه فمنهم من يسلخ له تلك الشاة ليأكل منها ومنهم من

---

(١) في فتوح البلدان: ثلاثين ألف مدي.
(٢) كذا، وفي فتوح البلدان: (سدان) وفي معجم البلدان: (شندان) وفيه: شندان: صقع متصل ببلاد الخزر.
(٣) بالأصل (الإيران).
(٤) كذا ولم نعثر عليه.
(٥) فتوح البلدان وابن الأثير: اللكز.
(٦) كذا بالأصل، ولم نعثر عليه.

اشتغل يرعى الدواب. قال: وأقبل ذلك الغلام الراعي وفي يده قوس له وسهام حتى وقف من وراء شجرة، ثم رمى أربيس بسهم له فقتله. قال: وتنازع أصحابه وقالوا بألسنتهم وكلامهم: قتل الملك! قال: وهرب الغلام الراعي حتى صار إلى القرية ثم إنه خبر إياهم بما فعل.

قال: فأقبل الراعي حتى دخل مدينة الباب والأبواب، ثم سار إلى أميرها أسيد بن زافر السلمي فخبره بذلك. قال: فركب أسيد بن زافر من ساعته في نفر من أصحابه حتى صار إلى الموضع فنظر إلى أربيس بن بسباس قتيلا، فأمر برفع رأسه ثم احتوى على قليله وكثيره ورجع إلى مدينة الباب، ثم دعا بابنه يزيد فدفع إليه الرأس فقال له: سر إلى الأمير مروان فضع الرأس بين يديه. قال: فسار يزيد حتى صار إلى مروان وهو نازل في بطن نهر السمور حذاء القلعة، فاستأذن يزيد بن أسيد على مروان فأذن له، فدخل وسلم، فقال له مروان: كيف أبوك يا يزيد؟ فقال: بخير أصلح الله الأمير! على أني جئتك ببشارة! قال: وما بشارتك؟ قال: رأس أربيس بن بسباس. قال: فجب مروان من ذلك ثم قال: ويحك! أربيس في قلعته وأنت قد أتيتني برأسه! قال: فخبره يزيد بن أسيد بأمر أربيس، فأمر مروان بالرأس فرفع على رمح له حذاء القلعة، ثم كبر المسلمون وأشرف أهل القلعة فنظروا إلى رأس صاحبهم أربيس، فأعطوا بأيديهم وذلوا وخضعوا، فأعطاهم الأمان وأقرهم في بلدهم ووظف عليهم في كل سنة عشرة آلاف (١) من الطعام يحمل إلى مدينة الباب (٢).

قال: ثم سار مروان إلى بلاد أذربيجان فغزا أهل موقان وجيلان (٣) والنهر والطالقان، وقتل منهم مقتلة عظيمة وسبى منهم نيفا على عشرة آلاف من نسائهم وأولادهم ففرقهم على أصحابه. ثم أقبل حتى نزل برذعة، وقد فتح أرمينية كلها وأذربيجان وجميع البلاد، فليس أحد يناويه في سلطانه. قال: وفي تلك السنة حبس كميت بن زيد (٤) الأسدي رحمة الله عليه.

---

(١) في فتوح البلدان ص ٢١١ عشرين ألف مدي.

(٢) زيد في فتوح البلدان أن مروان ولى على قلعة اللكز عاملا له عليهم هو خشرم السلمي.

(٣) جيلان وموقان: في معجم البلدان هما أهل طبرستان ابنا كماشح... ولاية فيها قرى ومروج كثيرة... وهي بأذربيجان.

(٤) بالأصل (يزيد) خطأ، وما أثبت عن معجم الشعراء للمرزباني.

ذكر حبس الكميت رحمة الله عليه
حدثني إبراهيم بن عبد الله بن العلاء القرشي المدني قال: حدثني نصر بن خالد النحوي قال: حدثني الحكم بن سعيد الأسدي قال: أخبرني عيسى بن أعين وكان حاجبا لأبي عبد الله جعفر بن محمد رضي الله عنهما قال: كان السبب في حبس الكميت بن زيد (١) الأسدي أنه كان يقعد في المحافل وعلى قوارع الطرق فينشد الاشعار التي يمدح فيها بني هشام (٢) ويهجو بني أمية ثم قال هذه القصيدة:
من لقب (٣) متيم مستهام * غير ما صبوة ولا أحلام
ففضل فيها بني هاشم على بني أمية حيث يقول:
ساسة لا كم يرى رعية (٤) الن * - اس سواء ورعية الانعام
لا كعبد المليك أو كوليد * أو سليمان بعد أو كهشام
قال: وبلغ ذلك خالد بن عبد الله القسري وهو يومئذ أمير العراقين من قبل هشام فأخذ الكميت وحبسه في سجنه، ثم كتب إلى هشام بن عبد الملك يخبره بذلك، وكتب هشام إلى خالد بن عبد الله القسري أن خذ الكميت فأخرج لسانه من قفاه واقطع رجليه واصلبه على باب داره. قال: وبلغ ذلك أبان بن الوليد البجلي وكان صديقا للكميت فكتب إليه إلى السجن بهذه الأبيات:
إن كنت ذا قصبات في الخداع فرم * بدر السماء تنل أو مت على صمد
أو فاتخذ نقبا في الأرض تنج به * وما أراك بناج آخر الأبد
كن كالحسام سطت بالجفن شقرته * والامر أسرع من كف إلى عدد
ولا تكن حفصا رهنا بقبضته * بذي الإماء وثق بالواحد الصمد
قال: فلما وصلت هذه الأبيات إلى الكميت أيقن بالقتل وعلم أن أبان بن الوليد قد نصحه، فكتب إليه يجيبه على أبياته وهو يقول:
أسمعتها أذنا للغيب سامعة * أبا الوليد فلا عميت من رشد

---

(١) انظر الحاشية السابقة.
(٢) كذا بالأصل، والصواب (بني هاشم).
(٣) من شرح الهاشميات ص ١١ وبالأصل (لقب).
(٤) عن شرح الهاشميات، وبالأصل (رغبة).

كم من أخي حسد باتت عقاربه * تسري إلي فلم تضرب ولم تكد
وبين مبتسم تبدو نواجذه * شماتة قد طوى كشحا على كمد
لولا امتنانك عودا بعد بدأته * لكنت قبل ترى منا بلا قود

قال: ثم بعث الكميت إلى امرأته أم ولد وهي ابنة عمه، وذلك أنه الكميت بن [زيد بن] خنيس (١)، وامرأته حبى بنت عبد الواحد بن خنيس، وخنيس ابن مجالد بن ربيعة بن قيس بن الحارث بن وهب بن عمرو بن مالك بن سعد بن ثعلبة بن دودان بن أسد بن خزيمة بن مدركة بن إلياس [بن مضر -] بن نزار (٢).

قال: فأرسل إليها الكميت أن أدركيني فقد هلكت، واحتالي لي بحيلة وإلا فقدت الكميت ولا كميت لك. قال: وكانت ابنة عمه هذه من بناء الشيعة، وكانت برة عاقلة لبيبة من النساء، فوثبت من ساعتها إلى ثيابها فلبستها، ثم أقبلت ومعها نسوة من بنات عمها إلى باب السجن، فقال السجان: من هؤلاء النسوة؟ فقيل له: هذه امرأة الكميت قد جاءت لتزور زوجها، قال: فأخرج الكميت إليها، فأوقفته بين النساء ثم ألبسته ثيابها وعلمته مشيتها فقالت: اخرج الكميت إليها، فأوقفته بين النساء ثم ألبسته ثيابها وعلمته مشيتها فقالت: اخرج الان مع هؤلاء النسوة وانج بنفسك وذرني أنا، فليس أحد يتعرض لي! فتنقب وخرج من باب السجن مع النساء، فلما مر على السجان جعل ينظر إلى مشيته فقال: قبح الله هذه من مشية فما أشبهها بمشية رجل! قال: وجعل الكميت يمشي مع النساء ومشيته لا تخفى على أحد، حتى إذا صار إلى بني تميم مر على جماعة منهم (٣)، فقال رجل من دهاتهم: والله ما هذه المشية عندي إلا مشية رجل غير أنه قد تنقب ولا شك عنه يريد إلى بعض الأعراس، ثم قال لغلام له أسود: ويلك يا غلام! اذهب واتبع تلك المرأة فانظر إلى أين تدخل! قال: فذهب الغلام، فصاح به شيخ من بني تميم يقال له سعيد بن بديل (٤) فقال: ويلك ارجع يا أسود! ويلك ما لك واتباع النساء! وذلك أن الشيخ وقع في قلبه أنه رجل فلم يحب أن يفضحه. قال: فرجع عنه الأسود ومضى الكميت حتى صار من النجع إلى آل علقمة الحضرمي، فدخل إلى دورهم فاستجار بهم فأجاروه، وهو الذي يقول فيهم حيث يقول:

---

(١) في المؤتلف والمختلف (الأخنس) وفي تجريد الأغاني: حبيش. وفي الأغاني: خنيس كالأصل.
(٢) انظر عامود نسبه في الأغاني ١٧ / ١ والمؤتلف والمختلف للآمدي باختلاف عما ورد في الأصل.
(٣) انظر ما ورد في الأغاني ١٧ / ٤ - ٥ عن كيفية هربه من السجن.
(٤) في الأغاني ١٧ / ٤ أبو الوضاح حبيب بن بديل.

ولولا آل علقمة اجتدعنا * بأيدينا أنوف مصلتينا
قال: وقع الخبر في السجن أن الكميت قد هرب، فوثب السجان فدخل السجن إلى الموضع الذي كان فيه الكميت فإذا هو بامرأة الكميت جالسة، فما نظر إليها صاحت صيحة وقالت: وراءك لا أم لك! قال: فعلم السجان أنه قد عمل عليه فخرق ثوبه وصاح ووضع التراب على رأسه ثم قال لأعوانه: ويلكم امرأة دخلت السجن فخدعتني وخدعتكم فأخرجت زوجها من السجن فجلست في موضعه وأنتم لا تعلمون! قال: وبلغ ذلك خالد بن عبد الله القسري فبعث إلى السجان فأحضره، ثم أمر به فجرد من ثيابه وضربه بالسياط ضربا شديدا حتى أنه قد قتله، ثم قال: مثلك يكون على سجن أمير المؤمنين! قال: ثم بعث خالد إلى امرأة الكميت فأحضرها وقال لها: يا عدوة نفسها (١)! أخرجت الكميت من السجن وجلست في موضعه وهو طلبة أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك؟ فقالت: نعم والله أخرجته ووقيته بنفسي، فاصنع ما بدا لك! قال: فتبسم خالد ثم قال: هكذا فلتكن الحرة، فأطلقها ولم يتعرض إليها إلا بسبيل خير (٢)، ثم إنه أخذ الطرق على الكميت أياما كثيرة وليالي فلم يقع له على أثر فأمسك عنه، ثم كتب إلى هشام بن عبد الملك يخبره بذلك، وأن الكميت هرب من السجن، وخبر الامرأة وكيف خدعت السجان، فاغتاظ هشام من ذلك غيظا شديدا ولم يدر ما يصنع.
قال: وخرج الكميت من المنزل الذي كان فيه في جوف الليل بعد عشرين يوما ومعه نفر من بني عمه من بني أسد يريد أرض الشام، فأخذ على طريق السماوة (٣) فكان يسير الليل فيهتدي بالنجوم، فإذا أصبح نزل، فلما كان في الليلة الثانية من مسيره وأصبح أقبل على من كان معه فقال: أبشروا فقد أمنتم! ثم سار مع أصحابه نهارا فإذا بشخص قد أقبل من البعد ففزع أصحابه وأوتروا قسيهم، فقال الكميت: ما شأنكم؟ فقالوا: نرى شيئا مقبلا. قال: فنظر إليه الكميت ساعة ثم قال: لا عليكم هذا ذئب قد أتاكم، قال: وتقارب الذئب منهم فذهب بعض بني عمه ليرميه فقال الكميت: مهلا لا ترموه، فإنه إنما جاءكم مستطعما فأطعموه! قال: ثم التفت

---

(١) الأغاني: يا عدوة الله.
(٢) في الأغاني: اجتمعت بنو أسد إليه، وقالوا: ما سبيلك على امرأة منا خدعت، فخافهم فخلى سبيلها.
(٣) الأغاني: على طريق القطقطانة.

الكميت إلى مولى يقال له صاعد فقال: يا صاعد! الق له شيئا! فألقى إليه صاعد ذراعا من لحم فأكلها، ثم قال: صب له شولا من ماء! قال: فصب له صاعد بقية ماء كان في القربة، فشرب. فقال الكميت: أجرنا إن شاء الله تعالى! قال: ثم سار القوم فجعل الذئب يعوي عواء شديدا، قال بعضهم: ويله! فما له يعوي؟ أليس قد أكل وشرب؟ فقال الكميت: أظنه يخبرنا أنا على غير طريق وقد صدق فتيامنوا، فتيامن القوم فسكن عواؤه. قال: فلم يزل الذئب يتبع الكميت وأصحابه ويطعم ويسقى إلى أن نظر القوم إلى أقطار الشام فانصرف عنهم الذئب، فأنشأ الكميت يقول:

لقينا بها ذئبا ضريرا كأنه * إلى كل من لاقى من الناس مذنب
مضيعا إذا أثرى كسوبا إذا عدا * لساعته ما يستفيد ويكسب
تضور يشكو ما به من خصاصة * وكان من الافصاح بالشكو يعرب
فنشنا (١) له من ذي المزاود بضعة * وللزاد آسار تلقى (٢) وتوهب
وقلنا له هذا لك اليوم عندنا * ومن ذي الأداوي عندنا لك مشرب
فصب له شولا من الماء صاعد * فسكن عنه غلة تتلهب

قال: ثم دخل الكميت أرض الشام ليلا، وصار إلى مسلمة بن عبد الملك مستجيرا به من هشام بن عبد الملك، فوقف بين يديه وأنشأ يقول:

يا مسلم بن أبي الولي * - د لميت (٣) إن شئت ناشر
كم قال قائلكم لعا * لك عند عثرته لعاثر (٤)
وغفرتم (٥) لذوي الذنو * ب من الأصاغر والأكابر
فلقد نزلت إليكم * غير المبجل للمعاذر
علقت حبالي من حبا * لك ذمة الجار المجاور
ومحل بيتي من بيو * تك غير منقض الدوائر
فالآن صرت إلى أمي * - ة والأمور إلى المصاير

---

(١) من شعر الكميت وبالأصل (فلسنا).
(٢) من شعر الكميت، وبالأصل (أوقات ستلقى).
(٣) عن الأغاني ١٧ / ١٩ وبالأصل (كميت).
(٤) عن الأغاني، وبالأصل: عنده عثرة عاثر.
(٥) عن الأغاني، وبالأصل (عقوبة).

قال فقال له مسلمة: ويحك يا كميت! قد والله رأيت أمير المؤمنين حنقا عليك شديدا، وما أثق بنفسي لك منه، ولكني أشير عليك بواحدة، إنه قد مات له ابن يقال له معاوية، وهو غذا صائر إلى القبر (١)، فكن أنت هنالك قبل مجيئه فاستجر به وأنا أعينك على ذلك. قال: فانصرف الكميت من عند مسلمة، ثم إنه بكر إلى قبر معاوية بن هشام فجلس إليه، وقد هيأ أبياتا من الشعر، وخرج هشام من قصره يريد القبر ومعه سادات بني عمه من بني أمية ومسلمة يسير عن يمينه، فلما نظر إلى الكميت من بعيد قال: إني أرى رجلا قاعدا عند القبر، فقيل: يا أمير المؤمنين لعله مستجير قد استجار بالقبر! فقال هشام: قد أجرنا كل من قد استجار إلا الكميت، فقال مسلمة: يا أمير المؤمنين وما الكميت حتى يستثنى باسمه! قال هشام: فإنا قد أجرناه وإن كان الكميت. قال: ودنا هشام إلى القبر، فوثب الكميت قائما وهو يقول:

تأوب عيني داءها فاستهلت * بعبرة محزون هضاب وقلت
على هالك من آل فهر بن مالك * له كشفت شمس النهار وكلت
فلا تحسب الأعداء إن مات أنني * خذلت ولا أبيات قومي قلت
سأبكيك للدنيا وللدين إنني * رأيت يد المعروف بعدك شلت

قال: فدمعت هينا هشام، ثم دنا فجلس عند القبر، فوثب الكميت قائما على قدميه ثم استأذن في الكلام، فحمد الله واثنى عليه، ثم قال (٢): إن الله عز وجل جعل أولياء دعوته وسيوف نقمه وأنصار دينه ورقباء عدله وورثة فضله وعيبة علمه ومعادن حكمه، وخلفاءه في عباده وبلاده آباء أمير المؤمنين أطال الله في العافية! ومنتهى الرغبة في بقائه، فهم المطهرون من الدنس، المصفون من النجس، النجباء في النسب، البلغاء في الحسب، النخباء في الأزل، السمحاء في المحل، الحكماء المساميح، الرحماء المناصيح، لا كفره ممنوع ولا فجره، ولا معازيل ولا سائل في الهيجاء، ولا مهاذير في الملاء، ولا حمد في اللواء، ولا مناكيد عند العطاء، ولا جبن عند الأعداء، ولا قحط قنط في السنين، ولا سقط فرط عن المقلين، ولا حزر بزر للدائرين، ولا مطلق الألسنة بجهل الجاهلين، لا مروعون بالأهاويل ولا لاهون بالأباطيل، أهل الحلوم عن البوادر والعلوم بالمخاطر، ولطاف

---

(١) وقبره بدير حنيناء كما في الأغاني، وهو من أعمال دمشق كما في معجم البلدان.
(٢) بعض خطبته أمام هشام بن عبد الملك في الأغاني ١٧ / ١١.

أمير المؤمنين أيده الله تعالى وكريم عنصره وطيب جوهره، شاد له ما شرف بناؤه وزهر
بهاؤه، فلم يأل أن زاد بناء ونماء وعلوا وبهاء باللين في رعيته، والعدل في سيرته، والبذل في فضله، والتوفيق من عدله، والكرم من شيمته، والصدق من ضريبته، والحق من رأيه، والمن من آلائه، والعفو عن العثرة والحلم بعد البدرة، ثم إنني كنت أيد الله أمير المؤمنين تهت في حيرة، وتحيرت في غمرة، زين لي خطلها، واستفزني أملها (١)، وعشيتني أمورها، وغرتني غرورها، أسار بي غاويها، وهتف بي داعيها، فأجبت إلى الضلالة، وتسكعت في الجهالة، حيران حائرا عن الحق، نافرا قائلا بغير الصدق، ملتبا بالعمر، خابطا في الظلمة، جائزا عن الرشدة، متأملا بغير فهم، ناظرا إلى غير علم، حتى إذا انجلت عني غياهبها بعد اسمدرار ناظري إليها، وانقشع لي سحابها عن طمع رجائي فيها، سئمت حياء العدى من أمير المؤمنين الذي أثبت الله به وبآبائه أركان الاسلام، وقوم به وبهم دعائم الأيام، فصادفت عز وجوده على منهمره، وثمار أفنان رأفته على مهتدله، وفي ذلك أقول:

ما أبالي إذا لقيت هشاما * وبنيه قبيلة والدبيرا
البسوا العدل والسكنية * والحلم ثيابا فلن أراها نحورا

قال: فتبسم هشام لفصاحة الكميت ولما أتى به في ذلك الوقت من هذا الكلام. ثم قال: كيف أمنتني يا كميت وقد قلت ما قلت؟ فقال: إن شئتم أمير المؤمنين أيده الله أمنتني من سطوته، ورفع من قدري ما كان خاملا بمشافهته، وربط من ج أشي ما كان منحلا بمخاطبته، وكرمه أطمعني في عفوه وأطلق لساني بعد كعمه، ثم قال: عائب (٢) ومذنب تاب فمحا باليقين (٣) ذنبه وبالصدق كذبه. فالتوبة قبل الحوبة، والصفح بعد القدرة. قال هشام: وما الذي (٤) أفلتك من مخالب القسري وقد أسهرت ليله وأطلت فكره؟ فقال: يا أمير المؤمنين! أفلتني منه صدق النية في التوبة، فتاب عن صفاحي مناسمه، أو غشي عن عيون حرسه حتى طلقت من وثاقه. وخرجت خروج القدح من محبسي على رغم أنفه، قال هشام: فما الذي

---

(١) الأغاني: استفزني وهلها.
(٢) في الأغاني ١٧ / ٢١ غائب آب، ومذنب تاب.
(٣) الأغاني: بالإنابة.
(٤) الأغاني: ما الذي نجاك من القسري.

حملك على الغواية (١)؟ قال: الذي أغوى آدم من قبلي (فنسي ولم نجد له عزما). قال هشام: فهل قلت في خروجك من السجن شيئا؟ قال الكميت: نعم يا أمير المؤمنين أنا القائل في ذلك:

لقد رام مني خالد وابن خالد * دواهي شتى من جهاد ومن ختل
فما أطلقا من محكماتي عقيدة * وما ازداد إلا مرة لهما قتلي
عصيت فلم أحلل عليهم بدرة * ولم يجدوني ذا سقاط وذا فشل
فلما أحلوني بصلعاء صيلم (٢) * وصول عبوس الليل بين أبي الشبل
خرجت خروج القدح قدح ابن مقبل * على الرغم من تلك النوابح والمشلي (٣)
علي ثياب الغانيات وتحتها * عزيمة أمر شبهت سنة النصل

قال: فأطرق هشام يفكر في أمره ثم رفع رأسه وقال: خبرني بأي قديم وحديث هجوت بني أمية ولولا سعة أحلامها لضاق عليك الأرض برحبها، ويخص بلهواتك زلاها وعذبها؟ قال: فسكت الكميت وتكلم رجل من حاشيته، فقال: يا أمير المؤمنين! ما خسر بذلك إلا حظه، ولا أحبط إلا عمله، ولا ضر إلا نفسه إذ حاول بشعره من أراد الله حط درجته، وحط من أراد الله أن يعلي مرتبته. قال: فأشار هشام إلى ذلك الرجل أن كف فسكت الرجل وتكلم الكيمت فقال: يا أمير المؤمنين! تقبل توبة مذنب راجع عن ذنبه، ولا تفزعه بما كان من تفريطه عن طريق الحق، قال هشام: فليفرج روعك فقد أجرناك، وعفونا كل ما كان منك إذا أنبت إلى الحق، واعترفت بالذنب. قال: ثم وصله هشام بعشرة آلاف درهم (٤)، ووصله مسلمة بخمسة آلاف درهم (٥). ثم أخذ له كتاب منشور من هشام: لا سبيل لاحد عليه - والسلام -.

---

(١) في الأغاني: قال: ومن سن لك الغي وأورطك فيه؟.
(٢) عن شعر الكميت، وبالأصل: صيكم.
(٣) يضرب المثل بقدح ابن مقبل، لأنه وصفه بقوله:
خروج من الغمى إذا صك صكة * بدا والعيون المستكفة تلمح
(٤) في الأغاني: بأربعين ألف درهم.
(٥) في الأغاني: بعشرين ألف درهم.

ذكر أخبار الكميت في أهل البيت رضي الله عنهم
وهي أخبار حسان منتخبة
قال عبد الله بن زرارة: سمعت أبي يقول: كنا عند أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنهما إذا الكميت قد استأذن، فأذن له فدخل ثم جلس وأنشد أبا جعفر رضي الله عنه قصيدته الميمية حيث يقول: (من لقلب (١) متيم مستهام).
حتى إذا فرغ منها قال أبو جعفر: يا كميت! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لحسان بن
ثابت إنك لا تزال مؤيدا ما نصرتنا بلسانك.
قال: ودخل الكميت بن زيد وأخوه الورد بن زيد على أبي جعفر محمد بن علي رضي الله عنه في بعض أيام التشريق بمنى فقال الكميت: يا بن رسول الله صلى الله عليه وسلم! قد قلت أبياتا أفلا أنشدكها؟ فقال له أبو جعفر: يا أبا المستهل!
عليك بذكر الله فإنها أيام ذكر، فقال: صدقت يا بن رسول الله! وإني أحب أن تسمعها، فقال: هات ما بدا لك! فأنشده كميت قصيدته التي يقول فيها (٢):
ألا أبلغ أمية حيث حلت * وإن خفت المهند والقطيعا (٣)
قال: فرأيت أبا جعفر وقد حسر عن ذراعيه ثم تحول إلى القبلة ورفع يديه فقال: اللهم اغفر للكميت! يقوله ثلاثا.
قال حكم بن سعيد الأسدي: أخبرني عيسى بن أعين وكان راويا لأبي عبد الله جعفر بن محمد رضي الله عنه قال: كنت أنشد أبا عبد الله أشعار الكميت، فإذا أنشدته مديحه في بني أمية يقول: ما أشعره! وإذا أنشدته فيهم يقول: هذا شاعرنا أهل البيت! فإذا أنشدته شعره في ادعائه بالقبائل يقول: ما أنسبه.
قال أبو ثميلة: قال داود بن مصعب الأسدي: دخلت أنا والكميت بن زيد

---

(١) عن شرح الهاشميات، وبالأصل (لقب) وتمام البيت وقد مر:
من لقلب متيم مستهام * غير ما صبوة ولا أحلام.
(٢) شرح هاشميات الكميت ص ١٩٥ من قصيدة مطلعها:
نفى عن عينك الارق الهجوعا * وهم يمتري منها الدموعا
(٣) البيت في شرح الهاشميات:
فقل لبني أمية حيث حلوا * وإن خفت المهند والقطيعا
وبالأصل (الهند). والقطيع: السوط.

على فاطمة بنت الحسين أم عبد الله بن الحسن (١) بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، فألقت لنا وسائد فجلسنا، ثم أقبلت على الكميت فقالت: يا كميت - جزاك الله عنا خيرا، فلقد أحببتنا حين أبغضنا الناس، ومدحتنا ح ين غلبنا الناس، ووصلتنا حين قطعنا الناس. قال: ثم دعت له بقدح سويق وماء فجدحته بيدها وناولته إياه، فأخذ الكميت وشربه، ثم إنها أشارت إلى الجارية بشيء وقالت: يا أبا المستهل! إنا قد أمرنا لك بمركب وستين دينارا نفقة، فإن أنت تقبل ذلك! قال: فهملت عيناه بالدموع ثم قال: والله يا بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم! لا أرزأك

ولا أرزأ غيرك على شيء من مدحتكم شيئا أبدا حتى يكون الذي أقول فيكم يجزيني عليه ربي، وأيم الله! لولا أني طلبت البركة في هذا السويق إذ جدحته بيدك إذا لما ذقته، ثم هض فخرج من عندها.

قال: وقال يحيى بن يزيد قال أبي يزيد بن علي أخبرني عمي عمر بن الحسن قال: قدم علينا الكميت بن زيد إلى المدينة، فاستنشدناه ذات يوم، فأنشدنا قصيدة له في رسول الله (صلى الله عليه وسلم وعلى آله) هذه الأبيات (٢):

سل الهموم لقلب غير متبول * ولا رهين لدى بيضاء عطبول

ولم أقف بديار الحي أسألها * أبكي معارفها ضلا بتضليل (٣)

ما أنت والدار إذ صارت معارفها * للريح مدرجة ذات الغرابيل

تسدي الرياح بها ذيلا وتلحمه * ذيلا بمعتطف منها ومشمول (٤)

نفسي فداء الذي لا الجور سنته * ولا المعاذير من بخل وتبخيل

نفسي فداء رسول الله قيل له * مني ومن بعدها أدنى لتفليل

الحازم الامر والميمون طائره * والمستضاء به والصادق القيل

قال: فبكى الناس بكاء شديدا، وانصرف الكميت إلى منزله، فجمع له أصحابنا ألف دينار وكسوة من الثياب الجدد وغير ذلك، ثم بعثوا بها إليه فردها،

---

(١) بالأصل (الحسين) انظر جمهرة ابن حزم.

(٢) شرح هاشميات الكميت ص ٢٠٠ باختلاف بعض الالفاظ.

(٣) البيت في شرح الهاشميات:

ولا تقف بديار الحي تسألها * تبكي معارفها ضلا بتضليل

الضل والضلال واحد، والتضليل تفعيل منه.

(٤) البيت في شرح الهاشميات:

تسدي الرياح بها نسجا وتلحمه * ذيلين من معصف منها ومشمول

فقال: إني لم أقل ما قلته للدنيا، ولو أردت الدنيا لاتيت من الدنيا فائدة، ولكني رجوت ثواب الله عز وجل والتقرب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بمحبتكم، فأما ما أصاب
أجسادكم الطاهرة من هذه الثياب فإني أقبله وألبسته ألتمس بذلك البركة، وأما هذه الألف دينار وما لم يصب أجسادكم فلا حاجة لي فيها، ولو كنت محتاجا لكنتم أحق من آخذ منه شيئا، ولكني غني بحمد الله ومنه. قال: ثم أخذ الثياب التي قد لبست، ورد سائر ذلك ولم يقبل منه شيئا.

قال: وكتب هشام بن عبد الملك إلى خالد بن عبد الله القسري يأمره أن يكتب إلى أخيه أسد بن عبد الله بخراسان (١) بالجهاد، فجمع أسد بن عبد الله المسلمين وسار نحو الترك والسغد فرجع مفلولا ولم يصنع شيئا، ثم رجع في السنة الثانية، غزا فلم يصنع شيئا، ثم غزا في السنة الثالثة فوغل في بلاد الترك وجبالهم وشعابهم فرجع ولم يصنع شيئا وقد مات من أصحابه خلق كثير من الجوع والعطش. ثم أرسل أسد بن عبد الله إلى وجوده قواده مثل نصر (٢) بن سيار الكناني وعبد الرحمن بن نعيم المازني (٣) وسورة بن الحر (٤) الدارمي والبختري بن أبي الدرهم القيسي فقال لهم: يا أعداء الله! والله ما أوتى إلا من قبلكم، وذلك أنكم لا تنصحون أمير المؤمنين في الجهاد ولا تناصحون. قال: ثم جردهم فضربهم بالسياط، وحلق رؤوسهم ولحاهم، وقيدهم وغل أيديهم إلى أعناقهم، وبعث بهم إلى أخيه خالد بن عبد الله القسري إلى العراق، فأنشأ نصر بن سيار يقول في ذلك (٥):

بعثت بالعتاب في غير جرم * في كتاب تلوم أم حكيم
لا تلومي على البلاء فإن الل * ـه يؤتي البلاء بعد النعيم

قال: وبلغ ذلك هشام بن عبد الملك فغضب لما فعل أسد بن عبد الله بهؤلاء القوم، فأرسل إليه فعزله عن خراسان (٦)، وولى مكانه رجل من أهل الجزيرة يقال

---

(١) وكان خالد قد استعمل أخاه أسدا على خراسان سنة ١٠٦ ه.
(٢) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل (أسد) خطأ.
(٣) في الطبري: العامري.
(٤) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل (أبي).
(٥) من أبيات في الطبري ٧ / ٤٩ وابن الأثير ٣ / ٣١٩ باختلاف بعض الالفاظ. والبيت الثاني لم يرد في المصدرين.
(٦) وكان ذلك في سنة ١٠٩ ه.

له الأشرس بن عبد الله السلمي.
قال: فقدم الأشرس بن عبد الله السلمي أرض خراسان في جيش عظيم.
قال: وبلغ ذلك الترك والسغد فاجتمعوا له ببخارى في نيف على مائة ألف. قال: وسار حتى وافى الكفار في أرض بيكند، واقتتل الناس هنالك قتالا شديدا، فقتل من المسلمين زيادة على ألف رجل من بني تميم، وقتل من الكفار مقتلة عظيمة وولوا منهزمين فلم تقم لهم قائمة دون سمرقند، ورجع الأشرس بن عبد الله بأصحابه حتى عبر النهر وصار إلى بلخ. وبلغ ذلك هشام بن عبد الملك، فأرسل أيضا إلى الأشرس بن عبد الله فعزله عن خراسان (١)، وولى مكانه الجنيد بن عبد الرحمن المزني (٢).
قال: وأقبل الجنيد حتى دخل أرض خراسان، ثم سار حتى نزل على أرض بلخ، وأمر بعقد الأطواق ثم عبر بالمسلمين. وبلغ ذلك خاقان ملك الترك، فسار نحو المسلمين في سبعين ومائة ألف حتى صار إلى نهر بلخ، فاقتتلوا قتالا شديدا، وحمل رجل من المسلمين يقال له واصل بن عمرو (٣) على جميع الترك حتى خالطهم، ثم وصل إلى خاقان الملك فضربه على البيضة، فرمى بها عن رأسه، وولى ملك الترك منهزما هو وأصحابه، ووضع فيهم السيف، فقتل منهم نحو ثلاثة آلاف رجل، فأنشأ واصل بن عمرو ويقول في ذلك:

فلولا الله ليس له نصير * وضربي قويس الملك الهمام
أكر عليهم اليحموم كرا * ككر الشرب آنية المدام

قال: وانصرف الجنيد بن عبد الرحمن إلى مدينة مرو فنزلها، وشتى بها تلك الشتوة. فلما انسلخ عنه الشتاء أقبل بالمسلمين حتى نزل على نهر بلخ، وقد لحق به نصر بن سيار وأصحابه الذين كانوا حملوا من خراسان إلى العراق، وذلك أن هشام بن عبد الملك أرسل إلى خالد بن عبد الله القسري فأمره بإطلاقهم وأن يلحقهم بالجنيد بن عبد الرحمن ليكونوا معه، فعبر الجنيد بالمسلمين نهر بلخ، ثم دعا برجل

---

(١) وكان ذلك سنة ١١١ ه كما في الطبري وابن الأثير، وفي فتوح البلدان سنة ١١٢ ه. انظر في ابن الأثير سبب عزله.
(٢) عن الطبري وابن الأثير وفتوح البلدان (وفيهما: المري بدل المزني)، وبالأصل: الجنيد بن عبد الله المري.
(٣) ابن الأثير والطبري: واصل بن عمرو القيسي.

يقال له سورة بن الحر (١) الدارمي فعقد له عقدا، وضم إليه أربعة آلاف رجل، ووجه به إلى بخارستان (٢). قال: وأما عمارة بن حريم المري فإنه عقد له عقدا وأرسل به إلى بخارستان، فلم يحارب أهلها حتى أذعنوا له بالسمع والطاعة، فأخذ منهم الأموال والرهائن ورجع إلى صاحبه الجنيد بن عبد الرحمن.

وأما سورة بن الحر فإنه سار إلى سمرقند، فلما دخلها بلغ ذلك خاقان ملك الترك فسار إليه في خمسين ألف من الترك والسغد حتى نزل على سمرقند (٣). قال: وبلغ ذلك الجنيد بن عبد الرحمن وهو نازل على شاطئ نهر بلخ في ثمانية وعشرين ألفا، فهم أن يسير بالمسلمين إلى سمرقند، فقال له نصر بن سيار (٤): لا تعجل فإن سورة بن الحر الدارمي وأصحابه في جوف سمرقند، وسمرقند مدينة حصينة منيعة. فقال الجنيد: والله إن معي من بني عمي خمسمائة رجل، كل رجل منهم يعد بألف من الترك، ووالله لو لم يكن معي غيرهم للقيت بهم ملك الترك وجميع من معه من الكفار، قال: وجعل الجنيد يتمثل بهذا البيت (٥) ويقول:

أليس أخو الهيجاء أن يشهد الوغى * وأن يقتل الابطال ضخما على ضخم (٦)

قال: ثم سار الجنيد بمن معه من المسلمين يريد إلى سمرقند وهو يرتجز ويقول:

ما حالتي اليوم وماذا علتي * إن لم أقاتلهم فجزوا لحيتي (٧)

قال: وبلغ خاقان مسير الجنيد بن عبد الرحمن إلى ما قبله، فأرسل إلى طريق

---

(١) في تاريخ خليفة ٣٤٤: سورة بن أبجر.

(٢) ابن الأثير والطبري: طخارستان.

(٣) كتب إليه سورة بن الحر: إن خاقان جاش بالترك، فخرجت إليهم فما قدرت أن أمنع حائط سمرقند، فالغوث. (ابن الأثير: فالغوث الغوث) انظر الطبري ٧ / ٧١.

(٤) في ابن الأثير: فقام إليه المجشر بن مزاحم السلمي وابن بسطام الأزدي وغيرهما.

(٥) بالأصل: بهذين البيتين.

(٦) البيت في الطبري ٧ / ٧٢ وابن الأثير ٣ / ٣٣٢.

(٧) البيت في الطبري وابن الأثير:

ما علتي ما علتي ما علتي * إن لم أقاتلهم فجزوا لمتي.

في ابن الأثير: أقتلهم.

كس (١) ونسف (٢) منن طريق البرية فغور الأبئار والطرق. وبلغ ذلك الجنيد بن عبد الرحمن فعلم أنه لا يقدر يسلك البرية، فأخذ على طريق آخر يقال له طريق الشعب. فلما توسطه هو وأصحابه وإذا بالترك قد أحدقوا بالمسلمين من كل ناحية على غير أهبة. قال: ودنا القوم بعضهم من بعض فاقتتلوا قتالا لم يقاتلوا مثله في يوم مضى قبله. قال: وجعل نصر بن سيار يقاتل قتالا لم يسبقه إليه أحد من نظرائه، فلم يزل كذلك حتى انكشف على وجوههم وصارت الفعلة في أيدي المسلمين وقد قتل من الترك مقتلة عظيمة، وغنم الناس غنيمة عظيمة (٣).

قال: وتكلم قوم عند الجنيد بن عبد الرحمن فقالوا: أصلح الأمير! إنه ليس يجب أن يغفل عن مثل نصر بن سيار ولا يقصر في بره لشرفه وشرف آبائه وسابقتهم في الاسلام وما قد رأى الأمير أصلحه الله من فعاله في هذا اليوم. قال: فغضب الجنيد بن عبد [الرحمن] وقال: من نصر بن سيار؟ وما كان من نصر بن سيار؟ فوالله إن أقل رجل في بني عمي قد عمل في هذا العدو ما لم يعمله نصر بن سيار، ولا يقدر عليه ولو عمر الدهر! قال: وبلغ ذلك نصر بن سيار فأنشأ يقول (٤):

إن نشأت وحسادي ذوو عدد * يا ذا المعارج لا تنقص (٥) لهم عددا
إن تحسدوني على حسن البلاء لكم (٦) * فإن مثل بلائي ولد الحسدا

قال: فبلغ الجنيد بن عبد الرحمن ما قال نصر بن سيار، فأرسل إليه وترضاه وتعذره وأعتبه من موجدته عليه.

قال: وجعل خاقان يجمع الجموع لحرب المسلمين حتى صار في مائة ألف، وسار الجنيد في ثمانية وعشرين ألفا (٧)، وأرسل إلى سورة بن الحر الدارمي وهو يومئذ بسمرقند أن أخرج بمن معك إلى خاقان، فإني قد زحفت إليه بخيلي ورجلي، فكن أنت من ورائه وأنا من بين يديه، فعسى الله تبارك وتعالى أن يهلكه. قال:

---

(١) كس: مدينة تقارب سمرقند، وفي ابن الأثير: كش.
(٢) مدينة كبيرة بين جيحون وسمرقند.
(٣) انظر تفاصيل وقعة الجنيد بالشعب في الطبري ٧ / ٧٣ وابن الأثير ٣ / ٣٣٣.
(٤) من أبيات في الطبري ٧ / ٨٤ باختلاف بعض الالفاظ.
(٥) عن الطبري وبالأصل (ينقص).
(٦) عن الطبري وبالأصل (لهم).
(٧) في ابن الأثير: في اثني عشر ألفا.

فخرج سورة بن الحر من مدينة سمرقند في عشرين ألفا من أصحابه وممن اتبعه من أهل سمرقند. قال: وعلم خاقان بذلك فقال لأصحابه: ذروا عنكم الجنيد بن عبد الرحمن، واعطفوا بنا إلى سورة بن الحر وأصحابه! قال: فعطفت الترك والسغد نحو المسلمين الذين خرجوا من مدينة سمرقند، والتقى القوم للقتال، والجنيد بن عبد الرحمن لا يعلم بذلك ولا يرحل بعد من موضعه، فاقتتل المسلمون مع الترك قتالا شديدا، فلم يكن لهم بهم طاقة، فقتلوا المسلمين بأجمعهم رحمة الله عليهم (١).

قال: وإذا برجل من أهل سمرقند قد أقبل مكتوفا وفي عنقه رأس ابن الحر، قال: فنظر إليه الجنيد بن عبد الرحمن من بعيد فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون، قتل والله سورة بن الحر وأصحابه! قال: وضج المسلمون بالبكاء والنحيب، فأنشأ رجل من أصحاب الجنيد يقول:

تطاول ما أنان علي ليلي * ولكن لا يطول على النيام
إذا أغفيت أرقت نوم عيني * حوادث قد أنحن على التمام
مصاب عشيرتي وجلاء ثغري * على مر المصيبات العظام

قال: وشمت نصر بن سيار بالجنيد بن عبد الرحمن فجعل يعرض (٢) به وهو يقول: (٣)

أبغضت من عينك (٤) تبريحها * وصورة في جسد فاسد
كنت تظن الحرب إذ رمتها * كشربك القرقف والبارد (٥)
تلعب (٦) بك الترك وأبناؤها * لعب صقور بقطا وارد

قال: ثم أرسل الجنيد بن عبد الرحمن إلى مرو وبخارستان وإلى جميع من كان على دين الاسلام فحشرهم إليه، ثم عرضهم فكانوا ثلاثة وأربعين ألفا، فضمهم

---

(١) في ابن الأثير: لم ينج منهم غير ألفين وقيل ألف.
(٢) بالأصل (يعوض).
(٣) الأبيات في الطبري ٧ / ٨٦ وفيه: وقال ابن عرس للجنيد في أبيات كثيرة.
(٤) بالأصل (عينيك و)، وما أثبت عن الطبري.
(٥) البيت في الطبري:
لا تحسبن الحرب يوم الضحى * كشربك المزاء بالبارد
(٦) عن الطبري، وبالأصل (لعب).

إلى رجل من أصحابه فوجه به نحو خاقان ملك الترك. قال: وخاقان يومئذ على باب سمرقند وقد حاصر أهلها أشد الحصار، حتى عزم أهلها أن يسلموها. قال: فلم يشعر إلا وخيل المسلمين قد أشرفت، فلما نظر إليها أهل سمرقند فرحوا بذلك واستبشروا واشتدت ظهورهم. قال: ونظر خاقان إلى عساكر المسلمين قد وافت، فعبى أصحابه ودنا من خيل المسلمين، والتقى القوم على باب سمرقند فاقتتلوا، ونزل المسلمون عن دوابهم وجثوا على الركب وعزموا على الموت، واشتد القتال بين الفريقين، فقتل من المسلمين يومئذ بشر كثير، وقتل من المشركين زيادة على عشرة آلاف، وانهزم خاقان في باقي أصحابه، فمروا هاربين في الجبال والأودية والغياض حتى صاروا إلى بلادهم. وبلغ ذلك الجنيد بن عبد الرحمن فأقبل حتى دخل مدينة سمرقند، فنزلها ثم جمع أموالها، فأعطى كل ذي حق حقه، وفضل من أراد من أصحابه وبني عمه، وقصر بنصر بن سيار وبني عمه، فلم يفعل بهم ما يجب أن يفعل بأمثالهم من العطية والجوائز، فأنشأ نصر بن سيار يقول:

لئن كنت في دنيا وملك أصبته * بلا حسب زال ولا طعان
فقد يبتلي ذو الملك بالبخل والغنى * ويصرف عن ورى الزناد هجان
لعمري لقد أصبحت في اليوم راغبا * وقد حل منك اللوم كل مكان

قال: ودعا الجنيد بن عبد الرحمن برجل من بني عدي يقال له موسى بن النصر (١) فضم إليه خمسة آلاف رجل من المقاتلة وجعله مقيما بمدينة سمرقند، ثم رحل حتى صار إلى مدينة مرو فنزلها، وكتب إلى هشام بن عبد الملك يخبره بما كان من أمر خاقان ومحاربته إياه، وبعث أيضا مع الكتاب إلى هشام بهدايا ومطارف من هدايا خراسان ودوابها وأموالها، ثم إن الجنيد بن عبد الرحمن مرض بمدينة مرو مرضا شديدا واستسقى بطنه فمات (٢)، فقبره بمرو.

فلما مات الجنيد بن عبد الرحمن وثب رجل من أصحابه يقال له الحارث بن سريج، فتغلب على خراسان، واحتوى على مرو الروذ وفارياب والنمرود (٣) والطالقان وعامة مدائن خراسان، فأخذها وجعل يجبي أموالها ويفرقها في أصحابه،

---

(١) الطبري: (النعر) وفي ابن الأثير (التعراء).
(٢) وكان ذلك في سنة ١١٦ ه. وكان هشام قد عزله واستعمل على خراسان عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي وأمره إن أدركه أن يزهق نفسه، فقدم عاصم، وقد مات الجنيد (الطبري - ابن الأثير).
(٣) كذا، ولم نجده.

حتى التأم إليه خلق كثير من أهل الذعارة والفساد. قال: وبلغ ذلك هشام بن عبد الملك فدعا برجل يقال له عاصم بن عبد الله بن يزيد الهلالي (١)، فولاه بلاد خراسان، فلم يكن له طاقة بالحارث بن سريج، فعزله هشام وولى مكانه أسد بن عبد الله القسري (٢). قال: قدم أسد بن عبد الله بلاد خراسان، وهذه قدمته الثانية فنزل مدينة مرو وجعل يوجه الجيوش لمحاربة الحارث بن سريج. قال: ونظر الحارث بن سريج إلى كثرة الخيل قد وافته من كل ناحية فجمع إليه أصحابه، ثم سار حتى دخل بلاد الترك فصار إلى خاقان مستأمنا إليه. قال: فأنزله خاقان مدينة من مدائن الترك يقال لها فاراب (٣) فجعلها طعمة له ولأصحابه. قال: وسار أسد بن عبد الله القسري من مدينة مرو في جيش لجب يريد حرب ابن سريج، حتى إذا صار إلى مدينة بلخ أدركته الوفاة فتوفي بها (٤)، وتولى أخوه خالد بالعراق. قال: فأرسل هشام إلى يزيد بن خالد فولاه العراق جميعا مكان أبيه، وأرسل إلى نصر بن سيار فولاه بلاد خراسان بأجمعها من دون النهر إلى ورائه إلى أرض الشاش وفرغانة وما يليها. قال: فكان نصر بن سيار عاملا على خراسان يغزو أطرافها، فكلما فتح بلدا تألف به أهله، ويخفف عنهم الخراج حتى أحبه الناس ومالوا إليه. وجعل يزيد بن خالد بن عبد الله القسري يجور على أهل العراق فيأخذ أموالهم ويقتل رجالهم، حتى بلغ منهم كل مبلغ. قال: وشكاه الناس إلى هشام بن عبد الملك ورفعت فيه القصص وكتبت فيه الكتب. قال: فدعا هشام بن عبد الملك بيوسف بن عمر (٥) الثقفي فولاه العراقين جميعا البصرة والكوفة وما والاهما، وأمره أن يأخذ يزيد بن خالد فيعذبه بكل عذاب يقدر عليه، ويستخرج ما عنده من الأموال التي جباها من أهل العراق.

ذكر ولاية يوسف بن عمر الثقفي العراق وابتداء
أمر زيد بن علي بن الحسين ومقتله

قال: فتقدم يوسف بن عمر الثقفي العراق، فأقبل حتى نزل الحيرة ووجه

---

(١) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل (زيد النهلاني).
(٢) في ابن الأثير ٣ / ٣٤٥ أن هشام استعمل على خراسان بن عبد الله القسري، فاستخلف خالد عليها أخاه أسد بن عبد الله.
(٣) فاراب ولاية وراء نهر سيحون في تخوم بلاد الترك.
(٤) وذلك في سنة ١٢٠ ه. وكان سبب موته دبيلة في جوفه.
(٥) بالأصل (عمرو) وما أثبت عن ابن الأثير ٣ / ٣٦٦ وقد صحح اسمه أينما ورد في الخبر.

بعماله إلى جميع البلاد، ثم أرسل إلى يزيد بن خالد القسري فأشخصه إليه من البصرة، فاستأداه جميع ما عليه من الأموال، وجعل يعذبه بأنواع العذاب لكي يستصفيه الأموال، فقال له يزيد: أيها الأمير! لا تعجل علي بالقتل فإن لي مالا على قوم كنت استودعتهم إياه، وأرجو أن آخذه منهم فأدفعه إليك! فقال له يوسف: ومن هؤلاء الذين تذكر أنك استودعتهم هذا المال؟ فقال: أصلح الله الأمير! أولهم زيد بن علي بن حسين بن علي ومحمد بن عمر (١) بن علي بن أبي طالب وداود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب وإبراهيم بن سعد بن عبد الرحمن بن عوف الزهري وأيوب بن سلمة بن عبد الله المخزومي (٢).

قال: وكان هؤلاء القوم يومئذ بالشام عند هشام بن عبد الملك فكتب يوسف بن عمر إلى هشام بن عبد الملك فخبره بذلك، فأرسل هشام إلى هؤلاء القوم فدعاهم وذكر لهم ما كتب به إليه يوسف بن عمر مما ادعى عليهم يزيد بن خالد القسري، فأنكروا ذلك وقالوا: يا أمير المؤمنين! ما له قبلنا دعوى ولا طلبة، ولعله إنما أراد أن يتبرد بنا من ذلك العذاب الذي هو فيه. قال هشام: فإني باعث بكم إلى يوسف بن عمر ليجمع بينكم وبين صاحبكم، فقال له زيد بن علي: أنشدك الله يا أمير المؤمنين والرحم أن تبعث بي إلى يوسف بن عمر! فإني أخاف أن يتعدى علي. قال هشام: ولم يتعدى عليك وليس له ذلك؟ قال: ثم أمر هشام كاتبه فكتب إلى يوسف بن عمر (٣): أما بعد فقد وجهت إليك بالقوم الذين ادعى عليهم يزيد بن خالد ما ادعى، فإذا قدموا عليك فاجمع بينهم وبين صاحبهم، فإن هم أقروا (٤) بما ادعى عليهم فوجه بهم إلي، وإن هم أنكروا فسله البينة عليهم، فإن لم يقم البينة فاستحلفهم بعد صلاة العصر يوم الجمعة في مسجد الجامع بالله الذي لا إله إلا هو إنه ما استودعهم يزيد بن خالد وديعة ولا له مال عليهم لا قليل ولا كثير! فإذا حلفوا فخل سبيلهم - والسلام -.

قال: فقال القوم: يا أمير المؤمنين! إنا نخاف أن يتعدى علينا يوسف بن عمر، فقال هشام: كلا إني باعث معكم رجلا لا يقدم عليكم بشيء من المكروه.

---

(١) عن الطبري ٧ / ١٦٠ وبالأصل (عمرو).

(٢) وقيل إن الذي ادعى المال عند زيد بن علي هو خالد بن عبد الله القسري (انظر الطبري ٧ / ١٦٠ وابن الأثير ٣ / ٣٧٢).

(٣) انظر كتاب هشام بن عبد الملك إلى يوسف بن عمر في الطبري ٧ / ١٦١ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٢٥.

(٤) عن الطبري، وبالأصل (قروا).

قال: فخرج القوم من الشام فجعلوا يسيرون حتى قدموا العراق، ثم صاروا إلى الحيرة وبها يومئذ يوسف بن عمر، ثم دخلوا فسلموا فرد عليهم السلام، ثم أدناهم ورحب بهم، وقرب زيد بن علي خاصة فأقعده إلى جنبه وألطف به في المسألة، وأقبل إليه وإلى من معه فقال: إن يزيد بن خالد القسري محبوس في سجني، غير أنه يذكر أن له عندكم مالا استودعكم إياه، فما تقولون؟ قال: فأنكروا ذلك بأجمعهم وقالوا: أصلح الله الأمير! ما استودعنا مالا ولا له (١) قبلنا دعوى ولا طلبة. قال: فأمر يوسف بن عمر بيزيد فأحضره، ثم قال له يوسف بن عمر: هؤلاء القوم الذين ادعيت عليهم، فهات ما عندك! فقال يزيد بن خالد: أيها الأمير! ما لي عندهم قليل ولا كثير، ولا دعوى ولا طلبة، بوجه من الوجوه ولا بسبب من الأسباب. قال: فغضب يوسف بن عمر ثم قال: إنما كنت تهزأ بي وبأمير المؤمنين! ثم أخرج القوم إلى المسجد الأعظم بعد صلاة العصر فحلفوا، فخلى سبيلهم. فخلف ثلاثة منهم بالمدينة. وأقام زيد بن علي بن الحسين ومحمد بن عمر بن علي بالكوفة. قال: وجعل يوسف بن عمر يعذب يزيد بن خالد القسري بأنواع العذاب حتى مات.

ابتداء خبر زيد بن علي بن الحسين
رضي الله عنهم

قال: وجعلت الشيعة من أهل الكوفة يختلفون إلى زيد بن علي ويأمرنه (٢) بالخروج على هشام بن عبد الملك ويقولون له: والله يا بن رسول الله إنا لنرجو أن تكون المنصور من آل محمد! وإنه قد دنا هلاك بني أمية (٣). قال: فأقام زيد بن علي بالكوفة، وجعل يوسف بن عمر يسأل عنه فيقال: إنه مقيم بالكوفة لم يبرح بعد. قال: فأرسل إليه يوسف بن عمر أن أخرج عن البلد وصر إلى غيره، فبعث إليه زيد بن علي أيها الأمير! إني عليك (٤) وإني على الخروج! فأمسك عنه يوسف بن عمر أياما، ثم بعث إليه واستحثه على الخروج وأغلظ له في القول وتهدده، فلما رأى زيد بن علي أن يوسف بن عمر قد ألح عليه في الخروج لم يجد

---

(١) الطبري: ولا له قبلنا حق.
(٢) الطبري وابن الأثير: وتأمره بالخروج.
(٣) الطبري: وأن يكون هذا الزمان الذي يهلك فيه بنو أمية.
(٤) كذا، ولعله (عليل) وفي الطبري: ويعتل له بالوجع.

بدا من ذلك، فعزم على الرحيل إلى المدينة، ثم تجهز وخرج، وأرسل معه يوسف بن عمر برجل يبلغه العذيب (١). قال: فسار زيد بن علي من الكوفة حتى صار إلى العذيب ورجع عنه رسول يوسف بن عمر، وخرجت الشيعة خلف زيد بن علي فلحقوه بالمغيثة (٢) فقالوا: أين تذهب يا بن رسول الله وتذر الكوفة ولك بها مائة ألف سيف يقاتلون عنك بني مروان؟ ننشدك الله إلا ما رجعت! فوالله لو أن قبيلة واحدة من قبائلنا همت أن تقاتل عنك أجناد الشام لما كبر ذلك عليهم. قال: فلم يزالوا به حتى أنعم لهم زيد بن علي في ذلك، فانصرفوا عنه إلى الكوفة على أن يرجع إليهم. قال: وأقبل عليه محمد بن عمر فقال: أنشدك الله يا بن رسول الله إلا لحقت بأهلك وصرت إلى المدينة ولا تقبل مقالة أحد من هؤلاء الذين يدعونك إلى ما يدعونك إليه! فإني أخاف أنهم لا يفون لك بما يقولون.

قال: فلم يقبل زيد من محمد بن [عمر بن] (٣) علي ما قال له وأقبل راجعا إلى الكوفة، فدخل مستخفيا ونزل عند رجل من شيعته يقال له نصر بن خزيمة العبسي. قال: وعلمت الشيعة بذلك فجعلوا يختلفون إليه باللطف والبر من كل ناحية، وهم في ذلك يكتمون أمره خوفا من يوسف بن عمر الثقفي. قال: وأقبلت إليه امرأة من الأزد يقال لها أم عمرو بنت الصلت (٤) ومعها بر لطيف، فدخلت إليه وسلمت عليه، وكانت امرأة وسيمة من النساء، فلما نظر إليها زيد بن علي وكلمها رآها فصيحة الكلام حلوة المنطق، فقال لها زيد: من أنت أيتها الامرأة؟ فقالت: أنا امرأة من الأزد، فقال زيد بن علي: ألك زوج؟ قالت: لا يا بن رسول الله! ما لي زوج، فقال لها زيد: فهل لك أن تزوجيني نفسك؟ فقالت: والله إن فيك لرغبة لو أردت التزويج، قال زيد: فما الذي يمنعك من ذلك؟ قالت: والله إن فيك لرغبة لو أردت التزويج، قال زيد: فما الذي يمنعك من ذلك؟ قالت: جعلت فداك! فأنا أعرف بنفسي، فإنه يمنعني من ذلك كبر سني، فقال زيد: كلا ما أنت عندي كما تقولين ورضيت بك، فقالت: أنا أعرف بنفسي بما أتت علي من السنين. ولو كنت مزوجة مدى الدهر ما عدلت بك أحدا، ولكن لي ابنة وهي أجمل مني وأنا أزوجكها إن أحببت ذلك! فقال زيد: فقد أحببت ذلك إن كانت مثلك، فقالت: جعلت

---

(١) العذيب: من منازل حاج الكوفة.
(٢) منزل في طريق مكة بعد العذيب.
(٣) زيادة عن الطبري ٧ / ١٧١.
(٤) انظر الطبري ٧ / ١٧٢ وابن الأثير ٣ / ٣٧٦.

فداك! إن خالقها ومصورها لم يرض أن يجعلها مثلي، لكن جعلها أنظر مني وأضوأ وأحسن شكلا (١) وأكمل مني عقلا. قال: فتبسم زيد بن علي ثم قال: لقد رزقت فصاحة ومنطقا حسنا فأين فصاحة ابنتك من فصاحتك؟ فقالت: جعلت فداك يا بن رسول الله! أما أنا فنشأت بالحجاز، وهي نشأت بالكوفة، وما أقرب ما بيني وبينها في الفصاحة. فقال زيد: فإني قد رضيتها. قال: ثم واعدها وقتا، وجمع نفرا من الشيعة فتزوجها، ثم تجهزت وزفت إليه، فبنى بها وأولدها جارية، ثم ماتت بعد ذلك، فاغتم عليها زيد غما طويلا.

قال: وكان زيد بن علي رضي الله عنه لا يطيل المكث في مكان واحد خوفا على نفسه من يوسف بن عمر أن لا يعلم بمكانه. فكان يكون مرة بالأزد عند بني عم امرأته ومرة في بني عبس، والشيعة في خلال ذلك يبايعونه على كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجهاد الظالمين، والدفع عن المستضعفين، وإعطاء

المحرومين، وقسمة الفيء بين أهله بالسوية، ورد المظالم [واقفال المجمر] (٢) والنصر لأهل البيت على من نصب لهم العداوة وجهل حصتهم. فكان الناس يبايعونه على ذلك، فإذا أقر الرجل منهم بذلك وبهذه البيعة يضع يده على المبايع ثم يقول: عليك بهذه البيعة عهد الله وميثاقه وذمته (٣)! فإذا قال ذلك الرجل: نعم، يمسح يده على يده ثم يقول: اللهم أشهد! ثم يكتب اسمه عنده، فلم يزل كذلك حتى بايعه خمسة عشر ألف إنسان من شيعته من أهل الكوفة. قال: ويوسف بن عمر لا يعلم بشيء من ذلك.

قال: ثم تحول زيد بن علي إلى جبانة (٤) سالم فنزل دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة في أدنى بني فهد عند مسجد هلال بن عامر، فلم يزل على ذلك من شأنه بضعة عشر شهرا حتى أحكم أمره وأخذ البيعة على شيعته، ثم إنه أمرهم بالاستعداد والأهبة للخروج. قال: وشاع ذلك في الناس حتى تحدثوا به سرا وعلانية.

قال: وأقبل رجل من هل الكوفة يقال له سليمان بن سراقة البارقي إلى

---

(١) شكلا بكسر أوله وسكون ثانيه، غنج المرأة ودلها.

(٢) زيادة عن الطبري ٧ / ١٧٢.

(٣) زيد في الطبري: وذمة رسوله، لتفين ببيعتي ولتقاتلن عدوي ولتنصحن في السر والعلانية.

(٤) بالأصل بدون نقط، وما أثبت عن الطبري ٧ / ١٧٢.

يوسف بن عمر فخبره بذلك، فقال يوسف بن عمر: ويحك فكيف علمت بذلك؟ فقال: لأنه خبرني الصدوق أنه قد بايعه الناس على ذلك ووجه بكتبه إلى أهل السواد يواعدهم بالخروج، فضاقت الأرض برحبها على يوسف بن عمر، ثم إنه بعث إلى عامله الحكم بن الصلت بالكوفة ويحذره أمر زيد بن علي ويأمره بالطلب والتفتيش، ثم أرسل إلى الطرق فأخذت، فكان لا يمر أحد إلا فتش مخافة أن يكون معه كتاب.
قال: فبينما أهل المصالح على الطرق إذا برجل مر وفي يده عصاة وهو مستعجل فصاحوا به ثم قالوا: من أين أنت؟ قال: من بلاد الشام، ففتش فلم يوجد معه شيء، فضرب أحدهم يده إلى العصا فأخذها وجعل يقلبها وينظر إليها، فإذا على ناحية منها قطعة شمع ملصقة فقلع ذلك الشمع، فإذا جانب العصا مجوفة وفي جوف الحفر كتاب مدرج، فأخذ الكتاب والرجل فأتى بهما إلى يوسف بن عمر. فأخذ الكتاب ففضه فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من زيد بن علي بن الحسين بن علي، إلى أهل الموصل وسائر بلاد الجزيرة، سلام عليكم! أما بعد، فاتقوا الله عباد الله الذي خلقكم ورزقكم، وبيده أموركم وإليه مصيركم، فإنكم قد أصبحتم تعرفون الحق إذ أنتم تواصفونه بينكم، ووصفه واصف لكم، ولا ينتفع واصف الحق ولا الموصوف له حتى يعين من قام به عليه، وقد قال الله تعالى (والعصر إن الانسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر) (١). وقد دعا محمد صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب من قبل كما أمره الله سبحانه فقال
(يأهل الكتب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم إلا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله) (٢)، وقد عرفتم حالكم الذي أنتم عليه من الفتنة في دينكم، والبلاء في معايشكم من أمر سفك الدماء، والاستئثار عليكم بغيكم، فهذا ما أنتم عليه واليوم مقيمون وبه آخذون، وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، والدفع عن المستضعفين، ومجاهدة الظالمين الذين انتبزوا
أهل البيت بيت نبي رب العالمين، فبادروا إلى عبادة الله، واحذروا أن يحل بكم عذاب الله وبأسه، وما حل على ما كان قبلكم من أهل معصيته والتولي عن أمره، وراجعوا الحق واحموا أهله، وكونوا لهم أعوانا إليه ليكونوا من المفلحين، والسلام على عباد الله الصالحين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(١) سورة العصر.
(٢) سورة آل عمران الآية ٦٤.

قال: فلما قرأ يوسف بن عمر هذا الكتاب تغير وجهه وامتلأ غيظا وغضبا، ثم قدم هذا الرجل الذي معه الكتاب فضرب عنقه صبرا (١)، وبعث إلى عامله بالكوفة الحكم بن الصلت فأمره أن يطوف بالكوفة بالليل وأن يستبحث بالنهار عن زيد بن علي. قال: وبلغ ذلك زيد بن علي فخاف على نفسه أن يؤخذ قبل الاجل الذي كان بينه وبين أهل السواد فلم يدر ما يصنع، قال: وأقبل إليه نفر من أصحابه الذين كانوا قد بايعوه فقالوا له (٢): إنا قد بايعناك وإنا نحن خارجون معك، ولكن ما تقول في هذين الرجلين الظالمين أبي بكر وعمر؟ فقال زيد بن علي: مهلا لا تقولوا فيهما إلا خيرا، فإني لا أقول فيهما إلا خيرا، ولا سمعت من آبائي أحدا يقول فيهما إلا خيرا. قال فقال له القوم: فترى أن بني أمية ما ظلموك؟ فقال زيد بن علي: ليس القياس في ذلك بسواء، إن بني أمية قتلوا جدي الحسين بن علي رضي الله عنه وحملوا رأسه إلى الشام، وقتلوا أهل المدينة ونهبوها ثلاثة أيام، ثم رموا بيت الله الحرام بالحجارة والعذرة والنار، وأبو بكر وعمر لم يفعلا من ذلك شيئا. قال: فغضب القوم ثم قالوا: إن جعفر بن محمد هو أحق بهذا الامر منك، ثم تركوه وصاروا إلى جعفر بن محمد بالمدينة، فدخلوا وسلموا عليه وقالوا: يا بن رسول الله! إنا كنا بايعنا عمك زيد بن علي وهممنا بالخروج معه، ثم إنا سألناه عن أبي بكر وعمر فذكر أنه لا يقول فيهما إلا خيرا، قال: فقال جعفر بن محمد: وأنا لا أقول فيهما إلا خيرا، فاتقوا الله ربكم، وإن كنتم بايعتم عمي زيد بن علي ففوا له بالبيعة وقوموا بحقه، فإنه أحق بهذا الامر من غيره ومني. قال: فرجع القوم إلى الكوفة وجاؤوا حتى دخلوا على زيد بن علي.

قال: فجمع للقوم الحكم بن الصلت كل فارس مذكور من أهل الكوفة فأدخلهم إلى المسجد يوم الثلاثاء قبل خروج زيد بن علي بيوم واحد، وخرج زيد ليلة الأربعاء (٣) من دار معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة ومعه ثمانية عشر رجلا وقد

---

(١) في الطبري ٧ / ١٨٠ ورد أن سليمان بن سراقة البارقي أعلم يوسف بن عمر أن زيد بن علي يختلف إلى رجلين أحدهما يقال له عامر، والاخر رجل من بني تميم يقال له طعمة... وأخذ يوسف الرجلين، واستبان له منهما أمر زيد وأصحابه.

(٢) انظر ما جرى بين زيد بن علي وأصحابه من مناظرة في الطبري ٧ / ١٨٠ - ١٨١.

(٣) وذلك في أول ليلة من صفر سنة ١٢٢ ه.

رفعت بين أيديهم النيران في هرادي (١) القصب وهم ينادون: يا منصور! قال: وسمع ذلك أمير الكوفة الحكم بن الصلت فأمر بدروب الأسواق فغلقت عن آخرها، وأمر بأبواب المسجد الأعظم فغلقوها لكي لا يخرج إلى معاونة زيد بن علي أحد.
قال: وارتفعت الضجة والتكبير من كل ناحية والناس يخرجون إلى زيد بن علي.
قال: واجتمع إليه مائتان وعشرون (٢) رجلا. قال: وأصبح الناس. فنظر زيد إلى من وافاه من أصحابه فقال: يا سبحان الله العظيم! أين الناس؟ أحصيتهم أمس في ديواني خمسة عشر ألف إنسان وإنما وافاني منهم هؤلاء فقط! قال: فقالوا له: يا بن رسول الله! الناس محصورون في المسجد الأعظم لكي لا يخرج إليك أحد، فقال زيد: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وكم يبلغ هؤلاء المحصورون في المسجد؟ أين الباقون لا يخرجون إلينا؟ أما! إنهم أهل النكث والغدر.
قال: وتعالى النهار، وأقبل يوسف بن عمر من الحيرة ومعه أشراف الناس حتى وقف على تل قريب من الكوفة وأمر الناس بالتقدم إلى الحرب، فتقدم الناس واختلط بعضهم ببعض واقتتلوا ساعة، وحمل عمرو بن عبد الرحمن (٣) صاحب شرطة الكوفة على زيد بن علي ليضربه، فحمل عليه رجل من أصحاب زيد يقال له نصر بن خزيمة العبسي فضربه ضربة جندله صريعا، ثم حمل على جيش أمير الكوفة فقتل منهم جماعة وهزمهم هزيمة فضيحة. وتقدم زيد بن علي حتى صار إلى جبانة الصائدين (٤) فإذا هو بجماعة من أهل الشام يزيدون على سبعمائة (٥) رجل، فلم يكذب زيد بن علي أن حمل عليهم فقتل منهم جماعة وهزمهم بين يديه. ثم أقبل الناس وإذا هو أيضا بجيش عظيم من أهل الشام على الخيل العتاق والسلاح الشاك. فلما نظر إليهم حسر عن رأسه ثم حمل عليهم فكر بعضهم على بعض، وقتل منهم خلقا كثيرا. قال: وجعل يوسف بن عمر يوجه بقائد بعد قائد من وجوه أهل الشام وزيد بن علي واقف على أقل من ثلاثمائة رجل، فليس يقدم عليه جيش إلا أتى على

---

(١) عن الطبري، وبالأصل: (هراوي) والهردية: قصبات تضم ملوية بطاقات الكرم تحمل عليها قضبانه.
(٢) بالأصل: مائتين وعشرين، وفي الطبري ٧ / ١٨٢: فكان جميع من وافاه تلك الليلة مائتي رجل وثمانية عشر رجلا. وانظر ابن الأثير ٣ / ٣٨١.
(٣) عن الطبري، وبالأصل (عبد العزيز) وفي الطبري: عمر بدل (عمرو) وفي ابن الأثير فكالأصل.
(٤) الطبري: الصائديين.
(٥) الطبري: خمسمئة من أهل الشام.

عامته وهو ي خلال ذلك يرفع صوته ويقول: أيها الناس! إنكم قد بايعتمونا وأخذنا عليكم العهود والمواثيق أنه قد جاء الحق وزهق الباطل! قال: فكان الرجل منهم يسمع النداء وهو في منزله وهو لا يخرج، فقال زيد بن علي: ما أخلفكم! قد فعلتموها يا أهل الكوفة! قال: واشتبك الحرب بين الفريقين ونادى منادي يوسف بن عمر: ألا! من جاء برأس زيد بن علي فله ألف درهم، ومن جاء بأسير فله مثل ذلك، قال: وكان يوسف بن عمر لا يأتي بأسير إلا ضرب عنقه وأحرقه بالنيران، وزيد بن علي يقاتل هو وأصحابه، وابنه يحيى يقاتل من جانب آخر، وليس يزيد أصحابه على ما هم عليه. فلما رأى ذلك أقبل على نصر بن خزيمة: جعلت فداك يا بن رسول الله! أما والله لأضربن بين يديك بسيفي هذا أبدا حتى أموت! فاحمل بنا يا بن رسول الله حملة لعلنا أن نقرب من المسجد الأعظم فننادي الناس بالخروج إلينا فإنهم محصورون! قال: فجعل زيد بن علي يحمل على هؤلاء القوم وأصحابه معه، ويدنون رويدا رويدا حتى صاروا قريبا من دار حريث بن عمرو المخزومي فقاتل هنالك ساعة، وحمل عليه أهل الشام حتى بلغوا به وبأصحابه إلى دار عمر (٢) بن سعد بن وقاص، واشتد الحرب هنالك ساعة، ثم حمل عليهم زيد بن علي في أصحابه حتى بلغ بهم إلى المسجد الأعظم، ثم دفعهم دفعة أخرى حتى أخلاهم من المسجد، وأقبل حتى وقف على باب الفيل وجعل ينادي في المسجد ممن هو من شيعتهم ويقول: ويحكم يا أهل الكوفة! أخرجوا من الذل إلى العز! اخرجوا من الفقر إلى الغنى! أخرجوا من الضلالة إلى الهدى! اخرجوا إلى (٣) الدين والدنيا! فلستم في دين ولا دنيا، ويحكم! أنا زيد بن علي بن الحسين، أنا الذي بايعتموني بالأمس! اخرجوا بارك الله فيكم! قال: فهم من كان في المسجد أن يكسروا باب المسجد ويخرجوا إلى زيد بن علي، فصعد أهل الشام على سطح المسجد فجعلوا يرمونهم بالحجارة والنشاب، واشتبك الحرب على باب المسجد، فقتل نصر بن خزيمة العبسي وهو أجل من كان مع زيد بن علي. قال: ثم قتل من

---

(١) في الطبري: أتخاف (ابن الأثير: أنا أخاف) أن يكون قد جعلوها حسينية.
(٢) بالأصل (عمرو) خطأ.
(٣) عن الطبري، وبالأصل (من الدين إلى الدنيا).

بعده معاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة وهو صاحب منزل زيد بن علي، وقتل أيضا زيادة بن عبد الله الفهري (١) وجماعة من أصحاب زيد بن علي فحملت رؤوسهم إلى يوسف بن عمر. قال: ثم صاح زيد بأصحابه فحمل وحملوا معه على أهل الشام فهزموهم حتى بلغوا بهم إلى السبخة. قال: واشتد الحرب هنالك فقتل من أصحاب زيد بن علي سبعون رجلا (٢)، وجرح منهم بشر وثبت زيد بن علي فيمن معه هنالك، فلم يزل يقاتلهم هو وابنه يحيى ومن معه إلى أن جاء وقت المساء.

قال: وتقدمت الناشبة من أصحاب يوسف بن عمر فأفرغوا سهامهم بين أيديهم. وجعلوا يرمون رميا شديدا متداركا، وليس يقصدون بسهامهم غير زيد بن علي، وزيد يحمل عليهم كالليث المغضب، ولا يشبه في حملاته إلا بالحسين رضي الله عنه، فبينما هو كذلك إذا بسهم قد أقبل حتى وقع في جبهته فغرق في رأسه (٣)، فسقط زيد عن فرسه وهو لما به وذلك في المساء، فاحتمل حتى أدخل إلى دار رجل من أهل همدان (٤)، وهرب ابنه يحيى حتى دخل إلى دار رجل من الشيعة، وتفرق أصحابه هاربين في السكك والمحال حتى صاروا إلى منازلهم مجروحين لما بهم. قال: وأتي زيد بن علي بالطبيب (٥) لينزع السهم من جبهته، فلما نزع السهم فلم يلبث أن شهق شهقة فارق الدنيا - رضي الله عنه -! فكفن في ثيابه واحتمل في جوف الليل حتى دفن في السبخة ولم يعلم أحد في ذلك الوقت بموضع قبره.

قال: وأصبح يوسف بن عمر من الغد وقد بلغه أن زيد بن علي قد مات وأنه دفن في جوف الليل فلم يعلم بموضعه، فأقبل إليه رجل من بطانته فخبره أن غلاما لزيد (٦) بن علي مجروح في بعض الدور، فقال يوسف بن عمر: علي به! فأتي بذلك الغلام جريحا فقال يوسف بن عمر: لمن أنت؟ فقال لزيد بن علي، فقال: هل لك علم بزيد بن علي أين دفن؟ فقال: لا أيها الأمير! فقال: ويلك! إنك إن

---

(١) في الطبري: زياد النهدي.
(٢) كذا وفي الطبري أن زيد بن علي قتل من أهل الشام نحو سبعين رجلا.
(٣) الطبري: أصاب جانب جبهته اليسرى، فتشبث في الدماغ.
(٤) في الطبري: أدخل بيت حران بن كريمة (مولى لبعض العرب في سكة البريد في دور أرحب وشاكر).
(٥) يقال له شقير مولى لبني رؤاس.
(٦) بالأصل (ليزيد) خطأ.

دللتني عليه نجوت وإلا قتلتك وأحرقتك بالنار، فاختر من ذلك ما أحببت! قال: فكأن الغلام جزع من القتل والحرق فقال: نعم هو مدفون بالسبخة في موضع كذا وكذا، قال: فأرسل يوسف بن عمر إلى ذلك الموضع فنبش ذلك الموضع عن زيد بن علي، فأخذ وصلب بالكناس، إلى جنبه نصر بن خزيمة العبسي ومعاوية بن إسحاق بن زيد بن حارثة وزياد بن عبد الله الفهري (١). قال: وبلغ ذلك كميت بن زيد الأسدي الشاعر وهو يومئذ في منزله، فبكى بكاء شديدا، ثم أنشد يقول: (٢)

أتاني ابن النبي فلم أجبه * أيا لهبي على القلب الفروق
حذار منية لابد منها * وما دون المنية من طريق

قال: ثم أقبل يوسف بن عمر من الحيرة حتى دخل الكوفة فلم يكذب أن صار إلى المسجد الأعظم فدخل وصعد المنبر، فشتم علي بن أبي طالب وولده رضي الله عنهم أجمعين شتما قبيحا، ثم شتم أهل الكوفة وأوقع بهم، وقال (٣): أبشروا يا أهل الكوفة بالذل والصغار! فوالله لأحرمنكم العطاء ولأفعلن بكم ولأصنعن! قال: فتهددهم بأشد التهدد وتوعدهم بأعظم الوعيد ثم نزل عن المنبر وأمره بتفتيش الدور، فكان لا يؤتى بأسير ولا جريح إلا قتله وأحرقه بالنار. ثم أرسل إلى امرأة زيد بن علي فأتي بها، فلما دخلت عليه قال لها: يا عدوة الله! تزوجت زيد بن علي؟ فقالت: نعم والله تزوجت بزيد بن علي! ثم قال: خرقوا عليها الثياب، وعلي بالسياط! فقالت امرأة زيد: ويلك يا عدو الله! إني امرأة ليس يجب علي أن تخرق ثيابي، فقال: دعوا كلامها شقوا ثيابها! وأخذتها السياط من كل ناحية، فقالت: ويلك! إني إحدى خالاتك، إني امرأة من الأزد وأمك امرأة من الأزد، فقال يوسف بن عمر: لعن الله من أنت خالته! فقالت: نعم ولعن الله من هي أقل نسبا منك أمك! فقال يوسف بن عمر للجلادين: اقتلوها! فجعل القوم يضربونها أشد ضرب يكون وهي تقول: ويلك! ما أنت حر، ما أنت من الحرب، والقتل بالسيف يا بن عبد آل ثمود! فلم يزل كذلك حتى ماتت - رحمهما الله -! ثم أمر بها فألقيت على
قارعة الطريق، فجاء إليها قوم من بني عمها في جوف الليل فحملت ودفنت.

---

(١) في الطبري: زياد النهدي.
(٢) البيتان في شرح الهاشميات ص ٢٠٤ باختلاف بعض الالفاظ.
(٣) انظر الطبري ٧ / ١٩١.

قال: ثم أرسل عدو الله لعنه الله إلى رجل من خيار الأزد يقال له القاسم بن عمرو. فقال: أنت الذي دخلت في تزويج زيد بن علي فزوجته؟ قال: نعم، كان ذلك، وليس عن مثل زيد بن علي رغبة وهو من ولد فاطمة وعلي. قال: جردوه! فجردوه وأخذته السياط، قال: فجعل الشيخ يقول: يا يوسف بن عمر القصاص! ماذا تكون حجتك غدا بين يدي الله وقد قتلت نفسا بغير حق! قال: فلم يزل الأزدي يقول ذلك حتى فاضت نفسه - رحمة الله عليه -! قال: فقتل يوسف بن عمر من شيعة آل محمد خلقا كثيرا - رحمة الله عليهم -!

قال: ثم كتب إلى هشام بن عبد الملك كتابا يحرضه فيه على خراب الكوفة وقتل أهلها واستئصالهم عن جديد الأرض. فكتب إليه هشام: أما بعد يا بن عمر فإن الامر ليس كما ذكرت في أهل الكوفة، وإن أهل الكوفة لنا سامعون مطيعون، ولولا قعودهم عن زيد بن علي وخذلانهم إياه لما قدرت عليه، فانظر إذا ورد عليك كتابي هذا فأطلقهم وأحسن إليهم ومن لهم بإعطائهم وزد لهم في جوائزهم وأرزاقهم، ولا تقصر لهم في شيء مما كتب به إليك - والسلام -. قال: فلما ورد كتاب هشام على يوسف بن عمر قرأه، ونادى في الناس فجمعهم إلى المسجد، ثم قام فيهم خطيبا فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أما والله يا أهل الكوفة! ولو كان الامر إلي ما أمرت لكم بعطاء ولا بروث أبدا ما دمت لي ولاية بالعراق، ولكن الامر من أمير المؤمنين هشام، وقد أمر لكم بأرزاقكم، فكونوا علي في غد لتأخذوها.

قال: وبلغ ذلك جعفر بن محمد رضي الله عنه ما فعل به زيد بن علي رضي الله عنهما بالكوفة، فاستعبر باكيا ثم قال (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (١). ثم قال جعفر ذهب والله عمي زيد وأصحابه على ما ذهب عليه جده علي والحسن والحسين عليهم السلام، شهداء من أهل الجنة، التابع لهم بإحسان مؤمن، والشام فيهم ضال، والراد عليهم كافر، وإنهم ليحشرون يوم القيامة أحسن الخلق زينة وهيئة ولباسا، الملائكة: هؤلاء خلف الخلف ورعاة الحق، ولا يزالون كذلك حتى ينتهى بهم إلى الفردوس الاعلى، فويل لقاتلهم من جبار الأرض والسماء.

---

(١) سورة الأحزاب الآية ٢٣.

قال موسى بن حبيب العجلي: حدثتني نخلة بنت عبد الله وهي أم ولد عمر وكانت من العابدات الصالحات قالت: رأيت بعد أن قتل زيد بن علي وصلب ثلاثة أيام فيما يرى النائم كأن نسوة من السماء نزلن عليهن ثياب حسنة، حتى أحدقن بجذع زيد بن علي، ثم جعلن يندبنه وينحن عليه كما تنوح النساء في المأتم.
قالت: ونظرت إلى امرأة قد أقبلت وعليها ثوب لها أخضر يلمع منه نور ساطع، حتى وقفت قريبا من أولئك النساء ثم رفعت رأسها وقالت: يا زيد قتلوك! يا زيد صلبوك! يا زيد سلبوك! يا زيد إنهم لن تنالهم شفاعة جدك عليه الصلاة والسلام غدا في القيامة. قالت نخلة بنت عبد الله: فقلت لإحدى النسوة تلك: من هذه المرأة الوسيمة من النساء؟ فقالت: هذه فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وعلى آله وسلم) تسليما كثيرا.

ثم نذكر خبر يحيى بن زيد بن علي بعد ذلك وهربه
من يوسف بن عمر إلى جوزجان ومقتله بها رضي الله عنه

قال: وخرج يحيى بن زيد من الكوفة هاربا بعد قتل أبيه بشهر أو أقل من ذلك (١) ومعه جماعة من شيعته حتى صاروا إلى نينوى، فانكب على قبر جده الحسين بن علي رضي الله عنهما وجعل يشكو ما نزل به وبأبيه زيد بن علي. ثم خرج من نينوى حتى صار إلى المدائن، وبها يومئذ عامل ليوسف بن عمر يقال له البختري المختار المحاري (٢). قال: فنزل يحيى بن زيد [بن] (٣) علي على قوم من اليهود، وإذا كتاب يوسف بن عمر قد ورد على البختري أن اطلب يحيى بن زيد بن علي، فقد بلغني أنه قد صار إلى المدائن وقد نزل على قوم من اليهود وقد استجار بهم. قال: فطلبه البختري المختار فأصابه بالمدائن، فقال له: قم فقد جاء كتاب يوسف بن عمر في طلبك والحق أي بلد شئت! وهذه عشرة آلاف درهم لك نفقة! قال: فخرج يحيى بن زيد من المدائن فلم يزل يسير ومعه نفر من شيعته حتى صاروا إلى الري ومن الري إلى قومس، فنزل على رجل من أهلها يقال له

---

(١) بعد مقتل أبيه توارى ليلة عند رجل من بني أسد ثم أجاره عبد الملك بن بشر بن مروان لقرابته به وبقي متواريا عنده إلى أن كف الطلب عنه فخرج في نفر من الزيدية إلى خراسان (الطبري ٧ / ١٨٩ ابن الأثير ٣ / ٣٨٣).
(٢) كذا، ولم نعثر عليه.
(٣) سقطت من الأصل.

زياد بن أبي زياد القشيري، ثم رحل منها حتى صار إلى سرخس، فنزل على زيد ابن أخي تميم بن عمرو ستة أشهر، ثم رحل من سرخس حتى صار إلى بلخ فنزل على الحريش بن (١) عمرو بن داود الشيباني (٢)، ثم رحل منها حتى نزل إلى مرو وبها
يومئذ نصر بن سيار الليثي، فدخل يحيى بن زيد إلى مرو ليلا فنزل دار أبي حفصة رجل من بني قيس بن ثعلبة. قال: وإذا كتاب يوسف بن عمر قد ورد على البريد إلى نصر بن سيار يعلمه أن يحيى بن زيد قد صار إلى خراسان فاطلبه، واعلم أنه فتى شاب، أسمر، أنزع، مسنون الوجه حين استوفت لحيته. قال: فجعل نصر بن سيار يطلب هذه الصفة بمدينة مرو، وبلغ الخبر يحيى بن زيد فقال لمن معه من شيعته: تفرقوا من قبل أن تؤخذوا وذروني والقوم! قال: فتفرق القوم عنه. قال: واتصل الخبر بنصر بن سيار أن هذه الصفة بعينها في دار أبي حفصة، قال: فدعا نصر بن سيار برجل من أصحابه يقال له عصمة بن عبد الله الأسدي فأمره أن يركب إلى دار أبي
حفصة في طلب يحيى بن زيد، فأقبلت الخيل حتى أحدقت بالدار وهي دار سكان، فجعل يخرج من الدار الواحد بعد الواحد، وكلما يخرج رجل ينظر إليه عصمة بن عبد الله فلا يرى الصفة، فلم يزل كذلك حتى خرج عليه يحيى بن زيد من الدار وعليه دراعة صوف وقلنسوة مثل ملابس المكاريين وقد حمل أكافا على عاتقه، قال: فعرفه عصمة بن عبد الله الأسدي فضرب الاكاف بسوطه، ثم قال: يا صاحب الاكاف! إني قد عرفتك فامض عن الدار وعن البلد قبل أن تؤخذ. قال: فخرج يحيى بن زيد من ساعته هاربا حتى صار إلى الجوزجان، فلما هم أن يدخلها لقيه رجل من أهلها فقال له: يا هذا أظنك يحيى بن زيد! فقال له
يحيى بن زيد: وكيف علمت أني يحيى بن زيد؟ فقال: إنه قد ورد
الكتاب الساعة برمتك وصفتك من مدينة مرو، قال: فعلم يحيى بن زيد أنه مأخوذ، فرجع عن الجوزجان ولم يدخلها حتى صار إلى مدينة بلخ ثانية فدخلها ليلا، ونزل على رجل من شيعته يقال له يونس بن سليم. وقال: وأمير بلخ يومئذ رجل يقال
له عقيل بن معقل الليثي (٣) وهو ابن عم نصر بن سيار، فاتصل به الخبر أن يحيى بن زيد معه في البلد، فنادى في الناس فجمعهم إلى المسجد الأعظم، ثم جعل يفتش الدور ويطلب يحيى بن زيد، فلا يبلغه أن رجلا ببلخ يعرف بمحبة أهل البيت إلا

---

(١) عن الطبري ٧ / ٢٢٨ وبالأصل: (أبي الحريش).
(٢) بقي ببلخ مقيما حتى هلك هشام بن عبد الملك، كما في الطبري.
(٣) في الطبري ٧ / ٢٢٨ العجلي.

أتي به فضربه بالسياط. قال: وأقبل فتى يقال له قريش بن الحريش (١) فنظر إلى أبيه يضرب بالسياط، فتقدم إلى عقيل بن معقل الليثي فقال: أيها الأمير! لا تقتل أبي بالضرب فلو كان يحيى بن زيد ممن يمكن أن يكون في عين أحد من الناس ثم كان في عين أبي لما رجع جفنه عنه، ولكني أنا أرشدك إلى يحيى بن زيد وهو في دار يونس بن سليم مولى أبي بكرة في غرفة ومعه عشيرته. قال: فأرسل عقيل بن معقل الليثي إلى دار يونس بن سليم. فاستخرج يحيى بن زيد من عرفة الدار ثم أتي به إلى عقيل بن معقل الليثي، فلما دخل عليه دعا له بالحديد ثم كبله وغل يمينه إلى عنقه، ثم شدت قيوده بالسلاسل بعضها إلى بعض، وحمل إلى مدينة مرو إلى نصر بن سيار الليثي، فأنشأ أبو نميلة صالح الابار (٢) مولى بني عبس يقول:

ألم تر ليثا ما الذي ختمت به * لها الويل في سلطانها المتزايل
بنفسي وأمي فاطمي نقضوا * زمان عمي من أمة وتخاذل

قال: ثم إن نصر بن سيار أمر بحبس يحيى بن زيد فحبس في سجن مرو، وكتب إلى يوسف بن عمر الثقفي يخبره بذلك، وكتب يوسف بن [عمر إلى] (٣) هشام بن عبد الملك، وإذا هشام في السياق، فما لبث يحيى بن زيد في السجن أياما قلائل حتى توفي هشام، فكان ملكه تسع عشرة سنة وثمانية أشهر، وتوفي بموضع يقال له الرصافة لست ليال خلون من شعر ربيع الأول سنة خمس وعشرين ومائة، وهو يومئذ ابن أحد وستين سنة (٤).

قال: وصار الامر إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، فبايعه الناس وسلموا إليه

---

(١) عن الطبري ٧ / ٢٢٨ وابن الأثير ٣ / ٣٩٨ وبالأصل: أبي الحريش.
وفي الطبري أن نصر بن سيار أخبر أن يحيى بن زيد في منزل الحريش بن عمرو، وقد أخذ الحريش وطولب أن يدفع إليهم يحيى فأنكر معرفته به أو وجوده عنده، فضربه عقيل ستمئة سوط، فلما رأى قريش بن الحريش أتى عقيلا وقال: لا تقتل أبي وأنا أدلك عليه. فأرسل معه فدله عليه وهو في بيت في جوف بيت، فأتى به نصر بن سيار. فحبسه.

(٢) عن الطبري ٧ / ١٩٦ وبالأصل أبو ثميلة صالح الآثار.

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) اختلفوا في مدة ولايته ووقت وفاته ومقدار عمره انظر في ذلك الطبري ٨ / ٢٨٣ مروج الذهب ٣ / ٢٤٩
العقد الفريد ٤ / ٤٤٥ البداية والنهاية ٩ / ٣٥١ البدء والتاريخ ٦ / ٥١ تاريخ الخلفاء لابن يزيد ص ٣٣، مآثر الاناقة ١ / ١٥١ تاريخ أبي الفداء ١ / ٢٠٤ التنبيه والاشراف ص ٣٢٢ تاريخ خليفة ص ٣٥٦ الفخري ص ١٣٢ ابن الأثير ٣ / ٣٩١.

الخلافة والحلة والقضيب والخاتم، فأنشأ الوليد بن يزيد في ذلك (١):

طال ليلي وبت أسقى المداما * إذ أتاني البريد ينعي هشاما
وأتاني بحلة وقضيب * وأتاني بخاتم ثم قاما
فنعى لي هشاما نعيا وحيا * رافع الصوت مشرقا بساما
فجعلت ألوي من بعد فقدي * أفضل الناس ناشئا وغلاما
ذاك ابني وذاك قرم قريش * خير قرم وخيرهم قداما

وهذه آخر مملكة هشام بن عبد الملك بن مروان - والله أعلم -.

ذكر إمارة الوليد بن يزيد بن عبد الملك

قال: فلما صار الامر إلى الوليد بن يزيد أقر محمد بن مروان (٢) على بلاد أرمينية وأذربيجان، وأقر يوسف بن عمر على العراقين، وأقر نصر بن سيار على خراسان.

قال: ثم كتب الوليد بن يزيد إلى نصر بن سيار يأمره أن يفك يحيى بن زيد من قيوده وحديده. وأن يكرمه بغاية الكرامة، ويخلي سبيله يلتحق بأي بلد شاء. قال: فلما ورد الكتاب على نصر بن سيار أمر بيحيى بن زيد فأخرج من سجنه وخلع عليه وأكرمه ووصله بعشرة آلاف درهم، ثم قال له: إن أمير المؤمنين الوليد بن يزيد يأمرك أن تنحدر إلى العراق فتكون بها إلى أن يأتيك أمره. فقال يحيى بن زيد: أفعل ذلك ولا أعصى لك ولا أمر المؤمنين أمرا.

قال: ثم خرج يحيى بن زيد من مدينة مرو ومعه نفر من شيعته وهم قريبون من مائة رجل، فلم يسر حتى إذا صار على فرسخين من مدينة نيسابور، وبلغ ذلك عمرو بن زرارة فقال لأصحابه: اعلموا أن يحيى بن زيد قد هرب من سجن مرو وأفلت من نصر بن سيار ولا يدري ما يكون منه، ولكن تعبأوا واخرجوا بنا إليه (٣)!

قال: ثم خرج إليه عمرو بن زرارة من مدينة نيسابور في عشرين ألفا من أصحابه

---

(١) الأبيات في الأغاني ٧ / ١٦ ومروج الذهب ٣ / ٢٥٩ وابن الأثير ٣ / ٣٩٧ باختلاف الروي والقافية.
(٢) كذا، والصواب: مروان بن محمد، وقد مر.
(٣) في الطبري ٧ / ٢٢٩ أن يحيى بن زيد أقبل في سبعين رجلا إلى عمرو بن زرارة ومر به تجار فأخذ دوابهم وقال علينا أثمانها. فكتب عمرو بن زرارة إلى نصر بن سيار. فكتب نصر إلى عبد الله بن قيس وإلى الحسن بن زيد أن يمضيا إلى عمرو بن زرارة، فهو عليهم، ثم ينصبوا ليحيى بن زيد فيقاتلوه.

وخاصة أهل البلد. قال: ونظر يحيى بن زيد إلى ذلك الحق قد وافوه. فوثب إلى درعه فأفرغه عليه ثم قال لأصحابه (١) الذين معه: كونوا رجالا وحاموا عن أنفسكم في
هذا اليوم وإلا قتلتم! فتقدم يحيى بن زيد حتى وقف أمام أصحابه ثم قال: يا هؤلاء! لماذا خرجتم إلي، فوالله ما أردتكم، وإنما أنا رجل مجتاز فخلوا لي الطريق أجوز! قال: فلم يكلمه أحد منهم ورمي بالنشاب، فرجع إلى ورائه وجعلت السهام تأخذ أصحابه حتى قتل منهم جماعة. قال: ويحيى بن زيد يومئذ على فرس له قد حمله عليه نصر بن سيار، وعليه جبة صوف، وهو مقلد بسيف حنفي، فقال لأصحابه: يا هؤلاء أنتم تعلمون أني لم أرد هؤلاء القوم، وإنما أنا ماض إلى العراق كما أمرت، وهؤلاء القوم قد بغوا علي كما ترون، وهم عازمون على قتلي وقتلكم، وأنا مانع عن نفسي فامنعوا عن أنفسكم! قال فقال له أصحابه: يا بن رسول الله! إنهم لو كانوا في أضعاف ما هم فيه لما أمكناهم من أنفسنا، ولكن ناشد القوم واعذر إليهم. فإن هم ارتدعوا ورجعوا عنا وإلا قاتلناهم واستعنا الله عليهم. قال: فعندها ناشد يحيى بن زيد وقال: يا هؤلاء اتقوا الله وانصرفوا عنا، فإنا لن نخرج من مدينة مرو إلا بإذن الأمير نصر بن سيار وأمير المؤمنين الوليد بن يزيد (٢)، وهو الذي أرسل إلى عامله فأطلقني، فإن لم تصدقوا ما أقول فاكتبوا إلى صاحبكم نصر بن سيار واسألوه عن ذلك، وأنا نازل على باب مدينتكم هذه إلى أن يرد عليكم الكتاب!
قال: فلم يلتفت القوم إلا كلام يحيى بن زيد ثم حملوا عليه وعلى أصحابه، فاقتتل القوم ساعة وحمل أبو الفضل وهو أخو يحيى بن زيد من الرضاعة فقاتل قتالا شديدا حتى أتى إلى عمرو بن زرارة أمير نيسابور فلم يكذب أن ضربه ضربة جندله صريعا، ووقعت الهزيمة على أهل نيسابور، فلم يقف أولهم على آخرهم فولوا مدبرين، وأخذهم السيف من كل جانب إلى أن قتل منهم خلق عظيم، ودخل الباقون إلى مدينة نيسابور مغلولين فأنشأ بعضهم يقول:
ألم تر أهل نيسابور لما * لقوا الابطال لم يغنوا قتيلا
لقوا مائة وهم عشرون ألفا * فما صبروا ولا منعوا قتيلا
قال: ثم أقبل يحيى بن زيد على أصحابه فقال: إنا كنا قد عزمنا على المسير

---

(١) كانوا سبعين رجلا كما في الطبري وابن الأثير.
(٢) بالأصل: (نصر بن سيار) خطأ.

إلى العراق، وكان من أمر هؤلاء ما كان، وهذا حديث عظيم قد أتيناه ولم نجد بدا من ذلك، وليست لنا العراق بعد هذا اليوم بدار، فارجعوا بنا إلى خراسان، فإن متنا متنا كراما.

قال: فعزم القوم على ذلك ثم ساروا يريدون الجوزجان، وبلغ ذلك نصر بن سيار فاغتم غما شديدا ثم قال: هذا من فعال أمير المؤمنين وجنايته علينا وعلى نفسه، وأما أنا فقد كنت حازم الرأي على أن يخرج يحيى بن زيد من سجني أبدا إلا على قفاه. قال: ثم جعل نصر بن سيار يرثي عمرو بن زرارة ومن قتل معه في ذلك اليوم وأنشأ يقول:

ألموا (١) بالقبور فودعوها * وأقر قبورهم عني السلاما
ولو سمع السلام لرد عمرو * ولكن لا يطيقون الكلاما
هم صدعوا الفؤاد وأوجعتني * مصائبهم (٢) غداة لقوا الحماما

قال: ثم خرج نصر بن سيار يريد يحيى بن زيد وعلى مقدمته خليفة له يقال له سالم (٣) بن أحوز المازني في ثلاثة آلاف ونصر بن سيار في سبعة آلاف من ورائه حتى

وافوا يحيى بن زيد قد التأم إليه سبعمائة فارس من أهل البصائر والنجدة والشجاعة.

قال: ونزل يحيى بن زيد بقرية من قرى جوزجان يقال لها أرغونة (٤)، ونزل سالم بن أحوز في عشرة آلاف، ودنا القوم من القوم، وذلك في أول النهار، وجعل يحيى بن زيد يحمل عليهم بسيفه ويطردهم بين يديه وهو يقول:

أنا ابن أمي وأبي * أنا ابن فاطمة وعلي

قال: واشتد القتال بين الفريقين إلى أن حانت الظهر، فصاح يحيى بن زيد: يا هؤلاء! هذا وقت الصلاة فأمهلونا حتى نصلي وتصلون أيضا إن كنتم من أهل الصلاة! قال فقال سالم بن أحوز: صدق الرجل فذروه فليصل وتصلون أنتم أيضا.

قال: فدخل يحيى بن زيد وأصحابه إلى حديقة عظيمة وفيها نهر يجري فتوضأوا

---

(١) بالأصل (الما).
(٢) بالأصل (مصابهم).
(٣) عن الطبري ومروج الذهب، وبالأصل (مسلم) وفي ابن الأثير: (سالم) وسيرد بعد في الخبر (سالم) كما في ابن الأثير.
(٤) في مروج الذهب ٣ / ٢٥٨ أرعونة.

وصلوا. ثم استووا على ظهور خيولهم وخرجوا إلى القوم حتى صافوهم، وتقدم رجل من أصحاب يحيى بن زيد حتى واقف أمام أصحابه وأنشأ يقول:

أيها المجلب الواجد علينا * كيف ترجو النجاة يوم الحساب
أعلى أحمد النبي اعتقدتم * خيبته الرؤوس والأذناب

قال: ثم حمل قائل هذه الأبيات بين يدي يحيى بن زيد، فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم جماعة ثم رجع، فقال: هل وفيت يا بن رسول الله؟ فقال يحيى: نعم وزاد على الوفاء. قال: ثم حمل يحيى بن زيد في جميع أصحابه على القوم، فلم يزل يقاتل حتى قتل منهم مقتلة عظيمة، وجعلت السهام تأخذه من كل ناحية حتى أثخن بالجراحات، ورق أصحابه حتى بقي في خمسين رجلا، فالتفت إليهم يحيى بن زيد فقال: أيها الناس! أنتم في حل من بيعتي فمن شاء أن يثبت معي فليثبت [ومن شاء أن يرجع -] إلى هؤلاء القوم فليفعل، وأما أنا فلست بارحا من هذا الوقت حتى يقضي الله من أمره ما يشاء. قال فقال له أصحابه: لا والله يا بن رسول الله لا فارقناك أبدا أو لا يبقى منا أحد، فقال يحيى بن زيد: جزاكم الله خيرا من قوم فلقد قاتلتم ووفيتم! ثم حمل وحملوا عليهم معه، فلم يزل يقاتل هو وأصحابه حتى قتلوا بأجمعهم وبقي وحده، فجعل يحمل عليهم والسهام تأخذه من كل ناحية حتى سقط إلى الأرض (١)، وأقبل سالم بن أحوز حتى وقف عليه ثم قال لأصحابه: انزلوا فخذوا رأسه! قال: فنزل إليه سورة بن محمد بن عزيز الكندي فاحتز رأسه - رحمة الله عليه -! فأنشأ عبد الله بن عرين العبدي يقول:

قتلوا مسلما على غير جرم * لا ينجو من فتنة الدجال
يوم ولوا شتى عباديد عنه * كنعام هربن من أحبال
وأبت نفسه الفرار حفاظا * حين ساروا لقتله الضلال

ثم سلبوا يحيى ما كان عليه من درعه وثيابه وسلاحه وتركوه عريانا بصحراء لجوزجان. قال: وساروا برأسه إلى نصر بن سيار، فوجه نصر بالرأس إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان وخبره في كتابه بما كان من أمره. ثم أرسل نصر بن سيار إلى موضع يحيى بن زيد الذي هو فيه مدفون فاستخرجوه، واستخرجوا أخاه أبا

---

(١) أصابه سهم في صدغه، فقتله كما في مروج الذهب.
(٢) عن الطبري وبالأصل (عرين العبدي).

الفضل فصلبا جميعا بالجوزجان على قارعة الطريق، أحدهما حذاء الاخر. فلم يزالا كذلك إلى أيام أبي مسلم وخروجه بخراسان، وهو الذي أمر بهما فأنزلا عن خشبتيهما فكفنا وحنطا وصلي عليهما ودفنا بأرض الجوزجان.

ثم كتب الوليد إلى عامله يوسف بن عمر بالعراق وأمره أن يحط زيد عن خشبته، وأن يحط جميع من كان معه من أصحابه المصلبين هنالك، وأن يحرقهم بالنار والنفط حتى يصيروا رمادا، ثم وضعوا في قواصر وذروا في الفرات، فأنشأ رجل من أهل خراسان يقول:

تقطعت الأسباب بيني وبينكم * بني عبد شمس أو تلاقون مثلما
زمانا ابن سيار يلم أخي الخنا * وداهية دهياء تجتلب الدما
أصاب بلا دخل إماما مهذبا * بريا من الفحشاء ليثا مصمما

قال: فما هو أن قتل يحيى بن زيد رحمة الله عليهما حتى وقع الاختلاف بالشام بين الوليد بن يزيد بن عبد الملك وبين يزيد بن الوليد بن عبد الملك، فقتل الوليد وبتر الله عمره.

ذكر سبب الاختلاف وسبب إمارته

قال: وكان سبب إمارته أن أباه يزيد بن عبد الملك استخلفه بعد هشام بن عبد الملك، فلما انقضى أمر هشام صار الامر إليه، وكان هشام ولاه الحج سنة ست عشرة (١) ومائة فحمل معه كلابا في صناديق وحمل معه قبة حمراء، وأراد أن ينصبها على الكعبة، فخوفه أصحابه وقالوا: لا نأمن الناس عليك ولا علينا معك! فلم يحركها، وظهر للناس منه تهاون في الدين واستخفاف حتى اتهموه بالزندقة حتى بلغ ذلك هشاما، فطمع في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام. ثم أتاه وقال: أجعلها لك من بعده (٢).

وتمادى الوليد في شرب الخمر وطلب اللذات فأفرط، حتى قيل إنه فتح المصحف في وقت، فخرج عليه (واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم

---

(١) بالأصل (ستة عشر).

(٢) في الطبري ٧ / ٢٠٩ طمع هشام في خلعه والبيعة لابنه مسلمة بن هشام، فأراده أن يخلعها ويبايع لمسلمة فأبى، فقال له: أجلعها له من بعدك، فأبى، فتنكر له هشام.

ويسقى من ماء صديد) (١) فنصب المصحف ورماه حتى خرقه، وقال في ذلك (٢):
أتوعد كل جبار عنيد * فها أنا ذاك جبار عنيد
إذ ما جئت ربك يوم حشر * فقل يا رب مزقني الوليد
فقال له هشام: ويحك يا وليد! والله لا أدري على الاسلام أنت أم لا! ما تدع شيئا من المنكر إلا أتيته غير متحاش فيه، فكتب إليه الوليد هذا (٣):
يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر
نشربها صرفا وممزوجة * بالسخن أحيانا وبالفاتر
فغضب هشام على ابنه مسلمة وكان يكنى أبا شاكر، وقال له: يعيرني بك الوليد وأنا أرشحك للخلافة فالزم الأدب واحضر الجماعة، وولاه الموسم سنة تسع عشرة (٤) ومائة، فأظهر النسك والوقار واللين، وقسم بمكة والمدينة أموالا، فقال مولى لأهل المدينة هذه الأبيات (٥):
يا أيها السائل عن ديننا * نحن على دين أبي شاكر
الواهب الجرد بأرسانها * ليس بزنديق ولا كافر
يعرض (٦) بالوليد بن يزيد، وأم مسلمة: أم حكيم بنت يحيى بن الحكم بن أبي العاص. وكان الوليد شديد البطش طويل أصابع الرجلين، حتى كان ينزع سكة حديد بخيط يشد في رجله على الدابة ويثب ولا يمس الدابة.
وكان هشام طرد الوليد إلى مفازة (٧) وقطع منه الارزاق والرسوم ليهلكه، وبقي

---

(١) سورة إبراهيم الآيتان ١٥ و ١٦.
(٢) البيتان في الأغاني ٧ / ٤٩ ومروج الذهب ٣ / ٢٦٣ وابن الأثير ٣ / ٤١١ وانظر نهاية الإرب ٢١ / ٤٨٤
والفخري ص ١٣٤.
(٣) البيتان في الطبري ٧ / ٢١٠ وابن الأثير ٣ / ٣٩٤ والأغاني ٧ / ٣ نسبهما إلى عبد الصمد بن عبد الاعلى
- مؤدبه ونحله إياهما.
(٤) في الأغاني: سبع عشرة.
(٥) البيتان في الطبري ٧ / ٢١٠ وابن الأثير ٣ / ٣٩٤ والأغاني ٧ / ٤.
(٦) عن الطبري، وبالأصل (يعترض).
(٧) في ابن الأثير: (نزل بالأزرق على ماء له). وفي الطبري: (بين أرض بلقين وفزارة، على ما ء يقال له الأغدف) وفي الأغاني (الأبرق).

بها إلى أن مات هشام، فكان يمشي مع أبي الزبير المنذر بن [أبي -] (١) عمرو في تلك المفازة ويشكو هشاما إليه، إذ أقبل رجلان (٢) على البريد فقال الوليد: هؤلاء رسل هشام نسأل الله السلامة! فلما دنوا منه سلما عليه بالخلافة، فغشي عليه فرحا ثم قال لهما: أمات هشام؟ قالا: نعم، قال: فممن الكتاب؟ قال: من مولاك سالم بن عبد الرحمن صاحب الرسائل. وولي الوليد الامر وزاد في عطيات أهل الشام مع زيادتهم عشرا، وأجرى على زمنى أهل الشام مع زيادتهم عشرا، وأجرى على زمنى (٣) أهل الشام وعميانهم ونسائهم، وأمر لكل إنسان منهم بخادم وقائد، وكان يطعم كل من وفد إليه، ويطعم من صدر من الحج وينزله بمنزلة يقال له زيزاء (٤)
ثلاثة أيام ويعلف دوابهم، ولم يقل لشيء سئل عنه لا، وقال: ما تعودت غير نعم.
وحين ولي أقر نصر بن سيار على خراسان كلها، وأنفذ إلى الوليد برابط وطنابير وأبارق الذهب والفضة وخمسمائة مملوك كلهم يضربون ويلهون (٥).
ثم بعد ذلك وقت الخلاف بينه وبين يزيد بن الوليد لخلاعته ومجانته واستخفافه بالنساك وتماديه في الخسارة والضلالة ومنادمته العشاق حتى روي عنه أنه قال (٦):
تلقى بالنبوة هاشمي * بلا وحي أتاه ولا كتاب
فقل الله يمنعني طعامي * وقل لله يمنعني شرابي
فما أتى عليه إلا أيام حتى جمع عليه يزيد (٧) بن الوليد بن عبد الملك أهل

---

(١) زيادة عن الطبري.
(٢) أحدهما مولى لأبي محمد السفياني، والاخر جردية.
(٣) كذا بالأصل مكررة.
(٤) زيزياء من قرى البلقاء، قرية كبيرة يطؤها الحجاج ويقام بها لهم سوق.
(٥) انظر الطبري ٧ / ٢٢٤ وفي ذلك يقول بعض شعرائهم:
فأبشر يا أمين الل * - ه أبشر بتباشير
بإبل يحمل المال * عليها كالأنابير
بغال تحمل الخمر * حقائبها طنابير
ودل البربريات * بصوت البم والزير
وقرع الدف أحيانا * ونفخ بالزمامير
فهذا لك في الدنيا * وفي الجنة تحبير
(٦) البيتان في مروج الذهب ٣ / ٢٦٣.
(٧) بالأصل: (زيد) خطأ.

الشام (١)، فهرب الوليد إلى دمشق، وروي أنه دخل القصر فأحاطوا به، فجلس الوليد وأخذ مصحفا وقال: يوم كيوم عثمان، فعلوا الحائط، وكان أول من علا يزيد بن عنبسة السكسكي فأخذ بيد الوليد وهو يريد أن يحبسه ويؤامر فيه، فنزل من الحائط عشرة فيهم منصور بن جمهور وعبد السلام اللخمي والسري بن زياد بن أبي كبشة وغيرهم، فضربه عبد السلام على رأسه والسري على وجهه، واحتز أبو علاقة رأسه. وقدم بن على يزيد بن الوليد وقال: أبشر يا أمير المؤمنين بقتل الفاسق الوليد! وكان يزيد يتغدى فسجد لله تعالى ومن كان معه فرحا، كما سجد أبو العباس السفاح حين هلك مروان بن محمد. وكان ملكه سنة وشهرين، وقتل يوم الأربعاء لتسع ليال بقين من جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة وهو ابن خمس وأربعين سنة (٢). وصار الامر إلى يزيد بن الوليد بن عبد الملك وهو الملقب بالناقص (٣)، فأقر مروان بن محمد على أرمينية وأذربيجان، وأقر نصر بن سيار على خراسان. ثم لم يلبث يزيد بن الوليد حتى مات، وكان ملكه ستة أشهر ويومين، وتوفي بدمشق يوم

---

(١) انظر في مقتله ابن الأثير ٣ / ٤٠٤ الإمامة والسياسة ٢ / ١٥٣ (من تحقيقنا). ولم يكن مقتله بسبب سلوكه الشخصي وانحرافه الديني وانغماسه باللهو والمجون، فحسب بل تعدى ذلك إلى اعتبار الحركة ضده أول حركة تمرد من خليفة أموي، قادته اليمانية، وهم الجناح الأساسي في النظام الأموي.

وتعود ظروف هذا التحرك إلى:

- انحراف الخلفاء الأمويين عن اليمانية منذ يزيد بن معاوية وتقريبهم القيسية.
- قتل الوليد لخالد بن عبد الله القسري، زعيمهم، والأكثر طاعة وولاء للأمويين، وفي قتله قال الوليد شعرا يحرض على اليمانية (وقيل لغيره) ومما قاله:

وطئنا الأشعريين بعز قيس * فيا لك وطأة لن تستقالا
وهذا خالد فينا أسير * ألا منعوه إن كانوا رجالا
عظيمهم وسيدهم قديما * جعلنا المخزيات له ظلالا
فلو كانت قبائل ذات عز * لما ذهبت صنائعه ضلالا

فبعد سماعهم ذلك عظم عليهم وازدادوا حنقا عليه.

(٢) في يوم قتله ومدة خلافته ومقدار عمره خلاف.
انظر ابن الأثير ٣ / ٤٠٤ الإمامة والسياسة ٢ / ١٥٥ الطبري ٩ / ٤٦ مروج الذهب ٣ / ٢٥٨ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٣٤ مآثر الاناقة ١ / ١٥٧ العقد الفريد ٤ / ٤٥٢ المحبر ص ٣١ تاريخ خليفة ص ٣٦٣ التنبيه والاشراف ص ٣٣٤.

(٣) لم يكن يزيد بن الوليد ناقصا في جسمه ولا في عقله، وإنما نقص بعض الجند من أرزاقهم فقالوا: يزيد الناقص.

الاحد لعشرة من المحرم سنة سبع وعشرين ومائة وهو يومئذ ابن أربعين سنة (٣). وصار الامر إلى أخيه إبراهيم بن الوليد، وبلغ ذلك مروان بن محمد بن مروان، فدعا برجل من أصحابه يقال له عاصم بن يزيد بن عبد الله الهلالي فاستخلفه على أرمينية وأذربيجان، ثم شخص من معه من أهل الشام والجزيرة حتى قدم أرض الشام، فلما تقارب من مدينة حمص، خرج إليه أهلها فحاربوه وحاربهم، ثم إنهم اصطلحوا بعد ذلك وبايعوه، ثم سار مروان إلى دمشق، فإذا قد استقبله سليمان بن هشام وأصحابه [فانهزموا] من بين يدي مروان هزيمة قبيحة حتى صاروا إلى دمشق. وأقبل مروان حتى صار إلى دمشق، فخرج إليه إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك فبينما خلع نفسه من الخلافة شهرين وأياما قلائل أقل من عشرة أيام صار الامر إلى مروان بن محمد بن مروان فدخل مدينة دمشق، وأخذ خالد بن يزيد بن عبد الملك (٢) وعبد العزيز بن الحجاج بن عبد الملك فقتلهما جميعا ثم صلبهما على باب الجابية بدمشق، ثم صلى مروان بن محمد بالناس في المسجد الأعظم صلاة الجمعة، وخرج فنزل دير أيوب، فبايعه الناس هنالك وسلموا له الخلافة، وذلك لأربع عشر ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبع (٣) وعشرين، فأرسل إلى نصر بن سيار، فأقره على أرمينية وأذربيجان، فاستقام الامر لمروان بن محمد (٤) وظهرت الشراة بأرمينية وأذربيجان.

---

(١) في مدة خلافته ويوم وفاته ومقدار عمره انظر ابن الأثير ٣ / ٤٢٤ (من تحقيقنا) وانظر ثبتا فيه بمصادر ترجمته.

(٢) كذا، ولم نعثر فيما لدينا، أن في أولاد يزيد بن عبد الملك من اسمه خالد.

(٣) بالأصل (تسع) وما أثبت عن الطبري وابن الأثير.

(٤) قام مروان بن محمد بحجة الثأر لمقتل الوليد بن يزيد (الخليفة المظلوم كما سماه) إنما حقيقة حركته هي اشتداد الصراع الدموي بين اليمانية والقيسية (جناحا السلطة الأموية) وقد غلبت القيسية المضرية وتلاوموا فيما بينهم لغلبة اليمانية عليهم وتكاتبوا وتداعوا وبايعوا مروان بن محمد وكان يومئذ شيخ بني أمية ورجلهم الكبير.

وكانت معركة مروان، عملية تصفية حسابات خطيرة بين اليمانية والقيسية حيث جرت بينهما تصفيات وعمليات قتل من الطرفين وبينهما وانتقل الصراع وامتد إلى خراسان ثم إلى مناطق تواجدهما في جميع مناطق الدولة الاسلامية (الطبري - ابن الأثير - الاخبار الطوال).

ذكر ابتداء أمر الشراة وخروجهم
في ولاية مروان بن محمد بن مروان
قال: وكان السبب في أمر الشراة أن رجلا من أهل البيلقان يقال له مسافر بن كثير القصاب كان يرى رأي الشراة، وكان الذي أوقفه على ذلك رجل يقال له الضحاك الحروري. قال: فخرج مسافر بن كثير هذا في جملة من يرى رأي الشراة حتى صار إلى مدينة أردبيل، وبها يومئذ قوم ممن يرى رأي الشراة، فلم يزل القوم مجتمعين حتى صاروا في جماعة من الشراة...
قال: وبلغ ذلك عاصم بن يزيد الهلالي وهو يومئذ بمدينة البيلقان، فأرسل إلى رجلين من أهل البيلقان ممن كانا يريان رأي الشراة أحدهما يقال له أبان بن ميمون والاخر قتيبة بن صدقة، فأخذهما جميعا فحبسهما جميعا في سجن البيلقان. واتصل الخبر بمسافر بن كثير القصاب رئيس الشراة وهو يومئذ مقيم بمدينة ورثان (١)،
فخرج في جوف الليل من ورثان في جماعة من أصحابه حتى أتوا البيلقان، فوضعوا السلاليم وصعدوا إلى السور. وكان أول من صعد منهم عصمة بن مسلم البيلقان، فأخذ صاحب الحرس فضرب عنقه على السور. ثم إنهم نزلوا إلى المدينة البيلقان وقد خرج عنها الأمير عاصم بن يزيد الهلالي إلى مدينة برذعة. قال: فأخذت الشراة خليفة له ثم جاؤوا إلى باب السجن، فأخرجوا قتيبة بن صدقة وأبان بن ميمون. ثم إنهم أظهروا أمر الشراة بمدينة بيلقان، فاجتمع إليه الناس من كل ناحية، حتى صاروا في عسكر لجب، فخرج بهم صاحبهم مسافر بن كثير القصاب من مدينة البيلقان حتى صاروا إلى يونان (٢)، وبلغ ذلك الأمير عاصم بن يزيد الهلالي، فنادى في أصحابه ثم خرج، فضرب عسكره على نهر البربر (٣) على باب مدينة برذعة.
قال: فإذا رجل قد أقبل من ناحية برذعة فأخذته الشراة وأقبلوا به إلى صاحبهم مسافر بن كثير، فقال له مسافر: من أين أقبلت؟ قال: من برذعة، قال: فهل لك علم من عاصم بن زيد؟ قال: نعم. هو نازل على شاطئ نهر البربر على غير الجادة بموضع كذا وكذا. قال له مسافر: فهل تعرف الطريق إلى عسكره بالليل؟

---

(١) ورثان: بلد في آخر حدود أذربيجان بينه وبين وادي الرس فرسخان وبين ورثان وبيلقان سبعة فراسخ.
(٢) موضع بينه وبين برذعة سبعة فراسخ - ومنه إلى بيلقان سبعة فراسخ.
(٣) كذا، وفي معجم البلدان: الثرثور نهر من مدينة برذعة على أقل من فرسخ.

قال: نعم، قال مسافر: فإني قد جعلت لك في هذه الليلة ثلاثمائة درهم على أن تسير معنا فتوقفنا على عسكره! فقال الرجل: قد أحببتك إلى ذلك. قال: فنادى مسافر بن كثير في أصحابه وسار بهم ذلك الرجل، وسار بأصحابه في جوف الليل حتى وافى بهم عسكر عاصم بن يزيد قبل الصبح، ونظرت إليه الشراة فكبروا وحملوا واقتتلوا قتالا شديدا، فقتل أمير برذعة عاصم بن يزيد وقتل معه جماعة من أصحابه، وانهزم الباقون ومعهم ابن لعاصم يقال له زفر حتى دخلوا برذعة بشر حالة تكون، فاحتوى مسافر بن كثير وأصحابه على سواد عاصم بن يزيد، وأخذوه ورجعوا إلى مدينة البيلقان فنزلوها.

وبلغ ذلك مروان بن محمد بن مروان وهو يومئذ خليفة بالشام. فاشتد ذلك عليه، ثم إنه دعا برجل من قواد أهل الشام يقال له عبد الملك بن مسلم العقيلي، فضم إليه جيشا كثيفا، وعقد له عقدا وولاية على بلاد أرمينية وأذربيجان بأجمعها حربها وخراجها، وأمره بمحاربة الشراة. قال: فأقبل عبد الملك بن مسلم من الشام في جيش لجب حتى إذا صار إلى برذعة فنزلها، ثم خرج منها في جيشه الذي قتل الشراة إياه قبل ذلك حتى نزل بموضع يقال له جسر الحجارة، فعسكر هنالك حتى اجتمع إليه الناس، ثم إنه سار يريد حرب الشراة، فالتقى الفريقان ما بين برذعة ويونان واقتتلوا هنالك، فقتل عبد الملك بن مسلم هنالك، فقام أخوه إسحاق بن مسلم العقيلي في الناس من بعده، ودام الحرب بين إسحاق بن مسلم وبين الشراة، وكانوا لا يفترون ليلا ولا نهارا من الحرب، وكانت حروبهم ما بين برذعة ويونان، فلم يزل إسحاق بن مسلم يحارب مسافر بن كثير القصاب وأصحابه الشراة إلى أن ظهرت المسودة بأرض خراسان مع أبي مسلم، ودنا زوال بني أمية – فهذا أكرمك الله آخر الفتوح، ونبتدئ بعد هذا في أخبار نصر بن سيار والكرماني وأبي مسلم الخولاني الخراساني.

ابتداء خبر خراسان مع نصر بن سيار وجديع
ابن علي الكرماني وأبي مسلم عبد الرحمن بن مسلم
وكان السبب في ذلك أن نصر بن سيار الليثي كان متحاملا على غير قومه شديد العصبية على ربيعة واليمن، وكان يقدم بني عمه من بني مضر عليهم، فتولى على كورة من كور خراسان رجلا من مضر من بني كنانة أو من بني أسد وتميم وغيرهم من قبائل مضر ولا يحفل بربيعة ولا باليمن، فغضبوا لذلك، ثم إنهم مشوا إلى رجل من الأزد أزد عمان من بني عم المهلب بن أبي صفرة يقال له جديع بن علي ويعرف بالكرماني، وذلك أنه ولد بكرمان بمدينة يقال لها جيرفت في أيام الأزارقة، وكان جده من شيعة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، فكان هذا الكرماني كبيرا في قومه من الأزد، عظيم القدر والخطر في اليمن، فمشت إليه ربيعة وبنو عمه من الأزد وسائر اليمن فشكوا إليه نصر بن سيار وشدة عصبيته عليهم، وسألوه أن يركب إليه فيكلمه في ذلك، فقال الكرماني: أما إني أردت أن أكلمه في هذا الذي ذكرتم، غير أني ما أعرف كيف يكون موقع كلامي منكم، فقالوا له: صر إليه وقل له ما شئت.
قال: فلما دخل عليه بجل بن نصر بن سيار، فقال: يا مولاي! ما هذا الفعل الذي تفعله؟ تفضل بني عمك على أهل اليمن وساداتهم من غيرهم! قال: فغضب نصر بن سيار من كلامه، ثم أمر به إلى السجن (١)، فانطلقوا به يجرونه جرا عنيفا إلى السجن. فبلغ ذلك أهله وعشيرته فاجتهدوا في تلخيصه في الليل [من] مسيل العذرة الخارجة من السجن وأعلموه بذلك أن صر إلينا منه، وكان رجلا جسيما، فلما كان في وقت هدوء الليل أخذه غلام له ويجعل يشحطه لعظم جسده إلى أن

---
(١) ثمة رواية أخرى في سبب حبسه ذكرها ابن الأثير في الكامل ٣ / ٤٢٠ - ٤٢١.

خرجوا به من السجن (١). فلما كان من الغد سمع بذلك نصر بن سيار فأرسل إلى السجان، فلما حضر سأله عن ح اله فقال: يا مولاي! لم يخرج من باب السجن وإنما خرج من مسيل الماء، فقال له: كذبت بل أخذت منه جعلا وتركته! ثم أمر به فضرب بالسياط إلى أن مات.

ثم أرسل صاحب شرطته إلى الكرماني أن صر إلينا فنحن ما أردنا بك ذلك إلا خوفا لفتنة، ولكن نريد أن نستشيرك في أمر، فصر إلينا مطمئنا آمنا. فلما دخل صاحب شرطته على الكرماني وبلغة ذلك، قال له: صر إلى صاحبك وقل له: يا بن الخبيثة وابن القطعاء لا كان ذلك أبدا، أتريد أن يدهمني بمكره وبلائه، فوالله لولا أنك رسول لضربت عنقك! قال: فخرج عصمة (٢) من عنده فقال: أيها الأمير! ما رأيت علجا قط أشد منه، ولكني أعجب من يحيى بن نعيم الربعي (٣) وأصحابه، والله إنه لأشد تعظيما له وإجلالا من بني عمه. قال: فدعا نصر بن سيار بدواة وبيضاء، ثم كتب إلى يحيى بن نعيم بهذه الأبيات:

إنا وهذا الحي من يمن * عند الفجار معاشر أكفاء
قوم لنا منهم تراث جمة * ولهم لدينا إحنة ودماء

قال: فلما وصلت هذه الأبيات إلى يحيى بن نعيم الربعي وفهمها أقبل على الرسول وقال: لولا أنك رسول لبعثت إليه برأسك، ولكن أبلغه عني وقل له: يقول لك يحيى بن نعيم: خبرنا عن يد أبيك التي قطعت اليمنى كانت أم اليسرى؟ قال: فانطلق الرسول إلى نصر بن سيار فأبلغه ذلك، فقال نصر: ما أعرفني بقلة عقول ربيعة!

ثم دعا نصر برجل من أصحابه يقال له [قديد بن -] (٤) منيع، وكان صديق الكرماني وقال له: صر إليه وأعذر إليه أن يقع بيننا وبينه. قال: فأقبل [قديد بن]

---

(١) وذلك بعد تسعة وعشرين يوما بقاها في السجن كما في الطبري ٧ / ٢٨٩.
(٢) في الطبري ٧ / ٢٩١ أن نصرا أرسل إلى الكرماني مع سلم بن أحوز وقال له: إني والله ما أردت بك في
حبسك سوءا ولكن خفت أن تفسد الناس فأتني. فقال الكرماني: لولا أنك في منزلي لقتلتك....
فارجع إلى ابن الأقطع فأبلغه ما شئت من خير وشر... فبعث إليه عصمة بن عبد الله الأسدي.
(٣) في الطبري: يحيى بن حصين.
(٤) زيادة عن الطبري ٧ / ٢٩٢.

منيع حتى دخل على الكرماني وقال: يا هذا! تعرف ما بيني وبينك من الصداقة، فلا توقع الخلف بيننا وبينه، وإن كنت حقدت عليه بحبسك فاحبسه كما حبسك أو تأخذ منه رهنا ويأخذ منك رهنا وصر إليه، فإن كان منه شيء بعد ذلك فيد بيد، فأجاب الكرماني إلى ذلك وقال: نعم، هؤلاء ولداي علي وعثمان، فما يعطيني هو؟ فوالله ما نعرف له ولدا ولا والدا ولا عشيرة غير العشيرة التي ينتمي إليها. قال فقال له: مهلا أبا علي! فإنك لم تكن سفيها قط، فأسألك بالله أن لا يكون خراب هذه البلدة على يديك، فإني ما أظن أن أحدا من العرب أنصح لي منك، قال: فلم يجبه الكرماني إلى شيء، وانصرف قديد بن منيع إلى نصر بن سيار، فأعلمه بذلك. قال: ووثب بنو تميم إلى نصر بن سيار وقالوا: أيها الأمير! ما ننتظر بهذا الكلب. عاجله قبل أن يكثر جمعه، قال: فوثب إلى نصر بن سيار ابن عم له يقال له عقيل بن معقل الكناني (١) فقال: أصلح الله الأمير! لا تلتفت إلى أقوال هؤلاء ولا إلى ما يشيرون به عليك، فإني أخاف بشؤم نفسك أن يدخل البلاء على عشيرتك في محاربتك لهذا الرجل، فإن أمير المؤمنين مروان بن محمد قد انتقض عليه بعض أمره وقد خرجت عليه طائفة من الشراة وأخاف أن يزول عنه أمره إلى غيره، فلا تعجل في أمرك. فقال له نصر بن سيار: صدقت يا عقيل! ولكن صر إليه وكلمه فلعله يرتدع عما هو عليه. قال: فأقبل عقيل بن معقل حتى دخل على الكرماني فسلم وجلس ثم قال: أبا علي! اعلم أنك قد سننت لهؤلاء السفهاء سنة لم تكن بخراسان قبل اليوم، وأخاف أن يوقعك هذا الامر أنت ونصر بن سيار فيما تكرهان، وبعد فأنت اليوم شيخ العرب وسيد قومك، فقل ما أحببت فإنك مجاب إلى ما تحب، ولا تطمع هؤلاء السفهاء فيما دخلوا فيه، فإني أرى شيئا أخاف أن تذهل فيه العقل وتشخص فيه الابصار. قال فقال له الكرماني: صدقت يا عقيل! ولكنه ابن الأقطع، فقال عقيل: عزمت عليك ألا سكت عن ذكره بقبيح، فإني ما سمعته ما يذكرك إلا بالجميل. قال فقال الكرماني: يا عقيل! لا تكثر فليس إلى ما يريد ابن الأقطع من سبيل، قال فقال له عقيل: يا أبا علي! ههنا شيء آخر، قال: وما ذاك؟ قال: يتزوج إليك وتتزوج إليه، فقال الكرماني (٢): إذا لا أفعل ذاك لأنه ليس لي بكفوء، فقال عقيل:

---

(١) في الطبري: الليثي.
(٢) في الطبري: لا آمنه على حال.

سبحان الله يا أبا علي! تقول بمثل هذا الرجل من بني كنانة وشرفه وقدره! فقال: والله لو كان مصاصا في بني كنانة لفعلت! ولكن ليس كذلك، قال عقيل: فما تقول أبا علي؟ أنصرف عنك اليوم وأعود إليك غدا؟ فقال الكرماني: إنما أنت تعود بمثل هذا الكلام فلا تعد، فقال عقيل (١): أبا علي! إنه ليس بعد هذا شيء وأخاف أن تهلك غدا بدار مضيعة! فقال الكرماني: أقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم قال (٢): فرجع عقيل إلى نصر بن سيار، فقال: أيها الأمير! أنت والله في غرو من أمر هذا الرجل! وذلك أنه قد عظم أمره وكثف جمعه واشتدت شوكته، فإن كنت رجلا تقوم في هذا الامر وإلا فالزم منزلك، فإنك قد خيرت ذلك إما أن تلزم منزلك حتى يولي هو من يريد، وإما أن تحمل من أموال خراسان ما أحببت وتنصرف إلى أمير المؤمنين مروان، فاختر من الثلاث (٣) ما بدا لك. قال: فغضب نصر بن سيار من ذلك غضبا شديدا، ثم صاح بصاحب شرطته سالم (٤) بن أحوز المازني، فقال له: يا سالم! سر إلى هذا الملاح فاكفني أمره وائتني برأسه الساعة.

قال: فنادى سالم في أصحاب نصر بن سيار فركبوا، وسار إلى باب الكرماني وعلى بابه يومئذ أربعة آلاف رجل ما يرى منهم إلا الحدق. قال: فصاح سالم بن أحوز بقائد من قواد الكرماني يقال له محمد (٥) بن المثنى، فقال: يا بن المثنى! قل لصاحبك هذا الملاح: يخرج إلينا! فقال له ذلك محمد بن المثنى، فخرج إليه في أصحابه فاقتتلوا ساعة، فقتل من أصحاب الكرماني قريب من عشرين رجلا، وقتل من أصحاب نصر بن سيار نيف على مائة رجل، فانهزم سالم بن أحوز إلى دار نصر بن سيار فأعلمه بذلك. قال: فأرسل إليه نصر بعصمة بن عبد الله الأسدي حتى وقف قبالة أصحاب الكرماني، ثم قال: أما والله لو علمتم (٦) أن السمك لا يغلب

---

(١) في الطبري: قال: ما بعد هذا خير.

(٢) في الطبري: فقال له عقيل: أعود إليك؟ قال: لا ولكن أبلغه عني وقل له: لا آمن أن يحملك قوم على غير ما تريد، فتركب منا ما لا بقية بعده، فإن شئت خرجت عنك لا من هيبة لك، ولكن أكره أن أشأم أهل هذه البلدة، وأسفك الدماء فيها.

(٣) كذا، ولم يذكر الامر الثالث، ولعله يريد: القتال.

(٤) في الطبري: سلم.

(٥) عن الطبري، وبالأصل (أحمد).

(٦) في الطبري ٧ / ٣٦٨ لتعلمن.

اللخم (١) أبدا! فصاح به يحيى بن نعيم الربعي (٢): يا بن الفاعلة إن كنت صادقا فاثبت لنا! ثم حمل الفريقان بعضهم على بعض، فقتل من أصحاب الكرماني ثمانية نفر ومن أصحاب نصر بن سيار سبعون رجلا، وانهزم عصمة بن عبد الله الأسدي وأصحابه، وأصحاب الكرماني في أقفيتهم حتى ألحقوهم بصاحبهم. فأقبل عصمة بن عبد الله مجروحا لما به حتى دخل على نصر بن سيار فخبره بذلك. فلم يزل نصر يوجه إلى حرب الكرماني واحدا بعد واحد حتى وجه إليه سبعة قواد، ما منهم قائد إلا يرجع مفلولا ومجروحا، حتى كان آخر قائد وجه به إليه مالك بن عمرو الحماني (٣) وكان من المعدودين في بني تميم، فصار إلى باب الكرماني في قريب من أربعة آلاف فارس، ثم وقف وصاح بابن المثنى: إن كنت رجلا فابرز إلي وذر الناس جانبا! فقال له محمد بن المثنى: قد أنصفت يا أخا تميم! ثم برز إليه والتقيا للضراب فبدره التميمي بضربة على حبل عاتقه فقطع درعه، وضربه محمد بعمود كان في يده على بيضته فهشم البيضة حتى وصل العمود إلى رأس التميمي فجندله صريعا. قال: والتحم القتال والامر بين الفريقين، فاقتتلوا ساعة، وجعل نصر بن سيار يمد أصحابه والكرماني يمد أصحابه، حتى كثرت من الجانبين القتلى يومهم ذلك. وغلق أهل مرو أبواب حوانيتهم وأبواب دورهم وعطلت الأسواق.

قال: ثم تواعد القوم وخرجوا إلى موضع يقال له الجياد (٤)، فخندقوا على أنفسهم وجعلوا يقتتلون الليل والنهار، حتى اقتتلوا سنة كاملة لا يفترون ولا يملون.

قال: وكتب نصر بن سيار إلى مروان بن محمد بهذه الأبيات:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة * مخبرة عن محكمات الرسائل
بأن عداة الله أضحوا بأرضنا * يسومونا اطفاء حق بباطل
ونحن حماة الدين نسمو إليهم * بأسيافنا والمسندات الأوائل

قال: فلما ورد هذا الشعر على مروان بن محمد اغتم لذلك غما شديدا،

---

(١) اللخم دابة من دواب الماء، تشبه السبع تأكل المسك. (عن ابن الأثير).
(٢) في الطبري وابن الأثير: فقال له محمد (ابن المثنى).
(٣) في الطبري وابن الأثير: التميمي.
(٤) في الطبري ٧ / ٣٦٨ خرجوا جميعا إلى الخندقين.

وجعل نصر بن سيار يفكر في أمره فلم يجد له حيلة، ورحل مروان بن محمد من الشام بحيلة حتى نزل مدينة حران من بلاد الجزيرة فجعلها دار مملكته، وعزم أن يصير إلى خراسان بنفسه، ثم إنه خشي أن يذهب الشام والجزيرة من يده فجعل يقدم في ذلك ويؤخر، وتحرك أبو مسلم عند ذلك وعزم على الخروج.

ابتداء خبر أبي مسلم (٢)
قال: وكان أبو مسلم في قديم الزمان غلاما حدثا وكان يعمل في السواجير (٢) واسمه عبد الرحمن بن مسلم. قال: وكان يخدم قوما من بني عجل بخراسان يقال لهم بنو عيسى بن معقل (٣). قال: وكان أبو مسلم مع ذلك غلاما لبيبا حسن الأدب والفهم، فوقع في قلبه حب بني هاشم. قال: وخرج قوم من شيعة ولد العباس يريدون الحج منهم سليمان بن كثير الأحوال ومالك بن الهيثم وقحطبة بن شبيب ولاهز بن قريظ وجماعة ممن يرى رأيهم من ولد العباس، فدفعوا له مالا كانوا قد حملوه من خراسان، وجعلوا يختلفون إليه وأبو مسلم معهم لا يفارقهم، فقال محمد (٤) بن علي: من هذا الغلام الذي أراه معكم؟ فقالوا: غلام من أبناء السراجين موالي عيسى بن معقل، فقال محمد: أفحر هو أم عبد؟ فقالوا: أما آل معقل فيزعمون أنه من آلهم، وأما هو فيزعم أنه حر وابن حر، فقال محمد بن علي: ما أدري ما تقولون، ولكني أراه غلاما عاقلا لبيبا، وأرى فيه علامات بينة، وأرجو أن يكون ممن يتحرك في دولتنا. قال فقال له القوم: أيها الامام! فمتى يكون ذلك فقد طال ملك بني أمية؟ فقال محمد بن علي: هذا والله زماننا وهذا وقت دولتنا! ولقد سمعت آبائي يذكرون أن إذا كانت سنة الحمار فعند ذلك يظهر أمرنا، وتجاب

---

(١) بالأصل: وهذا ابتداء خبر أبي مسلم من أوله.
(٢) السواجير: جمع ساجور وهي العصاة التي تعلق في عنق الكلب. والسواجير: نهر مشهور من عمل منبج بالشام.
(٣) تنوزع في أمر أبي مسلم انظر مختلف الأقوال في مروج الذهب ٣ / ٢٨٩.
(٤) بالأصل: (أبو محمد) خطأ.

دعوتنا، ويموت أمر بني أمية، ويظهر الرايات والبنود من كور مرو بخراسان، وتقتل بنو أمية تحت كل حجر ومدر، فقالوا: وما سنة الحمار؟ فقال: إنه لن تمضي مائة سنة من أمر قوم إلا ينتقض (١) أمرهم، لقول الله عز وجل (أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنه يحي هذه الله بعد موتها إلى قوله: كيف ننشزها) (٢) وقد اقترب الوعد الذي وعدناه ورب الكعبة!

قال: ثم أقبل محمد بن علي على شيعته هؤلاء، فقال: اعلموا أنكم في سنة الحمار وكأني بهذا الغلام وقد تحرك في هذا الامر - يعني أبا مسلم - فانظروا إذا كان ذلك فانصروه وقوموا معه في هذا الامر ووازروه، ولعلكم لا تروني بعد عامكم، لأني أحس بضعف في بدني، وأظن أن قد اقترب أجلي، ولكن قد جعلت هذا الامر في ابني إبراهيم المقيم بحران، فإن أصيب فابني عبد الله ابن الحارثية (٣) - يعني أبا العباس - فإن أصيب فابني عبد الله - يعني أبا جعفر المنصور -.

قال: وقدم القوم من مكة من عند محمد بن علي إلى خراسان، فجعلوا ينظرون إلى أبي مسلم بغير العين التي كانوا ينظرون إليه بها قبل، وكتموا ما سمعوا من محمد بن علي في أبي مسلم، بل كانوا يجتمعون إليه أحيانا فيتكلمون ويدبرون آراءهم بينهم وأبو مسلم يقول لهم: لا تعجلوا وأبشروا، فما أقربكم مما تريدون! وأنا وزير صاحب الرايات السود، وكأنكم بي وقد أظهرتها. قال: فلم يزل أبو مسلم بخراسان لازما منزله لا ينطق بشيء ولا يتحرك، حتى إذا وقع الحرب بين الكرماني وبين نصر بن سيار ونظر أبو مسلم إلى الغلبة الكرماني أيقن بالفرج وجعل يقول لمن هو على رأيه: أبشروا فقد دنا الامر! قال: وتوفي محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رحمه الله (٤)، وبلغ ذلك أبا مسلم. فأقبل يدعو الناس إلى ما هم عليه من أمر ولد العباس، والناس يجتمعون إليه من كل أوب، فذكر أهل العلم بهذه الاخبار أن

---

(١) انتقض الشيء: فسد بعد إحكامه.

(٢) سورة البقرة الآية ٢٥٩.

(٣) واسمها ريطة بنت عبيد الله بن عبد الله بن عبد المدان بن الديان بن قطن بن زياد بن الحارث.

(٤) كانت وفاة محمد بن علي في أيام الوليد بن يزيد، وأوصى بالامر من بعده إلى ولده إبراهيم بن محمد فقام بأمر الشيعة، ووجه أبا هاشم ثم بكير بن ماهان إلى خراسان وبعث معه بالسيرة والوصية فقدم مرو وجمع النقباء والدعاء، فنعى إليهم محمد بن علي ودعاهم إلى ابنه إبراهيم ودفع إليهم كتابه. وكان ذلك في سنة ١٢٦ ه.

أبا مسلم أتى إليه ألف رجل وهم الذين بايعوه بدوا غير أنهم كانوا في بيوتهم لا يظهرون. قال: وسمع بذلك نصر بن سيار، فلم يكن لأبي مسلم حيلة لاستقباله بحرب الكرماني عير أنه كتب إلى مروان بن محمد هذه الأبيات (١):

أرى خلل الرماد وميض جمر * أحاذر أن يكون لها اضطرام
فإن لا تخمدوها تجر حربا * يكون وقودها قصر وهام
فإن الناس كالزندين توري * وإن الفعل يقدمه الكلام
أقول من التعجب ليت شعري * أأيقاظ أمية أم نيام
فإن يك قومنا أضحوا رقودا * فقل قوموا فقد حان القيام
فأنتم في الكريهة أسد غاب * إذا كان النذير بها الحسام
وأكرم في زلازلها اصطبار * إذا نشرت وثار لها قتام
تطيف بكم كرائم عبد شمس * لدى الهيجاء ضاق بها المقام
وهم عذر الأباطم من قريش * فكاهلها المقدم والمشام
إذا صدع بقية لا تأوه * وما صدعوا فليس له التيام

قال: فلم يلتفت مروان بن محمد إلى ما كتب إليه نصر بن سيار ولم يجبا بشيء (٢)، فعلم نصر بن سيار أن أمر بني أمية قد أدبر.

وكتب إلى يزيد بن عمر بن هبيرة (٣) وهو يومئذ بواب في العراق، من قبل مروان بن محمد: أما بعد، فإن البيعة واحدة وقد علمت ما أنا فيه من حرب الكرماني، وقد خرج علي أيضا من أبناء السراجين من لا يعرف له دين، وقد اجتمع إليه نفر من أهل خراسان من شيعة ولد العباس، فأنشدك بالله أن تضيع بلاد خراسان فقد مضى الامر من أيدي بني أمية، وأريد منك أن تمدني بألف عمامة شامية - والسلام -، ثم أنشد أسفل كتابه هذه الأبيات (٤):

---

(١) الأبيات في مروج الذهب ٣ / ٢٩١ والاخبار الطوال ص ٣٥٧ ابن الأثير ٣ / ٤٥٩ الفخري ص ١٤٤ الطبري ٧ / ٣٦٩ العقد الفريد ٤ / ٤٣٩ باختلاف بين المصادر.

(٢) في ابن الأثير: فكتب إليه مروان: إن الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فاحسم الثؤلول قبلك. فقال نصر: أما صاحبكم فقد أعلمكم أنه لا نصر عنده.

(٣) عن الطبري، وبالأصل (زهير).

(٤) الأبيات في الطبري ٧ / ٣٦٩ مروج الذهب ٣ / ٢٩٣ ابن الأثير ٣ / ٤٦٠ باختلاف بين المصادر والأصل
بعض الالفاظ.

أبلغ إليك وخير القول أصدقه * وقد تبينت أن لا خير في الكذب
هذي خراسان أرض قد رأيت بها * بيضا لو أفرخت قد حدثت بالعجب
فراخ عامين إلا أنها كبرت * لما يطرن وقد سربلن بالزغب
وإن يطرن ولم يحتل لهن بها * يلهبن بلدان حرب أيما (١) لهب
قال: فلم يلتفت [يزيد بن عمر بن] (٢) هبيرة إلى كتاب نصر بن سيار وجعل يقول: وما أصنع! وما أبالي بخراسان إذا سلمت لي العراق (٣).
قال: فعندها طمعت بنو هاشم في الخلافة، فكتب الفضل بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب بن هاشم إلى عبد الله بن الحسن (بن الحسن) بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين هذه الأرجوزة:
دونك أمرا قد بدت أشراطه * وريشت من نبله أمراطه
إن السبيل واضح صراطه * لم يبق إلا السيف واختراطه
قال: وطمع آل أبي طالب خاصة في الخلافة. قال: حدثني أبو الحسن المدائني قال: حدثني أبو الحسن بن الفرات قال: سايرت عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن علي بن عبد الله بن العباس فقال داود بن علي لعبد الله بن الحسن بن الحسن: أبا محمد! لو أمرت ابنيك محمدا وإبراهيم أن يظهروا ويتحركوا في هذا الامر فقد انقضت دولة بني أمية إن شاء الله، ألا تسمع الاخبار وانتقاضها على نصر بن سيار! فقال عبد الله بن الحسن: إنه لم يأت الوقت الذي يظهر بعد، فقال عبد الله بن علي: أبا محمد إنكم لستم الذين تظهرون على بني أمية، بل نحن والله نظهر عليهم، وأنا الذي والله أقتلهم وأبيدهم وأنتزع الامر منهم عن قريب إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وما ذلك على الله بعزيز، قال: فسكت عبد الله بن الحسن بن الحسن ولم يتكلم.

---

(١) عن المصادر، وبالأصل (انها).
(٢) زيادة عن مروج الذهب.
(٣) في مروج الذهب: (فلم يجبه يزيد بن عمر عن كتابه وتشاغل بدفع فتن العراق. وفي البداية والنهاية: فبعث ابن هبيرة بكتاب نصر إلى مروان. وفي الطبري: فقال يزيد: لا غلبة إلا بكثرة، وليس عندي رجل.

قال: ونظر أبو مسلم إلى [أنه] لا مدد لنصر بن سيار فطمع فيما أراد من الخروج، ثم بعث إلى الكرماني أن أثبت على ما أنت عليه فأنا معك لا عليك!
قال: فصارت كلمة أبي مسلم والكرماني واحدة. والتأمت العسكران على نصر بن سيار جميعا. قال: ثم أمر أبو مسلم أصحابه بالوساد ثم كتب إلى جميع الكور بخراسان أن سودوا فإنا قد سودنا، وقد دنا زوال ملك بني أمية. قال: فسود أهل نيسابور ومرو الروذ والطالقان وما يليها وجميع الكور طاعة لأبي مسلم. قال المدائني: وإنما أمرهم أبو مسلم بالسواد لأنه جعل السواد حدادا لمصيبة زيد بن علي ويحيى بن زيد رضي الله عنهما. قال: فلم يبق مدينة بخراسان إلا لبسوا السواد وجعلوا ينوحون وينعون على زيد بن علي ويحيى بن زيد ويذكرون مقتلهما.
قال: ثم بعث أبو مسلم إلى الجوزجان (١) وإلى نهاوند وبها يومئذ يحيى بن زيد مصلوب، فأمر به فأنزل من خشبته وكفن وصلوا عليه ودفن. ثم جعل أبو مسلم يتبع قتلته - أي يحيى بن زيد - فيقتلهم تحت كل حجر ومدر، حتى قتل بيحيى بن زيد وزيد بن علي ثمانون ألفا أو يزيدون من شيعة بني أمية ومن شارك في دم يحيى بن زيد حتى قتل ولد الولد، وهو الذي يقول:

أجيبوا عباد الله آل محمد * فذا عنهم الداعي يحاب ويكرم
قتلت بزيد بن الحسين وابنه * ثمانين ألفا من كمي ومعلم

قال: فعندها أعطى نصر بن سيار بيده واتقى على نفسه، ثم كتب إلى أهل مرو وغيرهم ممن قد علم أنهم على رأيه ومذهبه، وسألهم أن ينصروه ويقيموا معه ويوازروه على حرب الكرماني وأبي مسلم، وكتب إليهم بهذه الأبيات (٢):

أبلغ ربيعة في مرو وإخوتها * فليغضبوا (٣) قبل أن لا ينفع الغضب
ولينصبوا الحرب إن القوم قد نصبت * حربا يحرق من حافاتها الحطب (٤)
ما بالكم تلحقون الحرب بينكم * كأن أهل الحجى عن فعلكم غيب

---

(١) بالأصل (الجوركان) وقد مر أن يحيى بن زيد قتل في إحدى قرى الجوزجان وصلب جثته.
(٢) الأبيات في العقد الفريد ٤ / ٤٤٠ والاخبار الطوال ص ٣٦١ وابن الأثير ٣ / ٤٦١ باختلاف المصادر والأصل في بعض الالفاظ.
(٣) عن العقد الفريد، وبالأصل (بل يغضبوا).
(٤) عن العقد الفريد، وبالأصل (حطب).

وتتركون عدوا قد أظلكم * [ممن -] (١) تأشب لا دين ولا حسب
ليسوا إلى غيره منا فنعرفهم * ولا صميم الموالي إذ هم نسبوا
قوما يدينون دينا ما سمعت به * عن الرسول ولم تنزل به الكتب
فمن يكن سائلا (٢) عن أصل دينهم (٣) * فإن دينهم أن تقتل العرب
ويقسم الخمس من أموالكم أسرا * من العلوج ولا يبقى لكم نسب
وينكح فيكم قسرا بناتكم * لو كان قومي أحرارا لقد غضبوا

قال: فلما نظر نصر بن سيار أنه ليس يجيبه أحد ممن يكتب إليه أحب أن يفرق بين الكرماني وبين أبي مسلم، فكتب إلى الكرماني: ويحك أبا علي! لا تغتر بأبي مسلم وأصحابه، فإنه ليس يريد هذا الامر لك ولا لنفسه، إنما يريده لبني هاشم. فإني خائف عليك منه، ولكن هلم حتى ندخل جميعا إلى مدينة مرو ونكتب بيننا كتابا بالصلح، ويحلف كل واحد منا لصاحبه أن تكون كلمتنا واحدة على أبي مسلم،

قال: فوعد الكرماني أن يجيبه، ثم أقبل على أبي مسلم فقال: إن نصر بن سيار قد كتب لنا بكذا وكذا، فما ترى أن نخرج إليه وأسأله أن يخرج إلي على أن يكتب بيني وبينه هذا الكتاب بين العسكرين، ثم أغتاله برجل من أصحابي فيحمل عليه ويقتله، فقال أبو مسلم: ما أرى لك رأيا غير هذا.

قال: فخرج الكرماني حتى وقف قريبا من نصر بن سيار ومعه قريب من مائة، أوصى رجلا من أصحابه بما يريد من قتل نصر بن سيار، ثم بعث إليه رسولا أن اخرج إلي حتى نكتب بيننا ذلك الكتاب الذي ذكرت في وسط العسكرين! قال: فخرج ابن سيار في قريب من مائة فارس وقد أوصى رجلا من أصحابه يقال له الحارث بقتل الكرماني. قال: ودنا الفريقان بعضهم من بعض، والكرماني يومئذ بلا درع، وعليه قباء أبيض ويسمى بلغة أهل خراسان خشلبود (٤). قال: فلما نظر نصر بن سيار إليه وهو في تلك الحالة التفت إلى الحارث (٥) بن سريج وكلمه بالفارسية: هذا وقته، قال: فحمل الحارث بن سريج على الكرماني وطعنه طعنة في خاصرته جندله

---

(١) عن الاخبار الطوال.
(٢) عن العقد الفريد، وبالأصل (سائل).
(٣) عن العقد الفريد وابن الأثير، وبالأصل (دينه).
(٤) كذا وفي الطبري ٧ / ٣٧٠ قرطق خشكشونة.
(٥) في الطبري ٧ / ٣٧٦ وابن الأثير ٣ / ٤٥٩ (ابن الحارث بن سريج).

قتيلا. قال: وكبر أصحاب نصر بن سيار وطمعوا في أبي مسلم بعد ذلك. قال: ثم أمر نصر بن سيار برأس الكرماني فأخذه وقوره وحمله برمحه إلى مروان بن محمد، وكتب إليه نصر بن سيار بالخبر على جبهته، وفي آخر الكتاب: هذه الأبيات (١):

لعمري لئن كانت نزار تتابعت * علي بغدر حين خابت حدودها
لقد غمزوا مني قناة صليبة * أبى على من شانها الضيم عودها
وقدت ذوي الأحساب منهم من أقدمي * وذا الدجل حتى عاد حربا يبيدها
وأصلحت من ساداتها كل فاسد * وأسرعت في خير الذي لا يسودها
وكنت لها كهفا منيعا وجنة * ليأوي إليها كهلها ووليدها
فمالوا على السوءات ثم تمردوا * وهل يفعل السوءات إلا مريدها
فللترك [قد] أوفى نزار بعدها * ولا يأمنن الغدر يوما عميدها
أحاشوا نزار الشام إن نزارها * أبوه أباي وهنيء (٢) عميدها
خليفتنا الساعي لنا ببراتنا * فطالبت (٣) أوتار العدى وميدها
أمروان إني قد منيت بمعشر * خوارج سوء ما يلين شديدها
أجاهدهم في الله حقا لأنني * أومل دارا لا يبيد خلودها
وكم كم أجاشوا من جنود وأوقدوا * أشانيب نيران سريع خمودها
فأوردت خوفا بتها الموت عنوة * كذاك منايا الناس يدنو بعيدها

قال: فلما كان بعد قتل الكرماني زحف نصر بن سيار إلى أصحاب أبي مسلم، ونادى أبو مسلم في أصحابه، ودنا الفريقان بعضهم من بعض واقتتلوا ساعة، وهوى علي بن الكرماني إلى تميم بن نصر بن سيار وهو يقاتل أشد قتال، فحمل عليه وهو يقول: أنا ابن الكرماني! ثم طعنه طعنة أصابه، ثم نادى بأعلى صوته: يا بن سيار! كيف ترى أخذ الثأر! قال: وأسرع القتل في أصحاب نصر بن سيار، وانصرف الفريقان بعضهم عن بعض بقية يومهم ذلك، فأنشأ نصر بن سيار يرثي ولده يقول أبياتا مطلعها (٤):

نفى عني العزاء وكنت جلدا * لإجلاء الفوارس عن تميم

إلى آخرها.

---

(١) الأبيات في الاخبار الطوال ص ٣٦٣ باختلاف بعض الالفاظ.
(٢) بالأصل (مني) وما أثبت عن المطبوعة.
(٣) بالأصل (فطالت) وما أثبت عن المطبوعة لاستقامة الوزن.
(٤) الأبيات في الاخبار الطوال ص ٣٥٥.

قال: وباكر القوم الحرب فاقتتلوا قتالا شديدا، وأثخن نصر بن سيار جراحا، وقتل من أصحابه جماعة، وانهزم من بين يدي أبي مسلم هزيمة قبيحة ولم يقم له قائمة. قال: فأنشأ رجل من أصحاب أبي مسلم يقول أبياتا مطلعها:

لسنا نبالي لدى الهيجاء من أحد * مما نطالب عن عجم ولا عرب

إلى آخرها.

قال: وجعل أمر أبي مسلم يعلو يوما بعد يوم حتى خافه الناس من جميع النواحي بكور خراسان، وكان إذا ذكر إنما يقال (قال الأمير كذا وكذا). وكان يخطب له فيقال: اللهم

أصلح الأمير أمير آل محمد.

قال: وكان أهل بلاد خراسان على فرقتين، فكور منها يدعون (١) لمروان، وكور منها يدعون لأبي مسلم أنه الأمير أمير آل محمد. قال: وتفاقم الامر بين أبي مسلم ونصر بن سيار جدا، وكانوا إذا دنوا للقتال يتشاتمون ويذم بعضهم بعضا، وكان نصر بن سيار ينشد ويقول في ذلك أبياتا مطلعها:

درجت دينا وأهلا أنت تاركهم * ما الخير دينا وأهلا لا يذمونا

إلى آخرها.

قال: ودامت الحرب بين أبي مسلم وبين نصر بن سيار، ومال أهل خراسان إلى أبي مسلم فأعطوه طاعتهم وحملوا إليه أموالهم. قال: ونظر نصر بن سيار أنه لا طاقة له بأبي مسلم فك عن الحرب أياما، فلم يحارب ودخل مدينة مرو وجلس في منزله وسلم الامر. قال: ودعا أبو مسلم بأربعة نفر من أصحابه منهم عامر بن إسماعيل الجرجاني وأخوه عمرو وسليمان بن كثير ولاهز بن قريظ (٢)، قال: سيروا إلى أرض نصر بن سيار فأقرئوه مني السلام وقولوا إن الأمير يقول لك أن قد جاءنا كتاب من عند الامام إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وإنا نحب أن نعرضه عليك فصر إلينا آمنا مطمئنا! قال: فأقبل القوم فاستأذنوا على نصر بن سيار فأذن لهم، فدخلوا وسلموا وبلغوا رسالة أبي مسلم. قال: وجعل لاهز بن قريظ يقول: (يا موسى إن الملا يأتمرون بك) (٣) فعرف نصر بن سيار أن أبا مسلم (٤)

---

(١) في الأصل (بدعوى).

(٢) انظر الطبري ٧ / ٣٨٤ وابن الأثير ٣ / ٤٦٩ والإمامة والسياسة ٢ / ١٥٩.

(٣) سورة القصص الآية ٢٠.

(٤) بالأصل (أبا موسى).

يدعوه ليقتله، فقال: نعم وكرامة ونعما عيني أجيبكم إلى ما أحببتم ولكن أمهلوني الساعة حتى أنظر حاجة وأخرج إليكم، فجلس القوم ودخل نصر بن سيار بستانا له. وذاك في جوف الليل وكانت ليلة مظلمة. ثم دعا بصاحب دوابه فقال: أئتيني ببرذوني الفلاني، فأتاه فركب في ثلاثين غلاما (١) وترك ماله قليله وكثيره وخرج من باب البستان هاربا على وجهه إلي ناحية نيسابور. قال: وأبطأ عن الرسل فعلموا أنه قد هرب، فرجعوا إلى أبي مسلم فخبروه بذلك، فقال أبو مسلم: ذروه الان يمضي حيث يشاء، ولكن ما الذي استراب منكم؟ فقالوا: والله ما لنا بذلك من علم ولكن تكلم هذا فقال (يا موسى إن الملا يأتمون بك) ولم يتم الآية! فقال: هذا الذي دعاه إلى الهرب، قال: ثم قدم أبو مسلم لاهز بن قريظ فضرب عنقه. ثم أقبل إلى دار نصر بن سيار فانتهبها وأمر بإحراقها (٢)، ثم استولى على جميع بلاد خراسان، ووجه عماله إلى جميع البلاد، فاحتوى عليها وجبى جميع خراجها.

ومضى نصر بن سيار إلى نيسابور في غلمانه وأولاده وجميع من معه من بني تميم فمضى إلى الري، ثم خرج منها يريد العراق حتى إذا صار على تسعة فراسخ من الري بموضع يقال له فسطانة (٣) توفي هنالك فدفن بها، وأنشأ رجل من بني تميم يقول أبياتا مطلعها:

ألا من لنفس غاب عنها عزاؤها * ودمع لعين ما يجف بكاؤها

إلى آخرها.

قال: وبلغ أبا مسلم أن نصر بن سيار قد هلك، فدعا بقحطبة بن شبيب فضم إليه جيشا يزيدون عن عشرين ألف فارس وأمره أن يتقدم إلى جرجان فيأخذها ويتقدم منها إلى غيرها! قال: فسار قحطبة إلى نيسابور فجبى خراجها وفرقه على أصحابه،

---

(١) في ابن الأثير: ومعه ابنه تميم والحكم بن نميلة النميري وامرأته المرزبانة، وانظر الطبري ٧ / ٣٨٤ والإمامة والسياسة ٢ / ١٦٠.

(٢) انظر الطبري ٧ / ٣٨٤.

(٣) كذا، وفي مروج الذهب ٣ / ٢٩٤ نزل ساوة من بلاد همذان والري، فمات بها كمدا. وانظر الطبري ٧ / ٤٠٣

وابن الأثير ٣ / ٤٧٩ وكانت وفاته سنة ١٣١ ه. لمضي اثنتي عشرة ليلة من شهر ربيع الأول وكان عمره ٨٥ سنة.

قال ابن الأثير: وقيل مات في المفازة التي بين الري وهمذان.

وسار منها حتى وافى جرجان، وبها يومئذ رجل من قبل بني هبيرة (١) يقال له نباتة بن حنظلة الكلابي (٢) في جمع عظيم من أهل الشام والعراق، وقد خندق على نفسه خندقا يتحصن به من قحطبة بن شبيب وأصحابه. قال: ودنا إليهم قحطبة بن شبيب وأصحابه. قال: فجعل على ميمنته خالد بن برمك، وعلى ميسرته أسد بن عبد الله الخزاعي، وعلى الجناح موسى بن كعب العقيلي. ثم أقبل قحطبة على أصحابه فقال: أيها الناس! أتدرون من تقاتلون! إنما تقاتلون قوما حرقوا (٣) كتاب الله وبدلوا دينه وتولوا عن أمره، وإن هذه البلاد كانت لابائهم (٤) الأولين وكانوا ينصرون على عدوهم بالعدل والاحسان، ثم بدلوا وغيروا وظلموا فسخط الله عليهم وانتزع سلطانهم وسلط (٥) عليهم أذل أمة كانت من الأرض، ثم بدلوا فغلبوهم على بلادهم واستنكحوا نساءهم واسترقوا أولادهم وقتلوا آباءهم، فلم يزالوا ع لي ذلك من حالهم إلى وقتهم هذا، فرفع الله رأسكم وأعلى أمركم، ثم جاء بكم إليهم وسلطكم عليهم وينتقم منهم بكم، ألا! وقد عهد إلي الأمير أمير آل محمد صلى الله عليه وسلم بأنكم تلقونهم
فيهربون وتقتلونهم بإذن الله - والله مع الصابرين - (٦).
قال: ودنا قحطبة بن شبيب وأصحابه من سادات أهل خراسان إلى نباتة بن حنظلة صاحب جرجان، وذلك يوم الجمعة أول يوم من ذي الحجة (٧)، فالتقوا فاقتتلوا يومهم ذلك من وقت طلوع الشمس إلى وقت الزوال، فقتل جماعة من أهل خراسان، ثم وقعت الهزيمة على أصحاب جرجان، فقتل نباتة بن حنظلة [وابنه] (٨) وقتل معهما نيف عن عشرة آلاف رجل من أهل الشام، وهرب الباقون وبدد شملهم، وأمر قحطبة برأس نباتة بن حنظلة ورأس ابنه (٩) أن يحملا إلى أبي مسلم،

---

(١) كان نباتة بن حنظلة عامل يزيد بن هبيرة على جرجان.
(٢) في تاريخ خليفة: أحد بني أبي بكر بن كلاب.
(٣) في ابن الأثير ٣ / ٤٧٣ حرقوا بيت الله تعالى.
(٤) في ابن الأثير: لابائكم.
(٥) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل (سخط).
(٦) انظر خطبته في الطبري ٧ / ٣٩١ - ٣٩٢ وابن الأثير ٣ / ٤٧٤.
(٧) في سنة ١٣٠ ه كما في الطبري وابن الأثير.
(٨) زيادة عن ابن الأثير.
(٩) واسمه (حبة) قاله خليفة، وفي ابن الأثير: (حية).

وكتب إليه بالفتح. ثم إنه دخل مدينة جرجان، فقتل من أهلها جماعة (١) ممن كان يرى برأي بني أمية، ثم جبى خراجها جميعه فأعطى أصحابه بعض ذلك، ووجه باقي الأموال إلى أبي مسلم، ثم نقلوا منها إلى الدامغان وإلى سمنان (٢) فلم يمنعه مانع، فجبى خراجها ووجه به إلى أبي مسلم.

ثم سار إلى الري فنزلها فلم يحاربه أحد من أهلها، وكتب إليه يستأذنه في التقدم إلى غيرها. قال: فكتب إليه أبو مسلم يستأمره بالمسير إلى أصبهان. قال: فرحل قحطبة من الري في جيشه ذلك يريد أصبهان، ثم سار إلى قاشان، وبلغ ذلك عامر بن ضبارة، فخرج في مائة ألف (٣) أو يزيدون. قال: ودنا قحطبة بمصحف كان معه وأمر به، فعلق في رأس رمح طويل، ثم نادى مناديه: يا أهل الشام! ندعوكم إلي ما في هذا المصحف من تفضيل محمد صلى الله عليه وسلم وتفضيل بني هاشم! قال: وكان

أصحاب عامر بن ضبارة يشتمون قحطبة ويشتمون أبا مسلم وولد العباس، فقال قحطبة لأصحابه: احملوا عليهم وقولوا (لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم) قال: فحمل الفريقان بعضهم على بعض، واقتتلوا ساعة من النهار، فقتل من أصحاب قحطبة نفر يسير، وقتل عامر بن ضبارة صاحب أصبهان. وقتل من حضر من أهل الشام وغيرهم خلق كثير لا يحصون كثرة. وبعث قحطبة برأس عامر بن ضبارة إلى أبي مسلم وكتب إليه بالفتح، ثم إنه دخل مدينة أصبهان، فقتل منها من قتل، وجبى خراجها ووجه به إلى أبي مسلم.

ثم سار منها إلى نهاوند وبها يومئذ مالك بن أدهم بن محرز الباهلي والحكم بن ثابت بن مسعر الخثعمي (٤). وبها أيضا أولاد نصر بن سيار في جماعة من أصحاب أبيهم. قال: فنزل قحطبة وأصحابه على نهاوند، فحاصروا القوم حصارا شديدا وضيق عليهم غاية الضيق ووضع عليهم المناجيق، فجعل يرميهم ليلا ونهارا. وهو مع ذلك يدعوهم إلى طاعة أبي مسلم وهم لا يجيبون إلى ذلك. قال: فبينما القوم في محاربة أهل نهاوند إذ أرسل مالك بن أدهم الباهلي يسأله أن يعطي له ولأصحابه

---

(١) قتل ما يزيد على ثلاثين ألفا قاله ابن الأثير.

(٢) سمنان بلدة بين الري والدامغان.

(٣) في ابن الأثير: وقيل خمسين ومائة ألف.

(٤) الطبري: الحنفي.

الأمان ولجماعته من أهل الشام، فلما خرج مالك بن أدهم (١) إليه وخرج أيضا جماعة من أصحاب نصر بن سيار، قال: وعلم بهم قحطبة وبقدومهم، وكانوا يزيدون على أربعين رجلا وفيهم أولاد نصر بن سيار فغدر بهم فضرب أعناقهم ووجه برؤوسهم إلى أبي مسلم وكتب إليه بالفتح.

ثم دخل نهاوند وجبى خراجها ووجه به إلى أبي مسلم.

ثم سار منها إلى حلوان وبها يومئذ عبد الله بن العلاء الكندي (٢) من قبل ابن هبيرة فخبر بخبر قحطبة، فلما أحس بخيل قحطبة أنها وافته خرج من حلوان هاربا إلى أن صار إلى يزيد بن [عمر بن] (٣) هبيرة فأعلمه بذلك. قال: ووصل قحطبة إلى مدينة حلوان فجبى خراجها فقوى به أصحابه.

وعزم على المسير إلى العراق ثم ادعى برجل من أصحابه يقال له عبد الملك بن يزيد ويكنى أبا عون، فضم إليه أربعة آلاف رجل وأمره بالسير إلى شهر زور، وبها يومئذ رجل من قبل يزيد بن [عمر بن] (٣) هبيرة يقال له عثمان بن سفيان في خمسة آلاف فارس من أهل الشام وأهل العراق، فلما بلغه مسير أبي عون إليه خرج وتلقاه على فرسخين من شهر زور فاقتتلوا هنالك، فقتل عثمان بن سفيان (٤) وقتل جماعة من أصحابه وانهزم الباقون على وجوههم مشردين في البلاد. قال: وبعث أبو عون ابن سفيان (٥) إلى قحطبة بن شبيب ودخل إلى شهر زور.

قال: وبلغ ذلك إلى يزيد بن [عمر بن] (٣) هبيرة فرحل من واسط إلى العراق في خلق عظيم حتى صار إلى جلولاء فنزلها، ثم إنه خندق على نفسه خندقا (٦) وجمع إليه أصحابه. وبلغ ذلك قحطبة بن شبيب فرحل من حلوان فنزل خانقين.

ورحل يزيد بن [عمر بن] (٣) هبيرة راجعا إلى ورائه حتى نزل بموضع يقال له

---

(١) الأصل (قحطبة) خطأ.

(٢) في تاريخ خليفة: (عبيد الله بن العباس الليثي).

(٣) سقطت من الأصل.

(٤) الأصل والطبري وابن الأثير، وفي تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٤٣ عثمان بن زياد.

(٥) في الطبري وابن الأثير: قتل عثمان بن سفيان، وقيل لم يقتل ولكنه هرب إلى عبد الله بن مروان بن محمد.

(٦) وهو الخندق الذي احتفره العجم أيام وقعة جلولاء.

الدسكرة (١). وبلغ ذلك قحطبة فقال لبعض أصحابه: ذر ابن هبيرة ينزل أين شاء ويرحل إلى حيث يشاء فلسنا نريده، وإنا نريد لصاحبه مروان بن محمد بن مروان إلى أن تعرض لحربنا فلا نجد بدا من دفعه عنا. قال: ثم أقبل قحطبة على أصحابه وقال: اطلبوا دليلا يدلنا على أرض العراق وطريق الكوفة ويأخذ بنا على غير الجادة، قال: فوثب رجل من همذان يقال له خلف بن مورع فقال: أيها الأمير! أعرف الطريق أنا من ههنا إلى الكوفة إلى براعن (٢) يزيد بن [عمر بن] (٣) هبيرة فلا تراه ولا يراك، فقال: إذا سر بين أيدينا فإذا سلم الله فلك عندي عشرة آلاف درهم. قال: فسار الهمذاني بين يدي قحطبة حتى عبر لهم نهرا يقال له تامرا (٤)، ثم سار في طريق قاصد حتى صار بهم إلى مدينة يقال له عكبرا (٥) على شاطئ الفرات وهي الدجلة، ثم عبر بهم من الدجلة آلى موضع يقال له أوانا (٦).

قال: فنزل قحطبة أوانا (٦)، واتصل الخبر إلى يزيد بن [عمر بن] (٣) هبيرة فقال لأصحابه: ما تقولون الان في أمر قحطبة؟ فقالوا: أيها الأمير! إن قحطبة يريد الكوفة فذره وانزل إلى خراسان فخذها، فقال ابن هبيرة (٧): أسير إلى خراسان وفيها أبو مسلم الخراساني في مائة ألف عنان، لا، ولكني أبادر إلى قحطبة وأسبقه إلى الكوفة. وسار يزيد إلى الكوفة فاقتربت العساكر بعضها من بعض، وأقبل قحطبة حتى نزل على شاطئ الفرات وأمر أصحابه بالنزول إلى الجانب الاخر وذلك وقت المساء، فجعل القوم يعبرون ووافتهم العساكر مع يزيد بن [عمر بن] (٣) هبيرة وقد عبر عامة الناس، فتناوش القوم وأقبلوا على شاطئ الفرات، واختلط الظلام وذهب قحطبة ليحمل على جماعة من بني يزيد، فانهار الجرف من تحت قوائم الفرس فسقط به في الفرات فغرق ولم يعلم به أحد من أصحابه، غير أنهم كانوا يقاتلون أشد القتال حتى أصبحوا، فانهزم أصحاب يزيد بن [عمر بن] (٣) هبيرة هزيمة قبيحة وقد

---

(١) عن الطبري، وبالأصل (الدسكر).
(٢) كذا بالأصل.
(٣) سقطت من الأصل.
(٤) عن معجم البلدان، وبالأصل (نامرا).
(٥) عن ابن الأثير، وبالأصل (عكبر).
(٦) عن الطبري، وبالأصل (بوانا).
(٧) بالأصل: أبو هبيرة.

قتل منهم خلق كثير.
قال: وافتقد أهل خراسان قحطبة فلم يروا له خبرا، فبينما هم كذلك إذ نظروا إلى فرسه على شاطئ الفرات وجميع ما عليه مبلول، فعلموا أنه قد غرق في جوف الليل (١). قال: فأقبل الناس على الحسن بن قحطبة فبايعوه. قال: فجمع الحسن الناس وسار بهم إلى الكوفة. قال: وبلغ ذلك إلى يزيد بن [عمر بن] (٢) هبيرة فتنحى عن سواد الكوفة راجعا إلى وسط العراق فنزل بها أيضا، وفي الكوفة رجل من قبله يقال له عبد الرحمن بن بشير العجلي، فخرج عن الكوفة إلى أن لحق بصاحبه.
وسار ابن قحطبة حتى دخل الكوفة في نيف وثلاثين ألفا من أهل خراسان ومن اتبعه من أهل العراق وأقبل إليه أبو سلمة حفص بن سليمان الخلال وكان يعرف بالوزير وزير آل محمد صلى الله عليه وسلم، فلما رآه الحسن بن قحطبة قام إليه وقبل يده وتنحى عن مجلسه
حتى أجلسه، ثم قال: أيها الوزير إن الأمير أبا مسلم قد أمرنا بطاعتك فما تأمرنا؟
قال: فوثب أبو سلمة من وقته وركب معه الحسن بن قحطبة، ونودي في الناس فاجتمعوا إلى المسجد الأعظم ولم يبق هاشمي ولا غير ذلك من أشراف أهل الكوفة إلا وقد اجتمعوا وهم لا يدرون لأي شيء يجتمعون.
ذكر البيعة وعقد الخلافة لولد العباس
ابن عبد المطلب السفاح
قال: وبالكوفة يومئذ جماعة من العلوية، قوم يظنون أن البيعة تكون لولد أبي طالب، وقوم يظنون أن البيعة تكون لولد العباس. قال: فاجتمع الناس وتكاملوا في المسجد، وأقبل أبو سلمة حفص بن سليمان حتى صعد على المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وخطب الناس، ثم قال: أيها الناس! انظروا غذا ولا يبقى أحد ممن يلبس السلاح ويركب الخيل إلا ويلبس السواد ويوافي هذا المسجد حتى تعتقد البيعة لأهلها - والسلام -. قال: فعندها أيس الناس من آل أبي طالب من البيعة، وانصرف الناس إلى منازلهم فجعلوا يصبغون الأقبية والعمائم والاعلام، فما أقبل الصباح إلا وأهل الكوفة كلهم لابسون السواد، ثم صاروا إلى المسجد الأعظم،

---

(١) في ابن الأثير ٣ / ٤٨٥ وجدوه في جدول وحرب بن سالم (في الطبري: سلم) بن أحوز قتيلين، فظنوا أن كل واحد منهما قتل صاحبه.
(٢) سقطت من الأصل.

فركب بعضهم بعضا، وضربت الطبول، وخفقت الرايات، ونفخت البوقات، وارتفع التكبير، أقبل أبو سلمة حفص بن سليمان حتى دخل المسجد وعليه سواد، ثم صعد المنبر فحمد الله واثنى عليه، وذكر محمدا فصلى عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، ثم قال: أيها الناس! هل أنتم راضون بما أصنع؟ فقالوا: رضينا بأمرك، افعل ما بدا لك، فقال: إن الأمير أمير آل محمد أبا مسلم الخراساني عبد الرحمن بن مسلم كتب إلي وأمرني أن أقيم للناس خليفة هاشميا، لتستريح هذا الخلق من جور بني أمية العاتين الظالمين الفسقة الذين قتلوا ذرية رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ألا! وإنا قد نظرنا في أخبار بني هاشم وذوائبها فما رأينا فيها أحدا هو أجل ولا أعبد من علي بن عبد الله بن عباس وابنه محمد، وكل بني العباس خيرون فاضلون، وقد ارتضيت لكم عبد الله بن [محمد بن] (١) علي بن عبد الله بن عباس، وهو الزكي في حسبه، التقي في نسبه، العدل في سيرته، فهل رضيتم به؟ قال: فضج الناس من كل جانب: نعم رضينا.

ثم نزل أبو سلمة عن المنبر وأرسل إلى عبد الله بن محمد فدعاه، فأقبل عبد الله بن محمد على بغلة له دهماء (٢) وهو معتم بعمامة سوداء وعليه ثياب سود حتى

دخل المسجد، وذلك في يوم الجمعة، وقد أذن المؤذن، فصعد أبو العباس عبد الله بن محمد المنبر، فحمد الله واثنى عليه وصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، ثم

خطب خطبة بليغة (٣) شوق فيها إلى الجنة وحذر فيها من النار، وذكر ما وعد الله عباده

المتقين وما أعد الله للظالمين، ثم قال: أيها الناس! بايعوا ولا تختلفوا، فإنكم لم تبايعوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة الأخيار بعده أهدى من هذه البيعة، لأنكم كنتم

مقهورين مظلومين، وكنا معكم على مقت مغلوبين مغصوبين، فأقام الله لنا شيعتنا من أهل خراسان، فعرفوا لنا أقدارنا وطلبوا لنا بثأرنا، فالحمد لله رب العالمين والسلام.

قال: ثم نزل فصلى بالناس صلاة الجمعة، فلما فرغ من صلاته جلس قريبا من السرير ثم بسط يديه، فازدحموا عليه بالبيعة حتى كسروا درابزين المقصور.

---

(١) سقطت من الأصل، وما أثبت عن ابن الأثير.

(٢) في ابن الأثير ٣ / ٤٩٠ (برذونا أبلق) وفي تاريخ خليفة: (أشهب).

(٣) أنظر خطبته في الطبري ٧ / ٤٢٥ ابن الأثير ٣ / ٤٩٠.

قال: فكانت بيعته لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة اثنتين وثلاثين ومائة - والله أعلم -. فهو أول من ملك من ولد العباس، وهو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس بن [عبد] المطلب بن هاشم، وأمه امرأة من العرب من بني الحارث بن كعب واسمها ريطة بنت عبيد الله (١) بن عبد الله بن عبد المدان (٢) ابن
الديان بن قطن بن زياد (٢) بن الحارث بن كعب.
قال: وكان مروان بن محمد يومئذ مقيما بأرض حران. فلما بلغه أن الناس قد بايعوا ولد العباس أخذ إبراهيم بن محمد أخا العباس فقتله، وعزم على محاربة بني هاشم وولد العباس.

ذكر حديث مروان وما كان منه بعد بيعة
بني العباس للناس

قال: ثم دعا مروان بإسماعيل بن عبد الله القسري فقال: ويحك يا أبا هاشم! أبو مسلم بخراسان قد تغلب عليها وعلى سائر الجبال، وهذا عبد الله (٣) بن محمد بالعراق وقد بايعه الناس، وأنت المدين به في الأرض، فهات ما عندك، فقال له إسماعيل بن عبد الله: يا أمير المؤمنين! خبرني على ماذا عزمت حتى أشير عليك، فقال مروان: أزمعت والله على أن أسير بعيالي وأهلي وخدمي وأموالي ومن يتبعني من الناس ثم إني أقطع الدرب وأصير إلى مدينة من مدن الروم فأنزلها، وأكاتب ملك الروم لعله ينصرني على عدوي! فقال إسماعيل بن عبد الله: أعيذك بالله (٤) يا أمير المؤمنين من هذا الرأي أن تحكم أهل الشرك من بناتك وحريمك! وهي الروم الذي لا وفاء لها ولا ذمام، ولا تدري ما تأتي به الأيام، فإن حدث بك حادث بأرض الروم ضاع من بعدك حريمك وولدك ومالك، ولكن أشير عليك أن تقطع الفرات وتصير إلى الشام، فإنهم إذا نظروا إليك لم يعدوا إليه ولم يعدلوا بك أحدا، فتكون الشام

---

(١) عن العقد الفريد، وبالأصل (الحارث).
(٢) عن العقد الفريد وبالأصل (عمرو).
(٣) بالأصل (عبيد الله) خطأ.
(٤) عن الاخبار الطوال ص ٣٦٥ وبالأصل: ما عندك بالله. وانظر مروج الذهب ٣ / ٣٠١ - ٣٠٢ والإمامة والسياسة ٢ / ١٦٠.

لك ومصر، وإنه بقية من خلفك (١). فإن رأيت ما تحب منها فنعمة، وإن تكن الأخرى فتمضي إلى إفريقية فهي أصلح لك من بلاد الروم. فقال مروان: صدقت يا أبا هاشم! هذا هو الرأي، غير أني قد عزمت على أمر، وهو أن أواقع القوم وقعة واحدة وأنظر كيف يكون أمري، فإن كان الذي أريده وإلا فالشام بين أيدينا.

ذكر مسير مروان بن محمد إلى محاربة ولد العباس رضي الله عنهم

قال: ثم تعبى مروان وخرج من حران في جيش غزير يريد الموصل، وجعل الناس يستنفرون الناس، فصاروا إلى مدينة الموصل وقد اجتمع إليه مائة ألف عنان.

قال: وبلغ ذلك أبا العباس فخطب الناس وخبرهم بمسير مروان إلى أرض الموصل، ثم قال: من ينتدب إليه منكم؟ قال: فتكلم عم أبي العباس عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس فقال: أنا له يا أمير المؤمنين! فقال أبو العباس: أنت له فسر على بركة الله وعونه. قال: فجمع عبد الله بن علي أصحابه فعرضهم وأعطاهم الارزاق، ثم خرج من الكوفة في عشرين ألفا أو يزيدون حتى نزل مدينة يقال لها الحديثة وهي على سبعة فراسخ من الموصل. قال: وسار إليه أبو (٢) عون عبد الملك ابن يزيد من شهر زور في أربعة آلاف، فصار عبد الله بن علي في أربعة وعشرين ألفا ويزيدون.

فبلغ ذلك مروان بن محمد فصار من مدينة الموصل في مائة ألف عنان حتى نزل على شاطئ نهر يقال له الزاب (٣) حذاء عسكر عبد الله بن علي. قال: ثم أمر مروان فعقد له جسرا على الزاب ثم نادى في أصحابه فركبوا، وركب مروان فرسه الأشقر الذي كان يذكره الناس فيقولون: أشقر مروان، وكان فرسا عتيقا لم ير في ذلك الدهر مثله. قال: فركبه مروان حتى وقف على الجسر فنظر إليه مليا ثم قفع فرسه وعبر إلى عسكر عبد الله بن علي، وعبر إليه أصحابه، وعبر عبد الله بن علي وأصحابه إليهم، ثم إنه عبى أصحابه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحا. وتقدم حتى وقف في القلب. ومالت الخيلان بعضها على بعض فاقتتلوا من ضحوة النهار إلى أن جاء وقت الظهر، فكانت الدائرة على أصحاب عبد الله بن علي وقتل منهم جماعة، فرفع

---

(١) في مروج الذهب والإمامة والسياسة: الشام أمامك وأفريقيا خلفك.

(٢) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل (ابن).

(٣) الزاب نهر بالموصل، والزاب أيضا عدة مواضع.

عبد الله رأسه إلى السماء فقال: إلهي وسيدي ومولاي! إلى كم نقتل فيك وفي طاعتك! إلهي وسيدي ومولاي! أنت تعلم أن هؤلاء القوم الذين نقاتلهم هم الذين قتلوا أهل بيت نبيك محمد صلى الله عليه وسلم وشردوهم في البلاد، اللهم! فانصرنا عليهم يا ذا
الجلال والاكرام. قال: واشتبك الحرب بينهم، فصارت الدائرة على أصحاب مروان فقتل منهم بشر كثير وجعل بعضهم يقف خلف بعض، وصاح مروان: يا معشر السكاسك (١) والسكون احملوا! فقالوا: قل لبني عامر (٢) أن يحملوا، فقال مروان: يا بني عامر (٣) احملوا! فقالوا: قل لأسد وتميم أن يحملوا. قال: فأحس مروان بالخذلان فالتفت إلى صاحب علمه (٤) فقال: قدم علمك! قال: لا أفعل، قال: لئن لم تفعل لأشوهن بك، قال: لئن قدرت فافعل. قال: ثم نكس علمه وقفع فرسه وصار إلى عبد الله بن علي، قال: ونظر أهل الشام إلى صاحب علمه قد استأمن فانكسروا لذلك، ووقع فيهم القتل وعزموا على الهزيمة. قال: وثنى مروان رأس فرسه أيضا فظنوا أنه قد انهزم، فولى الناس وجعلوها هزيمة. قال: وجعل مروان يناديهم: ويحكم أنا أمير المؤمنين! أنا مروان بن محمد! فلم يعرج عليه أحد من الناس، فلما رأى ذلك انهزم. قال: وتبعه عبد الله بن علي هو وأصحابه، فجعل البعض يأخذهم من شاطئ الفرات إلى أرض الموصل. قال: وانقطع الجسر فغرق من أصحاب مروان خلق كثير، فجعل عبد الله بن علي يتلو هذه الآية (وإذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون) (٥). قال: وجعل رجل من أصحاب عبد الله بن علي ينظر إلى هزيمة القوم وما حل بهم من الانكسار يزدجر ويقول (٦):

لج الفرار بمروان فقلت له (٧) * عاد الظلوم ظليما همه الهرب
أين الفرار وترك الملك إن ذهبت * عنك الهوينا فلا دين ولا حسب

قال: واحتوى عبد الله بن علي على جميع ما كان في عسكر مروان وضمه

---

(١) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل (السكابين).
(٢) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل (عمران).
(٣) بالأصل (عمر).
(٤) في ابن الأثير: لصاحب شرطته.
(٥) سورة البقرة الآية ٥٠.
(٦) هو من ولد سعيد بن العاص كما في الطبري ٧ / ٤٣٤ وابن الأثير ٣ / ٤٩٥ والبيتان فيهما.
(٧) عن المصدرين السابقين، وبالأصل (لهم).

وقسمه بين أصحابه، ثم كتب إلى أمير المؤمنين أبي العباس يخبره بذلك وبالوقعة وهزيمة مروان بن محمد، فلما قرأ أبو العباس الكتاب جعل يتلو هذه الآية (فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت واته الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء) (١)، فقال له جلساؤه: قتل مروان يا أمير المؤمنين؟ فقال: يقتل إن شاء الله، فإنه ليس بعد هزيمة الظالم إلا قتله، فأنشأ رجل من همذان في ذلك يقول أبياتا مطلعها:

تعسا أمية قد زلت بكم قدم * وأصبح الملك من أيديكم انتزعا
وما لها من بني العباس مضطلع * بالحمل لو كلفوها غيره طلعا
خذها هنيئا أبا العباس أنت له * رود الشباب لها مستقبلا جدعا
خذها هنيئا مريئا أنت صاحبها * للدين طرا وللدنيا وما جمعا
ميراث أحمد كانوا يلعبون به * يا رب مستحصد غير الذي زرعا

قال: ومر مروان منهزما لا يلوي على شيء حتى صار إلى حران، فنحمل بحريمه وأولاده وحاشيته وأمواله ومر على وجهه هاربا حتى عبر الفرات وصار إلى قنسرين من أرض الشام، فخرجت عليه قبائل: بنو طيء وتنوخ، فانتهبوا عامة أمواله، ثم صار إلى حمص ففعلوا به ذلك، ثم صار إلى دمشق وهي دار بني أمية، فخرج عليه أهلها فمنعوه دخولها فمر هاربا على وجهه حتى وصل إلى مصر والخيل في طلبه. فصار إلى مدينة يقال له الفرما (٢) فنزلها.

ذكر مسير عبد الله بن علي في طلب مروان ابن محمد بن مروان

قال: وسار عبد الله بن علي إلى أرض الموصل وأقام بها ثلاثة أيام، ووافاه أخواه (٣) من العراق: صالح بن علي وعبد الصمد بن علي، ووردوا إليه في عشرة

---

(١) سورة البقرة الآية ٢٥١.
(٢) بالأصل (العزما) وما أثبت عن معجم البلدان، والفرما: مدينة على الساحل من ناحية مصر. انظر في هزيمة مروان وهروبه إلى مصر الطبري ٧ / ٤٣٥ وابن الأثير ٣ / ٤٩٩ ومروج الذهب ٣ / ٢٩٩.
(٣) بالأصل (أخوه) وقد قدم عليه بأمر أبي العباس أخواه عبد الصمد بن علي وصالح بن علي مددا له، بعد أن كتب أبو العباس إلى عبد الله بن علي يأمره باتباع مروان.

آلاف (١). قال: فعندها دعا عبد الله بن علي رجلا من أصحابه يقال له محمد بن صول فولاه الموصل وديار ربيعة. ثم سار إلى حران فنزل (٢) الدار التي قتل فيها إبراهيم بن محمد الامام، ثم سار إلى منبج، ثم رحل إلى مدينة حلب، فكان لا يدخل مدينة إلا استقبله أهلها وقد تسودوا وبرقعوا الاعلام السود، فلم يزل كذلك حتى صار إلى مدينة دمشق وفيها يومئذ الوليد بن معاوية بن مروان بن الحكم (٣)، فنزل عبد الله على باب يقال له الشرقي، ونزل صالح بن علي على باب الجابية، وعبد الصمد على باب الفراديس، وحميد بن قحطبة على باب توما، وأحدقت العساكر بمدينة دمشق، ووثب بعضهم على بعض فجعلوا يقتلون من جوف المدينة عصبة لبني العباس وعصبة لبني أمية، فكانت الغالبة سيوف بني العباس، فوثبوا على عامل دمشق الوليد بن معاوية بن مروان (٤) فقتلوه، وفتحت الأبواب كلها، فدخل عبد الله بن علي (٥) فسكن الناس وأمنهم، وأقام بدمشق أياما (٦). ثم رحل منها إلى فلسطين فنزلها، ووجه بأخيه صالح بن علي في طالب مروان بن محمد بن مروان.

ذكر مقتل مروان بن محمد

قال: فخرج صالح بن علي في عشرة آلاف عنان أو يزيدون يريدون مروان بن محمد بن مروان، ومروان يومئذ مقيم بمدينة الفرما (٧) بأرض مصر. قال: فلما بلغه مسير صالح بن علي إليه ليقتله عمد إلى ما كان في البلاد من العلف والطعام فأحرقه عن آخره، ثم خرج هاربا نحو بلاد مصر حتى جاز إلى الفسطاط، ثم رحل عنها ، فكان لا يمر بشيء من العلف إلا أحرقه، وصالح بن علي في طلبه حتى نزل بأرض يقال لها العيونة (٨) ثم دعا بعامر بن إسماعيل الجرجاني (٩) فضم إليه أربعة آلاف عنان

---

(١) في ابن الأثير: قدم عبد الصمد في أربعة آلاف... وقدم صالح بن علي في ثمانية آلاف. (يعني في اثني عشر ألفا).

(٢) في ابن الأثير: فهدم الدار.

(٣) عن ابن الأثير ٣ / ٤٩٨ وبالأصل عبد الملك بن مروان خطأ.

(٤) بالأصل (عبد الملك) وما أثبت عن ابن الأثير.

(٥) كان دخوله دمشق يوم الأربعاء لعشر مضين من رمضان سنة ١٣٢ كما في الطبري (في ابن الأثير لخمس
مضين).

(٦) في ابن الأثير: خمسة عشر يوما.

(٧) بالأصل (العزما) وقد مرت قريبا.

(٨) كذا، وفي الطبري: (ذات الساحل) وفي ابن الأثير: ذات السلاسل.

(٩) في الطبري وابن الأثير: (الحارثي) وفي مروج الذهب: المذحجي.

ووجه به في طلب مروان بن محمد. قال: ومروان يومئذ بمدينة يقال لها عين شمس وهي مدينة فرعون، فجاء عامر بن إسماعيل حتى دخل المدينة في جوف الليل ونظر فإذا غلام في يده برذونة يقودها، فقال: يا غلام! لمن هذه البرذونة؟ فقال: لبعض غلمان أمير المؤمنين مروان، قال: وأين مروان؟ قال: ها هو نازل في الكنيسة.
قال: فقصدت الخيل إلى باب الكنيسة، وعلم بذلك مروان فوثب إلى درعه فأفرغه عليه وتناول سيفه وخرج إلى القول وجعل يضاربهم. قال: وجعل عامر بن إسماعيل يقول لأصحابه بالفارسية: دهيد يا جوانگان! فبينما مروان كذلك إذ حمل عليه رجل من أصحاب عامر بن إسماعيل يقال له محمد بن شهاب المازني فطعنه في خاصرته طعنة جندله قتيلا (١) وأحدقت به الخيل، ونزل إليه غلام محمد بن شهاب فاحتز رأسه، ثم وضع السيف فيمن بقي من أصحابه، فلما أفلت منهم إلا ما أخذ أسيرا.
قال: فأنشأ رجل من أهل الكوفة يقول أبياتا مطلعها:

نزع الخلافة من بني مروان * رب علا بالطول والاحسان
ما زال مروان يقرب خطوة * ويحرق الأرضين بالنيران
ويروغ منها في البلاد ولم يكن * قدر الاله يجل عن مروان
ولقد رماهم (٢) صالح بفوارس * شم الأنوف معانقي الاقران
فاستخرجوه من الكنيسة صاغرا * ولعاوروه بذلة وهوان
وأتاه للحين المباح فوارسا * ألقوا الطعان بساحة الميدان
ساروا برأس الرجس مروان الذي * فتك الورى بالظلم والعدوان

قال: ثم احتوى عامر بن إسماعيل وأصحابه على دواب مروان وأمواله وسلاحه وقليله وكثيره، وساروا برأسه إلى صالح بن علي حتى وضعوه بين يديه، فوجه صالح بالرأس إلى أخيه عبد الله بن علي (٣) وهو مقيم بأرضه، فوجه به عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس.

---

(١) وفي الطبري اسمه (المغود) وفي الاخبار الطوال ص ٣٦٧ ومروج الذهب: قتله عامر بن إسماعيل. وكان قتله لليلتين بقيتا من ذي الحجة سنة ١٣٢ ه.
(٢) بالأصل (رماه) وما أثبتاه (رماهم) لاستقامة الوزن.
(٣) بالأصل (عباس).

ذكر كتاب عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين
أبي العباس [عبد الله بن محمد بن علي] (١)
ابن عبد الله بن العباس
بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أمير المؤمنين من (٢) عبد الله بن علي، يسلم عليك، أما بعد، فأتبعنا عدو الله (٣) الجعدي إلى مقر فرعون عدو الله، فقتله الله بمدينة شبيهه وهو فرعون ذو الأوتاد، فأراح الله منه العباد والبلاد، وقد فتح الله على أمير المؤمنين ببلاد الشام وبلاد مصر، فاسأل الله يا أمير المؤمنين أن يزيدك من فضله - والسلام عليك ورحمة الله وبركاته -.
قال: وكذلك ملك مروان خمس سنين وشهرين، وقتل في سنة اثنتين وثلاثين ومائة ليلة الأربعاء لليلة خلت من ذي القعدة، وهو يومئذ ابن اثنين وستين سنة (٤)، وهو الأزرق الملقب بالجعدي (٥).
قال المدائني: فبلغه: لما أتي برأس مروان بن محمد من الشام فوضع بين يدي أمير المؤمنين أبي العباس، فالتفت إلى جلسائه وقال: من منكم يعرف هذا الرأس؟ قال: فتكلم فراس (٦) بن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي وجدته أم هانئ بنت أبي طالب، فقال: يا أمير المؤمنين! هذا رأس خليفتنا بالأمس، وكان والله لنا نعم الخليفة! قال: فغضب أبو العباس من ذلك ثم قام من مجلسه وتفرق الناس، ثم بعث إليه دعاة وقال: ما حملك على ما تكلمت به؟ فقال: يا أمير المؤمنين! إن مروان بن محمد كان بي بارا محسنا فلم أقدر على نصرته حقا لما قد

---

(١) زيادة اقتضاها السياق. وفي الطبري ٧ / ٤٤١ أن صالح بن علي هو صاحب الكتاب إلى أبي العباس.
(٢) بالأصل: ابن.
(٣) عن الطبري، وبالأصل (عبد الله بن).
(٤) انظر في مدة ولايته ومقدار عمره ويوم مقتله: مروج الذهب ٣ / ٢٨٢ العقد الفريد ٤ / ٤٦٩ الطبري ٧ / ٤٤٢ ابن الأثير ٣ / ٥٠٢ البداية والنهاية ١٠ / ٤٧ البدء والتاريخ ٦ / ٥٥ المحبر ص ٣٢ تاريخ الخلفاء لابن يزيد ص ٣٦.
(٥) لقب بالجعدي لأنه تعلم من الجعد بن درهم مذهبه في القول بخلق القرآن والقدر وغير ذلك. وقبل لقب بالحمار: لثباته في الحرب (فوات الوفيات ٤ / ١٢٨).
(٦) في مروج الذهب ٣ / ٣١٢ أبو جعدة بن هبيرة المخزومي، وكان أحد وزراء مروان وسماره.

أخذه الله علي من ميثاقكم، وكرهت أن أخرج من الدنيا ولاحد علينا يد له لا أكافيه عليها بقول ولا فعل، وإنه والله يا أمير المؤمنين أنت أبر بي وأكثر إلي إحسانا منه فتجنب ذلك يكن شكري لك، فقال أمير المؤمنين: اجتنبت يا أبا هشام ومثلك فليصطفه الرجل. قال: ثم أمر له بثلاثين ألف دينار (١).

قال المدائني: لما نصب رأس مروان بالكوفة على رمح واجتمع إليه الناس ينظرون إليه. وفيهم يومئذ حفص بن النعمان مولى عبد الله بن زياد، فجعل ينظر إليه ويترحم عليه ويقول فيه كل جميل، فرفع خبره إلى أبي العباس فدعا به ثم قال: كيف قلت؟ فقال: ما قلت إلا كل جميل، فقال رجل ممن حضر: يا أمير المؤمنين! كذب، ما قال جميلا ولكنه نظر إلى رأس مروان وجعل يترحم عليه ويستغفر له، فقال حفص بن النعمان: كذب يا أمير المؤمنين! إني نظرت إلى رأس مروان فأنشأت أقول:

عبرنا زمانا على دولة * تسام من الذل ألوانها
وكانت أمية في ملكها * تجور وتظهر طغيانها
فلما رأى الله أن قد طغت * ولم يطق الله عدوانها
رماها بسفاح آل الرسول * محمد يكفيه أعنانها
فأهلا ببيعة آل الرسول * ومن كان نرقب إبانها
ورحمة ذي العرش تترى عليك * ولا رحم الله مروانها

فقال الناس: إنه لم يقل كذا يا أمير المؤمنين! ولكنه مدح بني أمية، فقال أبو العباس: اسكتوا فقد علمت ما قال، ثم قال: أنشدني ما قلت وأنت آمن! فقال: نعم يا أمير المؤمنين! إن القوم كانوا إلي محسنين فقلت هذه الأبيات شرح حالي:

إن المكارم من أمية والألم * كانوا العيون لذي الشين اللزم
أضحى رهائن فقده صاروا بها * هاما لتحريق الرياح للنسم
صارت أكاليل الرماح رؤوسهم * وكم يقول مغرم..... (٢)
لهفي عليهم سادة من بعدهم * أخنى الزمان على الفقير المعدم

فقال له أبو العباس: صدقت! هكذا قلت ولا تلام، ثم أمر له أبو العباس

---

(١) الخبر في مروج الذهب باختلاف وزيادة ٣ / ٣١٢ - ٣١٣.
(٢) كذا بالأصل.

بجائزة سنية، فانصرف غانما.
قال أبو الحسن المدائني: وبلغني أن أبا عطاء السندي دخل على أمير المؤمنين أبي العباس، فأنشده قصيدته التي يقول فيها:
إن الخيار من البرية هاشم * بنو أمية أرذل الأشرار
وبنو أمية عودهم من خروع * ولهاشم في المجد عود نضار
أما الدعاة إلى الجنان فهاشم * وبنو أمية من دعاة النار
قال: فلم يصله أبو العباس بشيء وقال: هذا الشعر لغيره، فخرج من عنده وهو يقول:
يا ليت جور بني مروان عادلنا * وإن عدل أبي العباس في النار
قال: فبلغ ذلك لأبي العباس فضحك ثم قال: لا يلام، ردوه، فأمر له العباس بثلاثمائة دينار.
قال أبو الحسن المدائني: دخل جحد بن خرعب (١) على أمير المؤمنين أبي العباس فأنشده أبياتا مطلعها:
تبيت نساء بني أمية نوما * وباللطف قبلي ما ينام حميمها
إلى آخرها.
قال: فدمعت عينا أبي العباس فبكى وبكى من كان بحضرته من آل أبي طالب وسائر بني هاشم، ثم أمر بجحد بن جرعب بألف دينار.
وعقد لعمه داود بن علي على الحرمين وأمر بقتل من قدم عليه من بني أمية، فقتل منهم داود بن علي من قتل، ثم جعل يسأل عنهم فيقتلهم تحت كل حجر ومدر حتى سمع داود بن علي رجلا يلبي وهو يقول في تلبيته: لبيك اللهم لبيك يا مهلك بني أمية! قال: فدعاه داود بن علي فأعطاه ألف دينار.
ثم كتب أبو العباس إلى عمه عبد الله بن علي وهو بالشام كتابا يكرر فيه عليه أن لا يدع من بني أمية أحدا ويقدر عليه إلا قتله. قال: فجعل عبد الله بن علي وهو بالشام يقتلهم تحت كل حجر ومدر ويخبره بذلك، فكتب إليه أبو العباس أنه تتبع قبورهم وتنبشها وتخرج ما فيها من العظام. فأول من نبش قبره معاوية بن أبي

---

(١) كذا، وسيرد قريبا (جرعب).

سفيان، فما أصابوا فيه إلا شبه خيط (١)، وثانيه نبش قبر يزيد بن معاوية لعنه الله، فما أصابوا فيه إلا رميما، وكذلك قبر معاوية بن يزيد ومروان بن الحكم، وأما عبد الملك بن مروان فما أصابوا في قبره شيئا إلا جمجمته وأضلاعه، كذلك ابنه الوليد بن عبد الملك، أصابوا فقارات ظهره، وكذلك مسلمة بن عبد الملك بن مروان (٢)، فما أصابوا إلا صلبه وبعض جمجمته، [وكذلك سليمان] بن عبد الملك، ما أصابوا إلا عظما واحدا. وكذلك ابن يزيد (٣) وابن الوليد (٤) والوليد بن مسلمة وسائر بني أمية، ما أصابوا في قبورهم إلا العظم، فجمع عبد الله عظامهم من كل موضع فأحرقها بالنار، إلا قبر عمر بن عبد العزيز رحمه الله فإنه لم ينبش، ثم أنشأ عبد الله بن علي يقول (٥):

حسبت أمية أن سيرضى هاشم * عنها ويذهب زيدها وحسينها
كلا ورب محمد علم الهدى (٦) * حتى تباح كنوزها وحزونها (٧)
ويهد عرش بنائها عن قدره * وتقر من آل الرسول عيونها
وتذل كل خليلة لخليلها * بالمشرفي ويسترد ديونها

قال: فلم يزل عبد الله بن علي كذلك حتى فعل بهم الأفاعيل، فأنشأ شريف بن ميمونة (٨) يقول أبياتا مطلعها:

يا أيها الباكي أمية طلة * أرسل دموع العين طال بكاؤها

إلى آخرها.

قال أبو الحسن المدائني: أخبرني أبو العباس الفلسطيني وكان من غلبة أهل العلم في عصره قال: بعث عبد الله بن علي إلى أمير المؤمنين أبي العباس بمشايخ

---

(١) في الأصل (خطيط).
(٢) بالأصل، يزيد بن عبد الملك بن هشام خطأ.
(٣) هو الوليد بن يزيد.
(٤) هو يزيد بن الوليد.
(٥) الأبيات نسبت في العقد الفريد لسديف.
(٦) العقد الفريد ٤ / ٤٨٤ وإلهه.
(٧) في معجم البلدان ٤ / ٤٨٧.
حتى يباد كفورها وخؤونها.
(٨) كذا ولم نعثر عليه.

أهل الشام، فلما دخلوا إليه قال لهم أبو العباس: يا أهل الشام! ما حملكم على الخروج مع بني أمية على بني هاشم وهم أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم أولى الناس
بهذا الامر من غيرهم؟ قال: فحلف الشاميون بالله الذي لا إله إلا هو أنهم ما علموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم له ذرية ولا أهل بيت غ ير بني أمية حتى وليتم أنتم هذا الامر. قال:
فتبسم [أبو] العباس تعجبا من جهل أهل الشام ولم يؤاخذهم بشيء من أمروهم، قال: فأنشأ إبراهيم بن المهاجر يقول:

أيها الناس اسمعوا أخبركم * عجبا زاد على كل العجب
عجبا من عبد شمس أنهم * فتحوا للناس أبواب الكذب
ورثوا أحمد فيما زعموا * دون عباس بن عبد المطلب
كذبوا والله فيما ادعوا * يحرز الميراث إلا من قرب

ذكر أخبار سديف بن ميمون مولى السجاد علي
ابن الحسين بن أبي طالب رضي الله عنهم
وأشعاره الملاح بين يدي أمير المؤمنين

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: ولما أكثر عبد الله بن علي من قتل بني أمية بالشام، وأكثر داود بن علي من قتلهم بالحجاز، هرب من كان بالشام من بني أمية والحجاز حتى صاروا إلى العراق، حتى اجتمعوا ووفدوا على أبي العباس وفيهم سليمان بن هشام بن عبد الملك وولدان له، فلما دخلوا على أبي العباس وقفوا بين يديه فسلموا عليه، ثم مشوا إليه بالرحم والقرابة، وأعلموه طاعتهم له، وأنهم من أمم كان آباؤهم فعلوه من قبل. قال: فقبل أبو العباس منهم وقربهم وأدناهم، وكانوا يدخلون عليه ويسلمون ويخرجون. قال: فبلغ ذلك سديف بن ميمون وهو يومئذ بالشام عند عبد الله بن علي، فقال لعبد الله بن علي: أنا بريء من أولاد السجاد علي بن الحسين إن لم أهيج عليه أضغانه وأبعث عليهم أحقاده في أبيات من الشعر أدخل عليه بها.

قال: ثم أقبل سديف من الشام حتى وصل إلى العراق ووقف بباب أبي العباس ثم استأذنه، فدخل أبو غسان الحاجب فقال: يا أمير المؤمنين! إن رجلا أناخ راحلته بالباب وقال: استأذن لي على أمير المؤمنين، فقلت: يا هذا! انزع ودع متاع سفرك وأودع راحلتك ثم عد إلي حتى استأذن لك، فقال: والله لا سفرت عيني إلا بين يدي أمير المؤمنين. فقال أبو العباس: فهل سألت عن اسمه؟ فقال: قد سألت عن ذلك، فزعم أنه سديف بن ميمون، فتبسم أمير المؤمنين وقال: ائذن له حتى يدخل: فخرج الحاجب فأذن له، فدخل وإذا به رجل طويل وهو متكئ على محجن في يده، فلما نظر إلى وجه أبي العباس سفر عن وجهه وسلم، فرد عليه أبو العباس السلام، فسأله الدنو فأذن له، فدنا إلى فصل أبي العباس، ثم رجع

القهقهري إلى ورائه حتى قام في آخر البساط، ثم رفع صوته وأنشأ يقول أبياتا مطلعها:

ظهر الحق فاستبان مضيا * إذ رأينا الخليفة المهديا

إلى آخرها.

قال: فلما فرغ سديف من إنشاده قال أبو العباس: خلق الانسان من عجل يا سديف – أو قال: خلق الانسان عجولا، ثم تمثل أبو العباس بقول سابق البربري حيث يقول:

حتى الضغائن أنى لهم سلقوا * فلم يكافوا ولا الأبناء أبناء (١)

قال: ثم أمر له بجائزة سنية.

فلما كان بعد شهر أو أقل من ذلك أقبل إلى أمير المؤمنين سديف فوقف بالباب ثم استأذن، فأذن له فدخل والمجلس غاص بالناس، فأعطى حق التسليم، فقال أبو العباس: يا سديف! قل شيئا، فأنشأ سديف يقول أبياتا مطلعها:

ألا من لقلب مستهام متيم * تكلم لا تبعد عن الناس تكلم

إلى آخرها.

قال: فلما فرغ من إنشاده قال له أبو العباس: أحسنت يا سديف! فهل من مزيد؟ فقال: نعم يا أمير المؤمنين! فقال: قد أذنت لك فهات وهزني ما استطعت! فأنشأ يقول أبياتا مطلعها:

أمير المؤمنين أولى رجاء * بأقوام تبيض وهي داء

وحد السيف للداء الدواء

إلى آخرها.

قال: فدمعت عينا أبي العباس وأمر بسديف بجائزة سنية، وانصرف إلى منزله ومشت إليه العلوية من ولد الحسن والحسين فقالوا: يا سديف! إنه ليس أحد يقول بالتحريض على أمير المؤمنين وقتلهم سواك، فما عليك أن تقول قصيدة وفيها تحريض أمير المؤمنين على قتلهم فيقتلوا كما قتلونا في سالف الدهر، قال فقال سديف: كفيتم، اسكتوا، فأنا بريء من أولاد السجاد إذ لم أحرض على قتلهم ولا أبقي منهم أحدا! قال: ثم أقبل سديف حتى وقف على باب أبي العباس

---

(١) البيت في الأغاني ٤ / ٣٤٩:

أحيا الضغائن آباء لنا سلفوا * فلن تبيد وللآباء أبناء

واستأذن، فأذن له فدخل وسلم، فلما رآه تبسم في وجهه ثم قال أمير المؤمنين يا: سديف! أنشدنا شيئا! فرفع صوته وأنشأ يقول أبياتا مطلعها:

دار سلمى نهيضة الأبيات * لست من أسرتي ولا من كنات

إلى آخرها.

قال: فقال أبو العباس: أحسنت يا سديف، أعد، فأعاد! ثم قال: أعد، فأعاد، فقال أبو العباس: يا صالح! أعط سديفا ألف دينار، ثم قال للحاجب: أغلق الباب وهات الكافر كوبات (١)، قال: فدخل الأعوان وفي أيديهم الخشب المسودة، فقال أبو العباس: انكوا على أعداء الله! فإن هذا يوم قد أذن الله في هلاكهم. قال: فنكوا على بني أمية بالخشب فقتلوهم عن آخرهم - وهم ثمانون رجلا أو يزيدون - فما أبقى أبو العباس منهم على أحد إلا على الثلاثة: سليمان بن هشام بن عبد الملك وابنيه، فإنه أبقى عليهم فلم يقتلهم من وقته. ثم أمر بالأنطاع فألقيت عليهم، وأمر بالموائد فأحضرت ووضعت على الأنطاع، ثم التفت إلى من حضر من ولد العباس وولد أبي طالب رضي الله عنهم فقال: كلوا فقد برد الغليل. قال: وكان القوم يأكلون وإن الموائد لترفع أو تحط من تحرك القوم ونفسهم. قال: ثم أمر بهم فصلبوا في بستان له في داره. قال: وإنه ذات يوم يأكل ومعه جماعة من ولد أبيه وولد علي بن أبي طالب رضي الله عنهم وباب البستان مفتوح إذ فاحت روائح القوم، فقال من كان حاضرا على المائدة: يا أمير المؤمنين! لو أمرت بغلق هذا الباب؟ فقال: إن رائحتهم لأعجب من رائحة المسك! فكلوا واحمدوا الله تعالى على هلاكهم.

قال: فبينا هو ذات يوم كذلك إذ استأذن سديف بن ميمون فأذن له فدخل، فلما مثل بين يديه تبسم أبو العباس في وجهه فقال: إيه أيا سديف! فطفق ينشد ويقول أبياتا مطلعها (٢):

أصبح الملك ثابت الأساس * بالبهاليل (٣) من بني العباس

---

(١) كذ بالأصل والأغاني ٤ / ٣٤٦ وبهامشها: لعله اسم أعجمي لآلات يضرب بها كالعمد وغيرها.

(٢) انظر الأبيات في الأغاني ٤ / ٣٤٥ والكامل للمبرد ٣ / ١٣٦٧ العقد الفريد ٤ / ٤٨٦ ابن الأثير ٣ / ٥٠٢

تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٥٩ عيون الأخبار ١ / ١٠٢ طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٨ - ٣٩.

(٣) بالأصل (بالتهاليل) وما أثبت عن الأغاني وغيرها. والبهاليل جمع بهلول، قال المبرد: والبهلول: الضحاك.

إلى آخرها.
قال أبو العباس: يا صالح! ألم آمرك أن تعطي سديفا ألف دينار؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين! ولي من ذلك عذر، قال: لا عذر لك، الان اعطه ألف دينار وخيار ثيابي، ثم قال: خذها حتى ننظر فيما قلت.
قال: فلما خرج سديف بن ميمون من عند أبي العباس قال سليمان بن هشام: يا أمير المؤمنين! إن مولاك سديفا يستحثك على قتلي وقتل ولدي هذين، وقد رأيت قتلت من أهل بيتي وبني أبي من قتلت، وقد بلغني أنك تريد أن تغتالني! قال: فغضب أبو العباس وقطب من كلامه فقال: أما إلى وقتي هذا فإني قد كنت عزمت أن لا أطالبك ولا أطالب بنيك بشيء مما كنت أطلب به أهل بيتك، وقد وقع في قلبك أني أريد أن أغتالك، فيا جاهل! ما الذي يحول بيني وبينك إن أردت قتلك حتى أريد أن
أغتالك! ثم نهض أبو العباس عن مجلسه فدخل قصره، وقام سليمان بن هشام وابناه فخرجوا. ثم عاد إلى مجلسه ودعا بأبي الجهم بن عطية وقال: علي بشرطة وبعبد الجبار بن عبد الرحمن – وكان على حرسه –، فأمرهما أن يخرجا سليمان بن هشام وابنيه إلى القرى ويأتيا برؤوسهم (١). قال: فلما أخرجوا علم سليمان ما يراد به وبولديه فقال: إنه لابد من إنفاذ ما أمركما به ولكن قدماهما بين يدي حتى احتسبهما ثم اتبعاني بهما، قال: ففعل به وبابنيه ما سأل، وردت رؤوسهم إلى أبي العباس حتى وضعت بين يديه، فأمر بها فنصبت قبالته، ثم قال لمن حضر عنده في مجلسه: أيكم يحفظ شعر الفضل بن عبد الله بن عبد الرحمن بن العباس بن ربيعة الهاشمي؟ فقال بعضهم: أنا أحفظه يا أمير المؤمنين! قال: هاته، فطفق يقول أبياتا مطلعها:
واني لأغضى عن أمور كثيرة * ولولا الذي أرجو من الامر لم أغض
إلى آخرها.
قال أبو العباس: قد فعل الله بهم ذلك، وإذ لو كان صاحب هذا الشعر حيا لقرت عيناه.

---

(١) انظر في كيفية قتله رواية أخرى الإمامة والسياسة ٢ / ١٧٠.

ذكر مسير [أبي] (١) جعفر المنصور إلى يزيد بن
[عمر بن] هبيرة ومحاربته له

قال أبو الحسن علي بن محمد المدائني: لما فرغ أمير المؤمنين أبو العباس من قتل بني أمية دعا بأخيه أبي جعفر فضم إليه جيشا كثيفا من أهل العراق وأمره بحرب يزيد بن [عمر بن] (١) هبيرة. قال: فسار أبو جعفر في جيشه حتى نزل على واسط العراق، وبها يومئذ يزيد بن [عمر بن] هبيرة في خلق كثير من أهل الشام، وقد حصن مدينة واسط غاية التحصين. قال: فأمر أبو جعفر بالمجانيق فنصبت على المدينة وجعل يحارب القوم وقد ضرب عسكره حذاء مدينة واسط، فليس من يوم إلا ويقتل من الفريقين خلق، وأكثر القتل في أهل الشام، حتى إذا قتل منهم من قتل ورأوا أنهم لا طاقة لهم بأبي جعفر وأصحابه أقبلوا على يزيد بن [عمر بن] هبيرة وقالوا: أيها الأمير! إن مروان بن محمد بن مروان قد قتل فنحن على ماذا نقتل أنفسنا وعمن تقاتل وليس لنا بالقوم طاقة! وما الرأي ههنا إلا صلح القوم، قال: فعندها بعث يزيد بن [عمر بن] هبيرة أني لست بخارج إليك دون أن تكتب لي كتابا يكون فيه أمان لي ولمن عندي، فأجابه أبو جعفر إلى ذلك ثم كتب إليه هذا الأمان (٢):

---

(١) سقطت من الأصل.

(٢) نص كتاب الأمان في الإمامة والسياسة ٢ / ١٧٤:
قال في الاخبار الطوال ص ٣٧٣ أن أبا جعفر كتب إلى أخيه أبي العباس يسأله الاذن له بمصالحة ابن هبيرة. فكتب أبو العباس - ردا على كتاب أبي جعفر - لا حكم لابن هبيرة عندي إلا السيف. فكتم أبو جعفر الكتاب عن جميع الناس.

ذكر كتاب الأمان الذي كتبه أبو جعفر - ليزيد بن [عمر بن] هبيرة

بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من عبد الله بن محمد بن [علي بن -] (١) عبد الله بن العباس أبي جعفر أخي أمير المؤمنين أبي العباس، إلى يزيد بن [عمر بن] هبيرة ولمن معه من أهل الشام والعراق وغيرهم ممن نحا إليهم، ومن هم بمدينة واسط من المسلمين والمجاهدين (٢)، ومن معهم من نسائهم وأولادهم ومواليهم وعبيدهم، أني قد آمنتكم على أنفسكم أمان الله الذي لا إله إلا هو الذي يعلم من سرائر العباد ما يعلم من علانيتهم أمانا صادقا لا يصيبه غش ولا يخالطه باطل، وقد أعطيت يزيد بن [عمر بن] هبيرة الفزاري عهدا خالصا مؤكدا، وذمة الله وذمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذمة أنبيائه المرسلين وملائكته المقربين، وهذا الأمان

لك يا يزيد بن [عمر بن] هبيرة ولأصحابك ولمن نحا إليك من قوادك ووزرائك وشيعتك، فأنت وهم آمنون بأمان الله، لا يؤخذون بذنب ولا زلة ولا جريرة ولا بجرم ولا بجناية في سفك دم تعمدا ولا خطأ، ولا بأمر سلف منكم، يا يزيد بن عمر بن هبيرة! وقد أذنت لك بالمقام في مدينة واسط إن شئت، ثم سر عنها إذا شئت أنت ومن معك بدواب وسلاح لا تخاف عدوا سهلا وبرا وبحرا، ولا ينالك أمرا تخافه في ساعة من ليل أو نهار، ولا أدخل في أماني هذا غشا ولا خديعة ولا مكرا، ولا يكون مني إليك ومن ذلك دسيسة مما تخاف من مطعم ومشرب أو لباس، وقد أذنت لك ولأصحابك يا يزيد بالدخول إلى عسكري من أي وقت أحببته إلى وقت رحيلكم من مدينة واسط، فإن نقض عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أبو جعفر أخو أمير المؤمنين أبي العباس فاجعل لك ولأصحابك ولشيعتك من أمنتكم هذه فلا قبل الله منه صرفا ولا عدلا! وعليه من المحرجات الايمان المغلظة، والله شاهد عليه بما أكد على نفسه من هذه الايمان، وكفى بالله وكيلا شاهدا وكفيلا - والسلام -. قال: فلما فرغ من أمانه ختم عليه ووجه به إلى يزيد بن [عمر بن] هبيرة. قال: فصار يركب في كل يوم إلى أبي جعفر فيسلم عليه ويجلس عنده ساعة ويرجع إلى منزله. فلما كان بعد ذلك اليوم بأيام بلغ أبا جعفر أن يزيد بن [عمر بن]

---

(١) زيادة عن الإمامة والسياسة.

(٢) الإمامة والسياسة: والمعاهدين.

هبيرة قد نقض ما كان عليه من الوفاء، وأنه يدعو إلى خلع بني العباس سرا، فبلغ أبا جعفر ذلك، ولم يبلغ ما بلغه حتى اتصل ذلك بأبي العباس أمير المؤمنين، فكتب أبو العباس إلى أخيه أبي جعفر بذلك وقال: إنه قد نقض ما كان عليه من العهد وخالف الامر وقد أبيح دمه فاقتله! قال: فلم يقبل أبو جعفر ذلك أيضا وجعل يسأل ويبحث عن صحة ذلك حتى صح عنده من الثقات العدول، فعندها أمر بقتله (١)، فقتل وقتل معه أربعون (٢) رجلا من شيعته وأهل بيته. قال وأنشد الهلالي (٣) يقول أبياتا مطلعها:

غلب العزاء حرارة الصدر * والصبر عقد عزيمة الامر (٤)

إلى آخرها.

خبر السيد بن محمد الحميري

قال أبو الحسن المدائني: أخبرني أبو العباس الفلسطيني قال: دخل السيد (٥) بن محمد الحميري على أمير المؤمنين أبي العباس السفاح (٦) فوقف بين يديه وأنشأ

يقول بعد أن استأذن في ذلك أبياتا مطلعها:

---

(١) كذا بالأصل، ويفهم من سياق العبارة في الطبري وابن الأثير والإمامة والسياسة أن قتله كان بأمر أبي العباس، دون قبول من أبي جعفر، وفي الإمامة والسياسة: كان من رأي أبي جعفر الوفاء لابن هبيرة وأصحابه.

(٢) في الأصل أربعين.

(٣) هو منقذ بن عبد الرحمن الهلالي. كما في الطبري ٧ / ٤٥٧.

(٤) البيت في الطبري:

منع العزاء حرارة الصدر * والحزن عقد عزيمة الصبر

(٥) هو إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري.

(٦) فيمن لقب بالسفاح عبد الله بن علي أم ابن أخيه أبي العباس الخليفة الأول أقوال.

ناقش الأستاذ نيكلسون في كتابه (The Preaching of Islam :٢٥٣ Note I p).

لفظ السفاح فقال: لقد ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن السفاح معناه الرجل الكثير العطايا أو المناح ومع كل فإنه مما يهمنا ملاحظته أن هذا الاسم قد أطلق على بعض شيوخ القبائل في الجاهلية. ويقال إن سلمة بن خالد الذي قاد بني تغلب في معركة يوم الكلاب الأول سمي السفاح لأنه أفرغ مزاد جيشه قبل الوقعة. وفي اللسان: رجل سفاح للدماء: سفاك. ورجل سفاح: معطاء من ذلك، وهو أيضا الفصيح. والسفاح لقب عبد الله بن محمد أول خليفة من بني العباس.

دونكموها يا بني هاشم * فجددوا من عهدها الدارسا (١)
إلى آخرها.
قال: فلما فرغ من إنشاده أمر له أبو العباس بجائزة سنية حسنة، ثم قال: سل حاجة نعطها لك! قال: نعم يا أمير المؤمنين حاجتي أن ترضى عن سليمان الهاشمي وتكتب له بعهدة على الأهواز! قال: قد رضيت عنه، وكتب له بعهدة. قال: فأخذ السيد العهدة وسار بها إلى سليمان بن حبيب وهو يومئذ بالأهواز، فدخل إليه وناوله العهدة وأنشأ وجعل يقول أبياتا مطلعها:
أتيناك يا خير أهل العراق * بخير كتاب من القائم
إلى آخرها.
قال، فقال له سليمان بن حبيب: شاعر وزائر وشفيع وشريف، سل حاجتك!
فقال: نعم يا أمير المؤمنين! حاجتي جارية وخلعة وبغلة وفرس وغلام وبدرة! فقال: قد أمرنا لك بذلك، وهي لك علينا في كل سنة.

خبر عبد الله بن سعيد السعدي

قال أبو الحسن المدائني: لما فرغ أمير المؤمنين أبو العباس من قتل بني أمية وأمر يزيد [بن عمر] بن هبيرة دخل عليه عبد الله بن سعيد السعدي فمثل بين يديه قائما وقضى حق التسليم ثم استأذن في الكلام فأذن له، فقال: الحمد لله الذي قصم بك أنياب الكفر، وأذل بك أهل الخسر، وفقأ بك عيون الفتن، وبرد بك من الامن، وشفا بك غليل المؤمنين، وأرعب بك قلوب المخلين، فأباح لك خمارهم، وقتل بك آباءهم وأبناءهم، تكميلا لعقوبتهم، وتبديلا لتغير نيتهم، فأصبحوا أحاديث ومثلا لمن بغى وخلى، يستبشر بقتلهم البلاء. وأهل الأرض وأهل السماء، فكان قتلهم شفاء الأوجاع، وكيل الصاع بالصاع، الرحب الذراع الواسع

= والذين أيدوا أن الخليفة أبي العباس هو من لقب به استندوا إلى أول خطبة له والذي يقول فيها: أنا السفاح المبيح والثائر المبير.
أما الذين اعتمدوا لقب السفاح إلى عبد الله بن علي فاستندوا إلى:
- غلظته وانتقامه من بني أمية، وسيظهر من سيرته الجور.
- أن المؤرخين المتقدمين أمثال الطبري وخليفة واليعقوبي والدينوري لم يأتوا على تلقيبه بالسفاح، إنما جاء اللقب من المؤرخين المتأخرين.
(١) عن الأغاني ٧ / ٢٤٠ وبالأصل: (فخذوا أمرا بها الطامسا).

الباع، إذا علمت قلبا منصورا، ورأيا مبرورا، وسيفا مشهورا، شفيت به صدورا، وأجليت الغم، ووقعت الهم، وكشفت الظلم، وقضيت العدم، عن الوجوه إلى أصحاب الهاشميات المؤثرات، القطاعات المظلومات، على فوت من القتل، وانقراض الأهل، ودروس السبل، ووقوع المحل بصوت بعيد الهمة، قديم النعمة، سريع النقمة، كريم الضربة، ميمون النصبة، شبعي الكتبة، قال: ثم طفق يقول:

كم طالب من قبلها وطالب * وراغب من قبلها وراغب
جم المعالي دمت الضرائب * قد صح للأعداء بالكتائب

قال: فتبسم أبو العباس من حسن كلامه، ثم قال: إن من كلام ما يشبه الدر وهذا منه، ثم أمر له ببدرة وغلام يحملها إلى منزله والغلام له.

ذكر مسير أبي جعفر المنصور إلى بلاد خراسان إلى أبي مسلم

قال أبو الحسن المدائني: ولما فرغ أبو العباس من أمر العراق والشام ومصر وما والاها دعا بأخيه أبي جعفر فأمره بالخروج إلى بلاد خراسان ليؤكد البيعة على أهلها

ويلقى أبا مسلم فيسمع كلامه. قال: فخرج أبو جعفر من العراق (١) في ثلاثمائة رجل من مواليه وخدمه وحشمه، حتى صار إلى الري، وبلغ ذلك أبا مسلم فأرسل إلى جميع عماله بالبلاد فأمرهم أن يستقبلوا أبا جعفر وأمرهم أن يكرموه غاية الاكرام ففعلوا ذلك، فكان أبو جعفر يسير من مدينة إلى مدينة حتى إذا تقارب من مدينة مرو وخرج أبو مسلم فتلقاه على فرسخين منها، فلما نظر إليه نزل وبادر وقبل يده وفخذه وسار بين يديه، فأمره أبو جعفر بالركوب فركب ودخل مدينة مرو، فنزل دار أبي مسلم، فأقام بها أياما لا يسأله أبو جعفر عن شيء غير أنه يرى أن أهل خراسان بأجمعهم سامعون مطيعون، فسر أبو جعفر بذلك سرورا شديدا وأخذ البيعة على أبي مسلم وأصحابه وهم بالانصراف إلى العراق. قال: فجمع أبو مسلم أموالا كثيرة من أموال خراسان فدفعها إلى أبي جعفر ليحملها إلى أمير المؤمنين، ووقع له أنها هدايا من جوار وغلمان ودواب وثياب فاخرة، فقال أبو جعفر لأبي مسلم: إنك اليوم منا بالمكان الذي علمت وإنا نشكو إليك أبا سلمة حفص بن سليمان فإنه قد شمخ بأنفه

---

(١) كان ذلك في سنة ١٣٢ ه.

على أمير المؤمنين حتى أنه ما يعد الخلافة بشيء وأنه يعترض علينا اعتراضا يجل عن الوصف، ولا والله ما يمنع أمير المؤمنين من الإساءة والوقوف عليه إلا عصبتك لأنك أنت الذي جعلته مشيرا ووزيرا. قال: فتغير وجه أبي مسلم ثم قال: قد فعلها أبو سلمة. أما إني أذنت لأمير المؤمنين ولك فيه فاصنعا ما أحببتما، فإنما أنا عبيد من عبيد أمير المؤمنين، وأهل خراسان سامعون عبيد السمع والطاعة، وأنا أسرع قدومي إلى أمير المؤمنين إن شاء الله ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

قال: وجهز أبا جعفر بأحسن الجهاز وصرفه إلى العراق. فلما دخل أبو جعفر على أبي العباس خبره بجميع ما رأى من طاعة أهل خراسان وأن أبا مسلم قد أذن لك في قتل أبي سلمة. قال: فلم يبت أبو سلمة إلا مقتولا من ليلته (١)، وفي ذلك قال سليمان بن المهاجر البجلي (٢) شعرا:

إن الوزير وزير آل محمد * أودى فمن يشناك كان وزيرا (٣)

قال: ثم أقبل أبو العباس على أبي جعفر فقال له: كيف رأيت أبا مسلم؟

فقال: والله يا أمير المؤمنين رأيته جبارا من الجبابرة! ولا الخلافة تصفو لك ما دام في الحياة، فاكتم على ما خبرتك به - والسلام -.

ثم رجعنا إلى أخبار أرمينية وأذربيجان

قال: ثم دعا أبو العباس برجل من أصحابه يقال له محمد بن صول، فضم إليه جيشا وولاه أرمينية وأذربيجان، فسار إليها محمد بن صول في جيشه ذلك حتى دخل أذربيجان، والتأم إليه الناس فصار في مائة ألف عنان، قال: وفي البلاد ذلك

---

(١) في مروج الذهب ٣ / ٣٢٨ أن أبا مسلم كتب إلى أبي العباس يشير عليه بقتله... لأنه قد نكث وغير وبدل (وانظر الاخبار الطوال) ولما رفض السفاح خاف أبو مسلم من ناحية أبي سلمة فأعمل الحيلة في قتله. أما ابن كثير فقال: إن ذلك تم بأمر من أبي العباس، ولما بلغه قتل أبي سلمة قال:

إلى النار فليذهب ومن كان مثله * على أي شيء فاتنا منه نأسف

وثمة إجماع أن أبا مسلم أرسل أحد أصحابه مرار بن أنس الضبي فقتله (انظر الطبري وابن الأثير وتاريخ اليعقوبي).

(٢) عن الطبري، وبالأصل (البلخي).

(٣) قبله في مروج الذهب:

إن المساءة قد تسر وربما * كان السرور بما كرهت جديرا

اليوم مسافر بن كثير القصاب (١) قد استولى على بلاد أذربيجان خاصة. فلما سمع بقدوم محمد بن صول إلى البلاد مضى إلى قلعة يقال لها قلعة الكلاب (٢) من بلاد الروم فتحصن بها، وسار محمد بن صول حتى نزل عليه، فلم يزل يحاربه حتى قتله وقتل جماعة من أصحابه وهرب الباقون إلى جبال سجستان. قال: وبعث محمد بن صول برأس مسافر بن كثير ورؤوس أصحابه إلى أمير المؤمنين أبي العباس، وأقبل إلى مدينة يقال لها البيلقان فنزل بها أياما، ثم رحل إلى مدينة برذعة فأقام بها مدة في ولايته. ثم بعث أبو العباس إلى محمد بن صول فعزله وولى أخاه أبا جعفر أرمينية وأذربيجان وبلاد الجزيرة، فأقبل أبو جعفر حتى دخل بلاد أرمينية وكان يشتي بموضع يقال له كيران (٣) ويصيف بمرج يقال له الضاربة من أرض جرزان.

قال: وقدم أبو مسلم من خراسان على أبي العباس في جيش عظيم، (٤) وبلغ أبا جعفر (٥) قدوم أبي مسلم (٦) من خراسان فكأن لم يحب أن يكون أبو جعفر بأرمينية

وأبو مسلم بالعراق، واتقى أن يكون منه غائلة أو شيء من بغض الخلافة، فدعا بالحسن بن قحطبة فاستخلفه على عمله وانصرف إلى العراق، فكان الحسن بن قحطبة خليفة أبي جعفر في البلاد إلى أن توفي أبو العباس.

قال عبد بن سالم مولى بني مخزوم: سمعت مشيخة بني سالم يقولون: كانت خلافة أبي العباس أربع سنين وسبعة أشهر، وتوفي بالأنبار (٧) ليلة الاحد ثلاث عشرة ليلة خلت من ذي القعدة سنة سبع وثلاثين ومائة، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة (٨)، وصار الامر إلى أخيه أبي جعفر وهو الملقب بالمنصور.

---

(١) بالأصل: الساري، وقد مر، وانظر فتوح البلدان ص ٢١١.

(٢) في فتوح البلدان ص ٢١١ قلعة الكلاب بالسيسجان.

(٣) كيران: مدينة بأذربيجان بين تبريز وبيلقان.

(٤) وكان ذلك في سنة ١٣٦ ه. وكان قدومه إلى السفاح لاستئذانه في الحج.

(٥) بالأصل (أبي جعفر).

(٦) بالأصل (أبو مسلم).

(٧) الأنبار: مدينة كانت تقع على الفرات غ ربي بغداد بينهما عشرة فراسخ وكانت الفرس تسميها فيروز سابور.

(٨) في يوم وفاته ومدة خلافته ومقدار عمره انظر مختلف مصادر ترجمته: الطبري ٩ / ١٥٤ ابن الأثير ٣ / ٥٢٠ مروج الذهب ٣ / ٣٠٤ التنبيه والاشراف ص ٣٣٩ تاريخ خليفة ص ٤١٢ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٦٢ المعارف ص ٣٧٣ البداية والنهاية ١٠ / ٥٨.

[خلافة أبي جعفر المنصور]
الحسن بن الحباب المقرئ البغدادي قال: حدثني داود بن رشيد قال حدثني طعمون (١) الخادم: قال: حدثني سلامة بن المنصور قالت أمه: رأيت وأنا حاملة به كأن قد خرج من فرجي أسد فأبقى على الأرض وضرب بيديه وزأر، فأقبلت السباع إليه من كل ناحية، فكلما أتاه سبع يسجد له، حتى سجدت له سائر السباع عن آخرها.
قال أحمد بن يحيى: حدثني زيد مولى المنصور قال: لما أفضت الخلافة إلى المنصور أقبل إليه سديف بن ميمون فدخل عليه فاستأذن لأذن له بالنشد، فقال أبياتا مطلعها:
هذا القائم العدل الذي كنا نرجيه * لذي الاسلام والدين وأوتاد مراثيه
إلى آخرها.
قال: فأمر له المنصور بجائزة سنية وكساه أثوابا من وشي آل مروان.
فلما ولى من بين يديه ناداه: يا بن السوداء! قال: فرجع إليه سديف وهو خائف مرعوب، فوقف بين يديه فقال: كأني بك يا سديف وقد قدمت المدينة تقبل رجل عبد الله بن الحسن (٢) وتقول: يا بن رسول الله! تأخذ منهم ما يقوم بأودنا، والله لئن بلغني عنك ذلك لأقتلنك أشر قتلة! فقال سديف: العبد عبدك يا أمير المؤمنين! وهل يخون عبد سيده! قال: ثم انصرف سديف إلى المدينة ففعل بعبد الله بن الحسن (٢) وبابنيه ما كان المنصور قد قاله، فحقد عليه ولم يبد ذلك لاحد. قال: فقدم سديف إلى العراق بعد ذلك وبلغ ذلك المنصور، فأمر بحبسه، فلما ضاق به الحبس كتب إلى المنصور بهذه الأبيات:
بني العباس فيم سجنتموني * وكنت على مودتكم حريصا
أتصبح من أمانكم الأعادي * وأصبح من مودتكم خميصا

---

(١) كذا بالأصل، ولم نعثر به.
(٢) في المطبوعة: (الحسين) تحريف.

وكسر من طاعن خنق عليكم * تركت أخمص أخمصه رهيصا (١)
فقال المنصور: والله لا تركته ظالعا رهيصا. قال: ثم أمر به فأدخل في جوالق وضرب بالكافركوبات (٢) حتى مات - رحمه الله -.
قال: وقال يحيى بن عبد الله الهاشمي: لما بايع (٣) الناس المنصور أقبل أبو مسلم إلى عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فقال له أبو مسلم (٤): لم قعدت عن هذا الامر بعد أبي العباس وأنت للخلافة أهل ومحل؟ فقال له عيسى بن موسى: ويحك يا أبا مسلم! إنما نحن بنو عم فأينا صار إليه الامر فهو محل. فقال أبو مسلم: صدقت وأنت أخير إلينا من أبي جعفر، فإن شئت خلعناه وعقدنا لك البيعة! قال: فغضب عيسى بن موسى ثم قال: سبحان الله! أبا مسلم! ويجوز هذا أن أتقدم على عمي وهو شيخ كبير وصنو أبي! والله لو قدمني عليه أمير المؤمنين الماضي لكرهت ذلك فكيف طاعة عمي فأكون مخالفا للحق قاطعا للرحم متعرضا لشقاء الدنيا. قال: وبلغ أبا جعفر ما كان من كلام أبي مسلم لعيسى بن موسى فحقد عليه، فكان هذا أول حقد حقده المنصور على أبي مسلم ولم يبد له شيئا من ذلك.

ذكر خروج عبد الله بن علي بن عبد الله بن
عباس على أبي جعفر المنصور بالشام

قال: وبلغ ذلك عبد الله بن علي (٥) ما كان من بيعة الناس لأبي جعفر المنصور وهو يومئذ بالشام، فدعا بأخ له من الرضاع يقال له زيد فقال: ويحك يا زيد! إن الخليفة أبا العباس قد مضى لسبيله وقد بايع الناس أبا جعفر فما الرأي عندك؟ فقال:

---

(١) كذا ورد البيت بالأصل.
(٢) كافركوبات: اسم آلة، أعجمي، يضرب بها كالعمد وغيرها وقد مرت الإشارة إلى ذلك قريبا (عن هامش الأغاني).
(٣) عن المطبوعة، وبالأصل (بلغ).
(٤) بالأصل (أبو موسى) خطأ.
(٥) وكان عيسى بن موسى قد بعث أبا غسان - يزيد بن زياد - حاجب أبي العباس إلى عبد الله بن علي ببيعة
أبي جعفر، فقدم أبو غسان على عبد الله بأفواه الدروب (بدلوك) متوجها يريد الروم (الطبري - ابن الأثير).

إنك لاحق الناس بهذا الامر، لأنك عم والعم والد، قال: فأرسل عبد الله إلى وجوه قواده وحشمه وخاصة أهل دولته وأهل بيته فدعاهم وقال لهم: إنكم علمتم أن [أبا] العباس أمير المؤمنين وجهني إلى مروان بن محمد فقتلته وانتزعته من هذا الامر ومن جميع بني أمية، وقد كان أمير المؤمنين أبو العباس جعل لي هذا الامر من بعده لأني عمه ووارثه وأنا مستحق لهذا الامر دون غيري (١)، غير أني أحببت أن آخذ رأيكم، فهاتوا ما عندكم من الرأي، قال: فقام إليه من كان عنده فبايعوه وسلموا عليه بالخلافة، وبادر الناس إلى بيعته حتى بايعه خلق كثير من أهل الشام، ودعي له على منابرها بالخلافة. ثم إنه سار من الشام نحو أرض الجزيرة حتى صار إلى الرقة فنزلها، ثم دعا بأخيه عبد الصمد بن علي فجعله ولي عهده وولاه بلاد الجزيرة.

قال: وبلغ المنصور أمر عبد الله بن علي فدعا بأبي مسلم وأمره بالخروج إليه. فقال أبو مسلم: يا أمير المؤمنين! إن لي حاجة فإن رأى أمير المؤمنين أكلمه فيها، فقال المنصور: قل ما بدا لك! فقال: يدفع إلى أمير المؤمنين عبد الجبار بن عبد الرحمن وصالح بن الهيثم (٢) وخالد بن برمك حتى أقتلهم، ففي قتلهم صلاح أمير المؤمنين، قال: فغضب المنصور من ذلك وقال: أدفع إليك شرطتي وشرطة أخي وصاحب خراجي وخراج أخي فتقتلهم! فإذا فعلت ذلك فما يكون عذري غدا وماذا يقول في الناس! وأطرق المنصور إلى الأرض، وندم أبو مسلم على ما تكلم به وقد علم أن المنصور قد غضب، فجعل يترضاه ويقول: إنما كانت مني هفوة يا أمير المؤمنين فاغفرها لي، ولم يزل كذلك إلى أن أظهر أمير المؤمنين المنصور أنه قد رضي عنه.

ذكر خروج أبي مسلم إلى عبد الله بن علي ومحاربته له

قال: وظهر أبو مسلم من العراق في أربعين ألف يريد حرب عبد الله بن علي حتى صار إلى الجزيرة من ديار ربيعة، وانهزم عبد الصمد من بين يدي أبي مسلم إلى الرقة، وبها عبد الله بن علي فخبره بذلك. قال: وجمع عبد الله بن علي الناس

---

(١) شهد له على صحة كلامه أبو غانم الطائي وخفاف المروروزي وغيرهما من القواد، فبايعوه.
(٢) عن الطبري، وبالأصل (الهيثمة).

ووضع لهم الارزاق وأعطاهم، وقد جمع خمسين ألفا من أهل الشام والجزيرة، ثم سار حتى وصل إلى مدينة حران وترك أمواله وخزائنه بالرقة. وبلغ ذلك أبا مسلم فسار إليه في عسكره وجنوده، حتى التقى القوم فاقتتلوا قتالا شديدا، وانتصف بعضهم من بعض. ثم إن عبد الله بن علي أمر فخندق على نفسه خندقا، وخندق أبو مسلم أيضا على نفسه خندقا، ودام الحرب بينهما أربعة أشهر لا يفترون من ذلك.

قال: وعلم عبد الله بن علي أنه لا طاقة له بأبي مسلم فهم بالهرب، وجعل أهل الشام يستأمنون إلى أبي مسلم حتى استأمن منهم خلق كثير. فلما رأى عبد الله بن علي ذلك خرج ليلة من الليالي من عسكره بأنه يريد أن يكبس عسكر أبي مسلم، ثم مضى في جوف الليل فجعل يسير سيرا ماضيا إلى الرقة (١). قال: وأصبح عبد الله بن علي وقد فقدوه فعلموا أنه قد هرب، فأرسلوا إلى أبي مسلم يسألون الأمان فآمنهم، وكتب إلى المنصور يخبره بهروب عبد الله بن علي وأخيه عبد الصمد. قال: وصار كتاب أبي مسلم إلى المنصور وهو نازل بدير يقال له دير الجاثليق، فلما فتح الكتاب وقرأه سمى ذلك الدير دير الفتوح، ثم كتب إلى أبي مسلم وأمره بطلب عبد الله بن علي حيث كان. قال: وأرسل أبو مسلم يريد عبد الله بن علي، وعلم عبد الله بن علي بذلك فترك أمواله وخزائنه بالرقة ثم عبر الفرات هو وأخوه عبد الصمد بن علي، فأما عبد الصمد بن علي فصار إلى الرصافة (٢) فنزلها، وأما عبد الله بن علي فإنه صار إلى الشام ومن الشام إلى مكة ومن مكة إلى البصرة ومن البصرة إلى أخيه سليمان بن علي (٣)، فأنشد أبو ميسرة في ذلك شعرا.

قال: فسار أبو مسلم حتى دخل الرقة واحتوى على جميع أموال عبد الله بن علي وخزائنه. وما كان أخذ من أموال بني أمية فاحتوى على ذلك كله. ثم صار إلى الرصافة فنزل عليها فحاصر عبد الصمد حتى أخذه وقيده ووجه به إلى المنصور. ثم صار إلى حران فنزلها ووضع العطاء لأصحابه وأعطاهم الارزاق سنة.

قال: وكتب سليمان بن علي إلى المنصور يسأله أن يعطي عبد الله الأمان

---

(١) انظر تفاصيل أوردها الطبري ٧ / ٤٧٤ - ٤٧٥ وابن الأثير ٣ / ٥٢٥.

(٢) كذا، وفي الطبري ٧ / ٤٧٨ أن عبد الصمد قدم الكوفة فاستأمن له عيسى بن موسى فأمنه أبو جعفر وانظر ابن الأثير ٣ / ٥٢٦.

(٣) كذا بالأصل والطبري وابن الأثير، وفي الإمامة والسياسة ٢ / ١٧١ أن أبا مسلم أخذ عبد الله بن علي أسيرا.

فأجابه إلى ذلك، فقال عيسى بن علي لكاتبه عبد الله بن المقفع: أحب أن تكتب لأخي عبد الله أمانا مؤكدا حتى أوجه به إلى المنصور، قال: فكتب عبد الله كتابا لعبد الله بن علي لا يكون لاحد مثله واستقصى فيه غاية الاستقصاء، فلما ورد الكتاب بالأمان على أمير المؤمنين المنصور ونظر فيه شق ذلك عليه، لأنه كان مغتاظا على عبد الله بن علي وأراد قتله، فقال: من كتب هذا الأمان؟ فقيل له: كتبه عبد الله بن المقفع (١) كاتب عيسى بن علي، فقال أما لنا من يكفينا ابن المقفع ويريحنا منه؟ قال: وبلغ هذه الكلمة سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب بن أبي صفرة وهو يومئذ بالبصرة من قبل المنصور، فعزم على قتل ابن المقفع (٢).

ذكر مقتل عبد الله بن المقفع

قال المدائني: كان السبب في مقتل عبد الله بن المقفع أن سفيان بن معاوية المهلبي كان ربما حضر إلى الديوان بالبصرة فتقع المسألة بعد المسألة فيلقيها ابن المقفع على سفيان بن معاوية فإذا لم يفهمها يقول له ابن المقفع: وقعت والله يا مهلبي! قال: فغضب المهلبي ذات يوم فشتم ابن المقفع فقال له: كم توبخني؟ فقال له ابن المقفع: يا بن المغتلمة! أداعبك فتشتمني! والله ما رضيت أمك برجال العراق حتى تزوجت برجال الشام! قال: فسكت عنه المهلبي وحقد عليه، فلما قال المنصور: أما لنا من يكفينا أمر ابن المقفع! عزم المهلبي على قتله. ودعا عيسى بن علي بابن المقفع فأرسله إلى سفيان بن معاوية في حاجة له، فقال ابن المقفع: إني أخاف على نفسي لكلام جرى بيني وبينه، فقال عيسى بن علي: إني أخاف على نفسك وأنا حي! فقام عبد الله بن المقفع وصار إلى سفيان، قال: والله يا بن المقفع أنا ابن المغتلمة كما قلت إن لم أقتلك قتلة ما سبقني إليها أحد. ثم قام ودخل المطبخ وقال: علي به! فأتي بابن المقفع، فقال المهلبي لغلمانه:

---

(١) هو ابن دارويه، وكان الحجاج قد استعمله على الخراج فخان فعاقبه حتى تقفعت يداه. فسمي بالمقفع. قال ابن خلكان: ومنهم من يقول أن ابن المقفع نسب إلى بيع القفاع وهي من الجريد كالزبيل بلا آذان.

أسلم عبد الله بن المقفع على يد عيسى بن علي، وكتب له.

(٢) في البداية والنهاية ١٠ / ١٠٢ أن المنصور كتب إلى سفيان بن معاوية نائبه على البصرة، يأمره بقتل ابن المقفع.

اسجروا التنور! فأسجر حتى حمي، ثم أمر بقطع يده اليمنى فألقيت في التنور، ثم أمر باليسرى فألقيت في التنور، ففعل ذلك بيديه ورجليه، ثم احتمل بعد ذلك فألقي في التنور واحترق (١). قال: واحتبس خبر ابن المقفع على عيسى بن علي فأرسل في طلبه، فقيل: كان ههنا وانصرف. قال: وعلم عيسى بما فعل بابن المقفع، فكتب في ذلك إلى المنصور، فأرسل المنصور يأمر بإشخاص المهلبي فأشخص، ثم سأل عن ذلك فأنكر ولم يكن هنالك بينة (٢)، فذهب دم ابن المقفع هدرا. فأنشأ بحير بن زياد يقول في ذلك شعرا. وقال أيضا فيه مطيع بن زياد:

لا تأمن الاخوان رب فجيعة * كما فجمع الاخوان بابن المقفع
أتته المنايا فاختلسن حياته * فودعه الاخوان غير مودع

ذكر أبي مسلم ومخالفته على المنصور
وما كان من أمره

قال: وبلغ المنصور أن أبا مسلم قد احتوى على أموال كثيرة لعبد الله بن علي فوجه إليه يطلبها منه مع رجل يقال له يقطين بن موسى (٣) وأخذ ما صار إليه من تلك الأموال. فلما قدم عليه يقطين أنزله أبو مسلم وأكرمه ثم قال: ما الذي أقدمك أبا علي وكيف خلفت أمير المؤمنين؟ فقال: خلفته سالما بحمد الله غير أنه قد أرسلني إليك لقبض ما صار إليك من الأموال التي لعبد الله بن علي وخزائنه وهذا كتابه إليك، فلما قرأه غضب ورمى به من بين يديه ثم قال: ومن ابن سلامة حتى يكتب إلي فتفحص عما صار إلي من أموال عبد الله بن علي وقد قتلت رجالي وهذا كتاب أمير المؤمنين. قال: فقال يقطين بن موسى: أيها الأمير! إن أمير المؤمنين رأيه فيك أحسن من رأيك فيه، فقال: لا ولا كرامة! وسيعلم ابن سلامة عن قريب كيف يكون الامر بيني وبينه، قم وانصرف إليه وخبره بما سمعت.

وانصرف يقطين بن موسى إلى المنصور فخبره بذلك. قال: فتغير وجه

---

(١) وكان ذلك في سنة ١٤٥ ه. انظر البداية والنهاية ١٠ / ١٠٢.
(٢) انظر الحاشية السابقة.
(٣) في تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٦٦ أرسل جماعة منهم: إسحاق بن مسلم العقيلي، ويقطين بن موسى، ومحمد بن عمرو النصيبي التغلبي. وانظر الإمامة والسياسة ٢ / ١٣٠ ومروج الذهب ٣ / ٣٥٥ وابن الأثير ٣ / ٥٢٦.

المنصور وسكت ساعة، ودعا بكاتبه فقال: اكتب إلى أبي مسلم كتابا لطيف، وخبره في الكتاب أني قد تجاوزت عنه وتركت له جميع الأموال وأنا مضعفها له. وقد وليته الشام وأرض خراسان ليستخلف على الشام من يريد وليقدم على بركة الله وعونه - والسلام - (١). قال: فلما ورد الكتاب على أبي مسلم تبسم ضاحكا ثم قال: وابن سلامة يوليني الشام وخراسان أو ليس الشام وخراسان لي وفي يدي! أم أبرموا أمرا فإنا مبرمون، أيخدعني ابن سلامة وقد أضاء الصبح لذي عشاء. قال: ثم رمى بكتاب المنصور من يده وتمثل بهذا البيت وهو يقول:

الق الصحيفة لا تبال وإن يكن * مكرا كمثل صحيفة المتلمس

قال: وكان الحسن بن قحطبة يومئذ مع أبي مسلم بالشام وقد ك ان يكتب بالاخبار سرا إلى المنصور، فكتب إليه يخبره بكلام أبي مسلم وكتب إليه في آخر الكتاب: إني أخبرك يا أمير المؤمنين أن الشيطان الذي كان ينفخ في رأس عبد الله بن علي قد انتقل إلى رأس أبي مسلم - والسلام -. قال: فضاق الامر على المنصور ولم يدر ما يصنع.

ونادى أبو مسلم لأصحابه بالرحيل راجعا إلى خراسان، ثم صار حتى تقارب من مدينة يقال لها كفرتوثا نظر إلى نهر هنالك يقال له سريا (٢) فالتفت إلى هشام ابن عمه وكان من أجلاء أصحابه فقال: ما اسم هذا النهر؟ فقال: أصلح الله الأمير! اسمه سريا، فقال أبو مسلم: فأين علم الشيطان الذي يقول الشاعر:

ولا تهبط السريا بمال تحبه * ولا أعلم الشيطان إن كنت تفعل

قال: فقال هشام بن عمر: أيها الأمير! هو هذا التل عن يسار الطريق. قال: ودخل أبو مسلم مدينة كفرتوثا فأقام بها ثلاثة أيام ورحل عنها، وتخلف عنه الحسن بن قحطبة لعلة كانت به قد اعترته في بدنه. قال: وسار أبو مسلم إلى نصيبين وأقام بها أياما حتى استراح أصحابه ثم رحل عنها، فلما خرج من باب الشرقي وعبر [فإذا]

---

(١) في الطبري ٧ / ٤٨٢ وابن الأثير ٣ / ٥٢٧: (كتب أبو جعفر إلى أبي مسلم: إني قد وليتك مصر والشام
فهي خير لك من خراسان، فوجه إلى مصر من أحببت، وأقم بالشام فتكون بقرب أمير المؤمنين، فإن أحب لقاءك أتيته من قريب).

(٢) كذا، ولم نعثر به.

رجل يقال له الهرماس جعل يقول:
إني لاذكر منيتي وتحيتي * خلفي فأرفعها بحب زميلا
إني لأكره أن أعيش مظلما * طول الحياة وأن أموت ذليلا
ثم أقبل على هشام بن عمر فقال له: اكتب بهذين البيتين إلى ابن سلامة حتى يعلم أني أبو مسلم.
قال: ثم سار حتى دخل الموصل، فلما نزلها أقبل إليه جماعة من أصحابه ممن يهوى دولة المنصور فقالوا: أيها الأمير! إنا نريد الحج فأذن لنا في ذلك، فتبسم أبو مسلم وقال: ليس هذا وقت أوان حج، فمن أراد أو أحب منكم الانصراف فلينصرف مصاحبا! قال: فتفرق عن أبي مسلم جماعة من أصحابه فصاروا إلى المنصور. وخرج أبو مسلم من الموصل يريد بلاد خراسان ومعه دليل يدله على الطريق حتى أخرجه من شهرزور إلى حلوان، فلما نزلها إذا كتاب المنصور قد ورد عليه من هنالك يأمره بالانصراف إلى ما قبله ويحلف له بالمحرجات من الايمان أنه لا يبدأه بمكروه وأنه يكون له أكثر مما كان ويجعله وزيره وصاحب أمره. قال: فلما قرأ أبو مسلم كتاب المنصور التفت إلى كاتب له يقال له شبيب، فقال: يا شبيب! لئن رجعنا إلى العراق بعد أن شارفنا جبال خراسان فإنا كما قال الأول: (أتتك بحائن رجلاه) (١). قال: ثم رجل أبو مسلم من حلوان يقطع البلاد ويطوي المراحل طيا ولا يعرج على شيء حتى صار إلى الري فلم يقم بها إلا يوما واحدا، ثم رحل عنها مجدا حتى صار إلى مرو ثم كتب إلى المنصور.
ذكر كتاب أبي مسلم إلى المنصور
بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله عبد الله أمير المؤمنين، من عبد الرحمن أبي مسلم (٢)، أما بعد يا أمير المؤمنين! فإني كنت اتخذت أخاك إماما ودليلا على ما فرض الله على خلقه، فكان ظني أنني أنزلت منه بمحله العلم لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستجهلني بالقرآن فحرفه عن مواضعه طمعا في قليل من حطام دار قد

---
(١) مثل. انظر المستقصى للزمخشري ١ / ٣٧.
(٢) انظر الطبري ٧ / ٤٨٣ وابن الأثير ٣ / ٥٢٨.

نعاه (١) الله إلى خلقه وزهد عباده فيها، ثم إنه مثل لي الضلالة في صورة الهدى، وأمرني أن أجرد السيف وأرفع الرحمة ولا أقيل العثرة ولا أقبل المعذرة والبلاء في ذلك كله واقع بنفسي لا يزجرني عن ذلك بتوفيق ولا رشاد، حتى سقم عندي البريء وبرئ السقيم، فوترت أهل الدين والدنيا في طاعتكم وتوكيد (٢) سلطانكم حتى عرفكم من كان جهلكم (٣)، وخافكم من كان يهون عليه أمركم وأوطأت غيركم ممن
كان فوقكم من آل الرسول بالذل والهوان والاثم والعدوان، ثم إن الله تعالى قد أدركني منه بالندم واستنقذني بالتوبة فإنه يعف ويصفح فإنه كان للأوابين غفورا.

جوابه (٤)

قال: فكتب إليه المنصور: أما بعد أبا المجرم العاصي! فإن أخي رحمه الله تعالى كان إمام الهدى يدعو إلى الله على بصيرة ويقين من أمره، فأوضح السبيل وقد تفرقت بالناس السبل، وأقامك فيها على منهاج الحق الذي عليه آثار النبوة وما في الكتاب، فلو بأخي الرضى اقتديت وبرأيه اهتديت وإلى أمره انتهيت لما كنت عن الحق جائرا، لكنك لم تكن لنا في طاعة قط يوما واحدا، وما زلت منذ انتحلت مودتنا وولايتنا يهوي بك الريح من مكان سحيق، لا يسنح لك أمران إلا كنت لأرشدهما تاركا، ولأغواهما مؤاتيا، تقتل على الغضب وتبطش بطش الجبارين، فأوقع الله بك الثلاث الموجبات من الله تبارك وتعالى إنه عز وجل قال: (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) (٥) و (فأولئك هم الفاسقون) (٦)، و (فأولئك هم الظالمون) (٧)، فجمعهن الله فيك، فرويدا أبا مجرم حتى يبلغ الكتاب أجله، وأمير المؤمنين يقسم بالله رب العالمين وملائكته المقربين وأنبيائه المرسلين

---

(١) الطبري: (تعافاه) وفي ابن الأثير: (تعاه).
(٢) ففعلت توطيدا لسلطانكم، في الطبري، وفي ابن الأثير: توطئة.
(٣) ابن الأخير: يحملكم.
(٤) في الطبري وابن الأثير أن أبا جعفر أمر بأن يكتب إلى أبي مسلم كتابا يعظمونه فيه ويشكرون له ما كان منه، ويسألونه أن يتم على ما كان منه وعليه من الطاعة، ويحذرونه عاقبة الغدر ويأمرونه بالرجوع إلى أمير المؤمنين وأن يلتمس رضاه.
(٥) سورة المائدة، الآية ٤٤.
(٦) سورة المائدة، الآية ٤٧.
(٧) سورة المائدة، الآية ٤٥.

وعباده الصالحين وأخيه العباس أنهما قد برئا إلى الله منك فيما اقترفت من القتل والامر العظيم، وستعلم عن قريب أبا مجرم إذا أحاطت بك العساكر وأخذتك الصفائح أي رجل تكون! وأقسم بالله العلي العظيم الذي لا إله غيره إن عبرت البحر لطلبتك ولو بلغت إلى مطلع الشمس ومغربها، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل.

قال: فلما فرغ وورد الكتاب على أبي مسلم وقرأه ضاق به ذرعا، ثم إنه ذل وخضع وخشي أن تأتيه الجيوش من العراق ولا يقوم لها، فكتب إلى المنصور يستعطفه ويسأله أن يعطيه الأمان، ثم بعث بكتابه مع أبي إسحاق صاحب حرسه (١)، فأجابه المنصور إلى ذلك.

ذكر قدوم أبي مسلم من خراسان على المنصور
ومقتله بين يديه

قال: فخرج أبو مسلم من خراسان ومعه خلق عظيم حتى صار إلى العراق.

قال: فكان لا يمر ولا يقدم على موضع إلا استقبلوه بالبر والاحسان والاكرام حتى إذا صار إلى باب المنصور خرج إليه أبو الخصيب الحاجب فقال: إن أمير المؤمنين يأمرك أن تنصرف إلى المنزل الذي قد استعد لك! قال: فانصرف إليه، وقد أعد له جميع ما يحتاج إليه من فرش وغير ذلك من طعام وشراب، وجعلت الالطاف تأتيه من عند المنصور في كل وقت، فأقام كذلك ثلاثة أيام، فلما كان في اليوم الرابع أرسل إليه المنصور فدعاه، قال: فركب أبو مسلم وصار إلى الباب فدخل الحاجب فأعلم المنصور، فقال: ذره ولا تعجل، والمنصور جالس في مجلسه وحده ليس عنده أحد إلا من لا يحتشمه غير أنه يفكر في أمر أبي مسلم وما يريد أن يصنع وهو يقول شعرا، قال: ثم أذن لأبي مسلم بالدخول، فدخل وسلم، فلم يرد عليه السلام ثم أومأ إليه أن اجلس! فجلس أبو مسلم على وسادة وعليه يومئذ قباء ديباج أسود، فأقبل

---

(١) يفهم من عبارة الطبري وابن الأثير: أن أبا جعفر استمال أبا إسحاق إلى جانبه، وأنه وعده بولاية خراسان إن هو أقنع أبا مسلم بالمجيء إليه، وبالفعل فقد قال أبو إسحاق لأبي مسلم لما عاد من رحلته إلى أبي جعفر: ما أنكرت شيئا، رأيتهم معظمين لحقك، يرون لك ما يرون لأنفسهم، وأشار عليه أن يرجع إلى أمير المؤمنين، ويعتذر إليه مما كان منه.

عليه المنصور فقال: أبا مجرم! إني أريد أذكرك شيئا لا أراك تنكرها، أتنكر دخولك على أمير المؤمنين الماضي رحمة الله عليه وتسليمك عليه وأنا جالس في مجلسه ولا تراني أهلا للسلام؟ أتذكر مقالتك لابن أخي عيسى بن موسى (١) إن شئت خلعنا أبا جعفر وبايعناك؟ أتذكر شتمك لي بالشام بين يدي يقطين بن موسى (٢) وقولك له: ومن ابن سلامة؟ أكانت أبا مجرم أمك أفضل من سلامة وهي تحت محمد بن عبد الله بن عباس؟ قال: وجعل المنصور يذكره شيئا بعد شيء (٣)، فقال أبو مسلم: يا أمير المؤمنين! لا تذكر هذه الأقاويل، واذكر حس بلائي وقوامي لكم بهذه الدولة! قال: فعندها شتمه المنصور وقال: يا عدو نفسه! أنت ما فعلت ذلك، [إنما عملت] بحميتنا (٤) وقيام شيعتنا وما سبق من الله تعالى في أمر دولتنا، ولو كان الامر إليك لما قطعت فتيلا، ألست الكاتب إلي وتبدأ باسمك قبل اسمي؟ أولست الذي كتبت إلينا تخطب آمنة (٥) بنت علي بن عبد الله بن عباس وتزعم أنك ابن
بنت سليمان بن علي (٦)! وإنما أنت عبد لعيسى بن معقل العجلي لقد ارتقيت يا عدو الله مرتقى صعبا. فقال أبو مسلم: يا أمير المؤمنين! إنه لا يجب أن يبلغ منك الغضب كل هذا، فإن قدري أصغر من ذلك، فقال له المنصور: أنسيت استخفافك بحقي وتهجمك إياي بالكلام مرة بعد أخرى؟ أنسيت نظرك إلي شزرا؟ قال: ثم غمز عليه المنصور من على رأسه، فضربه عثمان بن نهيك ضربة بالسيف على جبل عاتقه، فسقط أبو مسلم عن الوسادة وهو يقول: وانفساه! قال: المنصور: يا بن الخبيثة! فعال الجبارين وجزع الصبيان! قال: ثم ضربه أبو الخصيب الحاجب بالسيف ضربة على رأسه فاضطرب اضطرابا شديدا، وجعل المنصور يقول هذه الأبيات:

---

(١) الأصل (موسى بن عيسى).
(٢) كان المنصور قد بعث يقطين بن موسى لقبض خزائن عبد الله بن علي وأمواله وما وقع بين يدي أبي مسلم من غنائم، وذلك بعد هزيمة عمه عبد الله بن علي.
(٣) انظر الطبري ٧ / ٤٩٠ وابن الأثير ٣ / ٥٣١.
(٤) بالأصل: (بتحمنا) ولا معنى لها، وما أثبت يناسب سياق المعنى. انظر الإمامة والسياسة ٢ / ١٨٤ ومروج الذهب ٣ / ٣٥٧ والاخبار الطوال ص ٣٨١.
(٥) عن ابن الأثير، وبالأصل (أمية) وفي مروج الذهب وابن خلكان: آسية، وفي الطبري: أمينة.
(٦) في المصادر السابقة: سليط بن عبد الله بن عباس.

اشرب (١) بكأس كنت تسقي بها (٢) * أمر في الحلق من العلقم
زعمت أن الدين لا ينقضي * فاستوف بالكيل (٣) أبا مجرم
قال: فلم تزل السيوف تأخذه حتى برد، فأنشأ بعضهم يقول أبياتا مطلعها:
أبا مجرم اشرب بكأس سقيته * بكف امرئ ما هم أن يتكلما
إلى آخرها.
قال: وكان أبو دلامة الشاعر قد خدمه قبل ذلك فلم يعطه شيئا وهدده بالقتل، فلما كان ذلك اليوم وبلغه قتله أنشأ يقول أبياتا مطلعها:
أبا مجرم عبدا لعيسى بن معقل * أخا دلف لا قول من يتكذب
إلى آخرها.
قال: وضج أصحاب أبي مسلم وهم بالباب فاستعظموا قتله، فخرج إليهم أبو الخصيب الحاجب فقال: اسكتوا! فإن أمير المؤمنين يقرأ عليكم السلام وقد أمر لكم بأرزاق سنية وضمكم إلى من أحببتم من أهل خراسان، وبعد فإن أبا مسلم إنما كان عبدا من بعض عبيد أمير المؤمنين، فتعدى طوره وجاوز حده في صنائع أمير المؤمنين، مثله كثير. قال: فسكت الناس ووضعت لهم الارزاق، ثم بعث برأس أبي مسلم إلى خراسان، وكتب المنصور إلى أبي داود (٤) وهو يومئذ خليفة أبي مسلم على خراسان فولاه البلاد وبعث إليه بالخلع، واستقر أهل خراسان ونسوا أبا مسلم (٥) كأنه لم يكن، واستقام الامر للمنصور بعد قتل أبي مسلم، لأنه لم يبق أحد غيره.

ذكر فتح أبي جعفر (٦) المنصور إرمينية وأذربيجان

قال: ثم دعا المنصور يزيد بن أسيد بن زافر السلمي فعقد له وولاه بلاد إرمينية، ودعا بيزيد بن حاتم فولاه بلاد أذربيجان. قال: فسار يزيد بن أسيد من العراق إلى إرمينية، فنزل مدينة يقال لها برذعة ثم فرق عماله في البلاد، وكتب إليه

---

(١) قبلها بالأصل: (مجرم) وقد حذفت لاستقامة الوزن.
(٢) في الأصل (به) وما أثبت عن الطبري وابن الأثير.
(٣) عن الطبري وابن الأثير، وبالأصل: واستوف بالكيد.
(٤) بالأصل (ابن أبي داود) وما أثبت عن الطبري وابن الأثير، واسمه خالد بن إبراهيم.
(٥) بالأصل (أبو مسلم) خطأ.
(٦) بالأصل: (ذكر لما فتح أبو جعفر).

المنصور: أما بعد فإن بلاد إرمينية لا تستقيم ولا تصلح إلا بمصاهرة الخزر، والرأي عندي أن تصاهر القوم حتى تستقيم البلاد، وإلا فإني خائف عليك وعلى جميع عمالك من الخزر، فإنهم إذا أرادوا واجتمعوا غلبوا، فانظر ولا تخالف أمري واجتهد في مصاهرة الخزر - والسلام -.

ذكر تزويج يزيد بن أسيد بن زافر السلمي
إلى ملك الخزر

قال: فلما ورد كتاب المنصور على يزيد أرسل إلى خاقان ملك الخزر واسمه تعاطر (١) فخطب إليه ابنته وكان يقال لها خاتون، فأجابه ملك الخزر إلى ذلك، فتزوجها يزيد بن أسيد على مائة ألف درهم، وزفت خاتون من بلاد الخزر إلى بلاد الاسلام ومعها عشرة آلاف من أهل بيت من الخزر، ومعها أربعة آلاف رمكة بفحولها، وألف بغل وبغلة، وألف إنسان، وعشرة آلاف جمل خزري من الجمال الصغار، وألف جمل تركي كل جمل منها بسنامين، وعشرون (٢) ألف شاة، وعشر عجلات على مثل القباب، لها أبواب مضروبة بصفائح الذهب والفضة، مفروشة بالسمور، ومجللة بالديباج، وعشرون (٣) عجلة فيها أمتعة وآنية من الذهب والفضة وغير ذلك.

قال: فلما وردت بنت ملك الخزر إلى بلاد الاسلام ومعها هذا الخير الكثير أنزلت بموضع يقال له القباب على باب البرذعة، قال: فأنزلت هنالك ثم أرسلت إلى يزيد أن ابعث لي نساء من نساء المسلمين حتى يعلمنني الاسلام ويقرئنني القرآن، فإذا تعلمت ذلك فشأنك بي. فأرسل إليها يزيد بعدة نساء من برذعة، فعلمنها الاسلام وأقرأنها القرآن. قال: ولم يبق قائد من قواد يزيد بن أسيد إلا وهدى لها من الهدايا على قدر طاقته، حتى إذا تعلمت خاتون القرآن وعرفت الاسلام ألقت عنها السيف والخنجر، فعلم يزيد بن أسيد أنها أذنت له في الدخول، فأقبل عليها بإذنها وإذا قد اختضبت وتزينت. قال: فبنى بها يزيد بن أسيد، وأقامت عنده سنتين وأربعة أشهر، وولدت منه ولدين ثم ماتت (٤) بعد ذلك ومات ولداها جميعا ببرذعة، فاغتم عليها يزيد غما شديدا.

---

(١) كذا ولم نعثر به. وانظر خبره مصاهرة يزيد ملك الخزر في فتوح البلدان ص ٢١١.
(٢) بالأصل: عشرين.
(٣) في فتوح البلدان: ولدت منه ابنا فمات وماتت في نفاسها.

ذكر انتقاض الخزر على المسلمين بعد موت خاتون

قال: وعلمت الخزر بموت خاتون بنت ملك الخزر، فتحركوا على المسلمين فاجتمعوا في جيش عظيم وساروا حتى افترقوا من الباب والأبواب. قال: وسار إليهم يزيد بن أسيد في قريب سبعة آلاف فارس فلم يكن له بهم طاقة، فكتب إلى أبي جعفر المنصور وخبره بذلك، فلما قرأ المنصور كتاب يزيد اغتم لذلك وخشي أن ينتقض عليه أمره، فكتب إلى أهل الشام وأخبرهم بأن يلحقوا يزيد بن أسيد (١) بأرمينية! فوافى يزيد نيف عن عشرة آلاف رجل، ثم وافته عساكر العراق عسكرا بعد عسكر، فأول من وافى من العراق جبريل بن يحيى في عشرة آلاف، ومخلد بن الحسن في عشرة آلاف، وحميد بن قحطبة في عشرة آلاف، وحرب الراوندي (٢) في خمسة آلاف، فذلك خمسة وثلاثون ألفا من أهل العراق. قال: وسار يزيد بن أسيد (١) ومعه عشرون ألفا من أهل الشام والجزيرة، وخمسة وثلاثون ألفا من أهل العراق، فذلك ستون ألفا. قال: وسار بهم يزيد حتى دخل نهر الكرم وصار إلى بلد الشروان. قال: وإذا كراديس الخزر قد أقبلت مثل النيل وقطع الليل في زهاء عن مائتي ألف فارس. قال: والتقى للقتال في أرض الشروان، فلم ير المسلمون يوما كان أشد منه، وذلك أنه قتل منهم مقتلة عظيمة، وانهزم يزيد بن أسيد حتى دخل مدينة برذعة، ومضى خاقان ملك الخزر وأصحابه وقد غنموا غنيمة لم ير مثلها.

قال: ومى يزيد إلى العراق فخبر المنصور بما نزل بالمسلمين من الخزر، فاغتم المنصور لذلك غما شديدا. ثم قال: ويحك يا يزيد! فما الحيلة؟ قال: الحيلة أن تجعل في الأبواب أجنادا يرتبون فيها فتكون ردا للخزر وحوزا للاسلام، وما أرى رأيا غير هذا، فعندها بعث المنصور إلى جميع الكور الذي بالشام والجزيرة والعراق، وانتخب من أهل النجدة سبعة آلاف رجل كل رجل يعد برجال. ثم دعا إبراهيم بن أبي عون والهيثم بن سعد وضم إليهما عشرين (٣) ألفا، ثم أرسل إلى مدائن الشام والجزيرة فحشر من أجنادها عشرة آلاف، ثم ضم الكل إلى يزيد بن أسيد، ثم أمره بالمسير إلى أرمينية.

وسار إلى مدينة برذعة ثم رحل منها حتى صار إلى نهر الكر فعبر بهؤلاء الخلق

---

(١) الأصل: يزيد.

(٢) عن المطبوعة، وبالأصل (الدويري).

(٣) بالأصل: عشرون.

وسار بهم حتى صار إلى مدينة الباب والأبواب فنزلها ورمها وأحكم الأبواب التي لها. ثم أمر ببناء الأبواب فبنيت على هيئة مدينة النبات ممدودة على السور إلى جبل يقال له الكنك (١). فأول الأبواب باب يقال له كمبخ ثم البردنة ثم الحميد ثم باب الحديد وباب واف وباب الرسل الصغرى وباب الرسل الكبرى وباب أرسى وباب أدرموسى وهو آخر
الأبواب (٢). قال: ثم فرق يزيد بن أسيد هؤلاء الأجناد الذين كانوا معه فأنزلهم الباب والأبواب وجعلها مسكنا لهم ولعقبهم، وأجرى لهم الارزاق التي كانت بنو أمية أجرت لهم
قبل ذلك.
قال: ثم بعث المنصور بعد ذلك إلى يزيد بن أسيد فعزله عن إرمينية وولى مكانه بكار بن مسلم العقيلي فكانت ولايته سنة وأربعة أشهر، ثم عزله المنصور وولى مكانه الحسن بن قحطبة الطائي، فأقبل حتى دخل إرمينية في خمسين ألفا من أهل خراسان وأهل الشام والعراق. فلما دخل الحسن بن قحطبة إلى بلاد إرمينية انتقضت عليه الضيارية (٣). وهم صنف من أصناف الكفار بأرض يقال لها أرض جرزان فلم يقدر الحسن بن قحطبة على أن يسكنهم فكتب إلى المنصور، فأمده المنصور بأربعة من قواده منهم عامر بن إسماعيل الجرجاني (٤) وعيسى بن موسى الخراساني والفضل بن
دينار ومقاتل بن صالح، فأقبل هؤلاء القواد في ثلاثين ألف فارس فسار بهم الحسن بن قحطبة إلى جرزان. قال: واجتمعت الضيارية وأهل حاحط (٥) وهم أيضا صنف من الكفار فاجتمعوا على المسلمين في جمع عظيم واقتتلوا، فظفر الله المسلمين بهم، فقتلوا في معركة واحدة منهم عشرة آلاف وأغنمهم الله أموالهم ودوابهم وسلاحهم، ورجع قواد المنصور إلى العراق.
وبقي الحسن بن قحطبة بإرمينية، فأقبل حتى نزل إلى مدينة برذعة، ودعا بابن له يقال له قحطبة فولاه الباب والأبواب، ودعا بابنه إبراهيم فولاه بلاد جرزان من تفليس وما والاها، ودعا بابنه محمد فولاه إرمينية الرابعة من بلاد أخلاط وقاليقلا (٦)

---

(١) كذا بالأصل، ولم نعثر به.
(٢) كذا بالأصل وانظر ما ورد في معجم البلدان في حصون وشعاب وجبال باب الأبواب.
(٣) كذا، وقد ورد ذكر (الصنارية) في فتوح البلدان فقد تكون إحدى اللفظتين محرفة عن الأخرى.
(٤) في مروج الذهب: (المذحجي) وفي الطبري: الحارثي.
(٥) كذا بالأصل بدون فقط.
(٦) عن عن معجم البلدان، بالأصل (فاليفلا).

وما والاها (١).
ذكر موشابذ (٢) البطريق ومحمد بن الحسن بن قحطبة
قال: وكان بأرمينية الرابعة بطريق يقال له موشابذ (٢) وكان من أبناء ملوك الروم وساداتهم، وكان محمد بن الحسن بن قحطبة هذا رجلا شرها لا يسعه شيء من شدة حرصه على أخذ الأموال، وكان لا يرى على هذا البطريق شيئا حسنا إلا يأخذه، فرأى في إصبعه خاتم فضة من ياقوت من أحسن شيء يكون، فقال له: هبني هذا الخاتم فقد أعجبني! فقال موشابذ: إن هذا خاتم أبي وليس أحب أن يصير إلى غيري، ولكن يقومه الأمير أيده الله ويأخذ مني قيمته! قال: فأبى إلا أخذ الخاتم، فقال له موشابذ: إذا كان غدا وجهت به إليك مع ما يشبهه. قال: وانصرف موشابذ إلى منزله ثم كتب من ساعته إلى بطارقته الذين حوله فاستعان بهم على حرب محمد بن الحسن بن قحطبة، فأجابه إلى ذلك. فجمع موشابذ البطارقة وجعل يحاربه، وسمع بذلك حمرة بن جرجيق بطريق بلاد جرزان فجمع الجموع وجعل يقاتل إبراهيم بن الحسن بن قحطبة وهو يومئذ بمدينة برذعة، فضاق به الأمير ولم يدر ما يصنع. قال: واجتمع إليه الكفار من كل ناحية غضبا منهم لموشابذ، فلم يكن للحسن بهم طاقة، فكتب إلى المنصور بذلك، فأمده بعشرة آلاف من أهل العراق، فساروا حتى نزلوا بمدينة أخلاط وسار إليهم الحسن بن قحطبة من برذعة في جيش عرمرم، والتقى القوم على شاطئ بحيرة أخلاط، فاقتتلوا فقتل موشابذ البطريق وقتل معه نيف من ثلاثة آلاف، وانهزم الباقون على وجوههم والسيف يأخذهم إلى أن صار المسلمون إلى كنيسة موشابذ فأصابوا فيها مالا كثيرا وسلاحا ومتاعا فأخذوه، ثم رجعوا إلى موشابذ فأخذوا رأسه ورؤوس أصحابه من البطارقة والعلوج [وأرسلوها] إلى المنصور، فأنشد عقبة بن طير النميري يقول أبياتا مطلعها:
ألم تر أعلجا ساروا إلينا * مغلقة الكنائس بادرينا
إلى آخرها.

---

(١) انظر ما ورد في فتوح البلدان عن ولاية الحسن بن قحطبة الطائي لأرمينية.
(٢) ورد في فتوح البلدان (موشائيل).

ذكر وفاة أبي جعفر
قال: فلما أتت على أبي جعفر في خلافته عشرون (١) سنة دعا بوجوه بني هاشم ووجوه قواده وخاصته وأخذ عليهم البيعة لابنه محمد بن المنصور وسماه المهدي، وجعله ولي العهد من بعده. وكتب له على الناس بذلك كتابا (٢)، وأخذ عليهم العهود والمواثيق. ثم دعا بابنه المهدي فأمره بالخروج إلى جرجان، وأوصاه أن يحسن إلى الناس. ثم أوصاه وقال (٣): يا بني! أنت خارج إلى هذا الوجه ولست أدري ما يكون من الحدثان فافهم على ما أقول لك، اعلم يا بني! أن الخليفة لا يصلحه إلا الطاعة (٤)، والرعية لا يصلحها إلا العدل، وأولى المسلمين بالعدل أقدرهم على العفو (٥)، وأنقص الناس عقلا (٦) من ظلم من هو دونه. قال: ثم جعل المنصور يتمثل بهذين البيتين:

العيش أحلى ما يكو * ن على حلاوة أمره
كم شامت بي إن هلك * – ت وقائل لله دره.

قال: ثم ودعه المنصور وانصرف، ومضى المهدي إلى جرجان.
قال يزيد بن عبد الله الهلالي: حدثني سراج خادم المنصور قال: خرج المنصور حاجا بعد خروج المهدي إلى جرجان ونزل منزلا في طريق مكة ونظر وإذا في وسط المنزل والطريق هذه الأبيات:

لعمرك ما حجت قريش لحبه * ولكنها حجت لحب الدراهم
وما حجت الأنصار إلا تعرضا * لسب ولي العهد من آل هاشم
ولا حجت الاعراب إلا ضراعة * مدنسة الأثواب ركن الدعائم
ولكن من قد حج من صلب ماله * على نية أبناء تلك الأعاجم

---

(١) الأصل: عشرين.
(٢) كذا، والمشهور أن المنصور عمد سنة ١٤٧ إلى خلع عيسى بن موسى بن محمد بن علي من ولاية عهده وبويع للمهدي محمد بن المنصور (انظر الطبري – ابن الأثير).
(٣) انظر الطبري وابن الأثير حوادث سنة ١٥٨.
(٤) في ابن الأثير ٣ / ٦٣٠ لا يصلح السلطان إلا بالتقوى. ولا تصلح رعيته إلا بالطاعة.
(٥) ابن الأثير: وأقدر الناس على العفو أقدرهم على العقوبة.
(٦) ابن الأثير: وأعجز الناس من ظلم.

قال: وإذا أسفل بيتين مكتوبة أيضا:
لعمري لئن كانت قريش تعرضت * لسب امرئ عام عن الحق ظالم
لما صادفت ذا المكرمات ابن جعفر * ولا مصعبا جمال تلك المعالم
قال: فعلم المنصور أنها كتابة قديمة، فقرأها وحفظها إلى أن دخل مكة، فنزل في دارها من دورها، فإذا على الحائط الذي للدار مكتوب بخط جليل القدر.
قال: فأمر الربيع أن يقرأ ما على الحائط، فامتنع من قراءتها، فقام المنصور ليقرأها، وإذا هما بيتان من الشعر:
أبا جعفر حانت وفاتك وانقضت * سنوك (١) وأمر الله لا شك (٢) واقع (٣)
أبا جعفر هل (٤) كاهن أو منجم * لك اليوم عن رد المنية دافع (٥)
قال: فرفع المنصور إلى فراشه فأسقط في يده حتى امتنع من الطعام والشراب، فلما قضى حجه وأراد الانصراف اعتل علة شديدة وأيس من نفسه.
قال الرقاشي: حدثني أبو كلثوم صاحب المنصور قال: دعاني المنصور بمكة وهو شديد العلة، قال: قد علمت بما كان من ملك مع أبي مجرم (٦) في أيامه وما كنت تفشي إليه من سري، والله لأقتلنك أشر قتلة، فلا تعجل إلا أن أقوم من علتي هذه! قال: فخرجت من عنده والموت قابض على حلقي، فمن شدة ما ك ان بي من الغم حملني النوم فإذا بهاتف يهتف بي بهذا البيت وهو يقول:
يعقد المرفق لي بيمين * وهو في غفلة بريب المنون
قال: فانتبهت فزعا مرعوبا، فارتفعت الضجة فقلت: ما الخبر؟ فقالوا: مات أمير المؤمنين.
قال أيوب بن عبد الله صاحب المنصور: كانت خلافة المنصور اثنتين وعشرين

---

(١) عن الطبري وابن الأثير ومروج الذهب، وفي الأصل (سونك).
(٢) في المصادر المذكور: لابد.
(٣) في مروج الذهب: نازل.
(٤) عن المصادر السابقة، وبالأصل (كل).
(٥) في مروج الذهب: برد قضاء الله، أم أنت جاهل
(٦) يريد (أبا مسلم الخراساني).

سنة إلا سبعة أيام، وتوفي ببئر ميمون بن الحضرمي ودفن هناك. وقال الرقاشي: قال أبو كلثوم: مات ببئر ميمون ودفن بالحجون (١) لست ليال خلون من ذي الحجة (٢) سنة ثمان (٣) وخمسين ومائة وهو ابن أربع وستين سنة (٤).

[خلافة المهدي]

وصار الامر إلى ابنه المهدي واسمه محمد، وأمه أم موسى ابنة منصور الحميرية (٥)، فقدم المهدي من جرجان وقعد في الخلافة عشر (٦) سنين ومات - والله أعلم وأحكم -، وكان للمهدي أخبار وأسمار لا تدخل في الفتوح.

قال ابن يقطين (٧): كنا عند المهدي ذات يوم فقال: إني أصبحت جائعا فأتوني بشيء! قال: فأتي بأرغفة ولحم بارد، فأكل ثم قام فقال: إني داخل ذلك النهر (٨) نائم فيه فلا يوقظني أحد حتى أستيقظ أنا من ذاتي! إذ سمعنا بكاءه، فبادرنا إليه وقلنا: مما بكاءك؟ فقال: رأيت الساعة رجلا لو كان في مائة رجل لما خفي، فوقف على باب هذا النهر وجعل يقول هذه الأبيات فحفظتها منه (٩):

كأني بهذا القصر بد باد أهله * وأوحش منه أهله ومنازله
وصار عميد القوم من بعد نعمة * وملك إلى قبر عليه جنادله
فلم يبق إلا ذكره وحديثه * تنادي بليل معولات حلائله

---

(١) بالأصل (بالحجور) والحجون جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها.
(٢) بالأصل (محرما).
(٣) بالأصل (تسع).
(٤) في يوم وفاته ومقدار عمره ومدة خلافته اختلاف انظر مروج الذهب ٣ / ٣٤٤ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٣٨١
الطبري ٩ / ٢٩٣ ابن الأثير ٣ / ٦٢٧ تاريخ خليفة ص ٤٢٩ التنبيه والاشراف ص ٣٤١ العقد الفريد ٥ / ١١٤ المعارف ص ٣٧٨ البداية والنهاية ١٠ / ١٢٢.
(٥) هي أروى بنت منصور، أخت يزيد بن منصور الحميري، كانت تكنى أم موسى انظر ابن الأثير ٣ / ٦٢٨.
(٦) بالأصل (ست) خطأ.
(٧) هو علي بن يقطين، كان في يده خاتم الخلافة أيام الهادي، ولم يلبث أن قتل على الزندقة.
(٨) كذا بالأصل ومروج الذهب ٣ / ٣٩٥ وفي الطبري وابن الأثير (حوادث سنة ١٦٩): البهو.
(٩) في المصادر الثلاثة باختلاف بعض الالفاظ.

قال: فلم يشك أحد أن أجله قد اقترب. قال علي بن يقطين: فكنا معه بعد ذلك في قصر الرصافة ببغداد فأرسل إلى وجوه بني هاشم ورؤساء القوم فأحضرهم ثم أخذ عليهم البيعة لابنه موسى وسماه الهادي وجعل هارون من بعده ولي العهد وسماه الرشيد، فقال في ذلك أهل الأدب هذه الأبيات:

قد نشرت أرضنا السماء به * وقال فيه من يقرأ الكتبا
محمد مورث خلافته * موسى وهارون بيعتان أبا

وقد ذكر ذلك أيضا مروان بن أبي حفصة في قصيدة له حيث يقول:

عقدت لموسى بالرصافة بيعة * شد الاله بها عرى الاسلام
موسى الذي عرفت قريش فضله * ولها فضيلتها على الأقوام
مهدي آمنة التي أمنت به * للذل آمنة من الاعدام
موسى وصي عصا الخلافة بعده * جفت بذاك مواقع الأقلام
فلتعلون خير مدافع * أعواد منبرها وطرفك سام

قال: ثم لم يلبث المهدي بعد ذلك قليلا حتى مات (١)، فكانت مدة خلافته عشر سنين وشهرا واحدا، وتوفي بموضع يقال له ماسبذان ودفن في دير الغنم ليلة الخميس لثمان ليال بقين من المحرم سنة تسع وستين ومائة (٢).

[خلافة موسى الهادي بن المهدي] (٣)

وصار الامر إلى ابنه الهادي ويكنى أبا محمد (٤)، وقد كان موسى يومئذ بجرجان فولى له البيعة أخوه هارون ببغداد، وقدم عليه لاخذ البيعة مولى له يقال له نصير. قال: فكان موسى هذا مفتوح الفم لا يطيق بضم شفتيه فلذلك قيل له: موسى أطبق. وقد كان مع ذلك لا يفتر عن الشرب ليلا ونهارا، ولم يكن له شيء من

---

(١) ورد في المصادر السابقة أنه مات بعد رؤياه بعشرة أيام.
قيل إنه مات مسموما بلبإ فيه سم. وقيل إنه قدمت إليه كمثراة (من الكمثرى) مسمومة.
(٢) اختلفوا في مدة ولايته ومقدار عمره، انظر الطبري ٨ / ١٧١ ابن الأثير ٤ / ٦ مروج الذهب ٣ / ٣٧٧ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٠٢ تاريخ خليفة ص ٤٣٩ المعارف ص ٣٧٩.
(٣) استدرك عن هامش الأصل.
(٤) بالأصل (أبا القاسم) وما أثبت عن تاريخ بغداد.

الفتوح، وله أخبار مع العلوية لا نحب أن نوردها.
قال أبو بشر المازني: حدثني صباح مولى المهدي قال: حدثني مراقب مولى المهدي قال: كانت تحت الهادي امرأة يقال لها أم موسى (١)، فقال لها الهادي: ما آسف على شيء من أمر الخلافة إلا عليك وأخاف أن يتزوجك أخي هارون من بعدي، فقالت: أعيذك بالله يا أمير المؤمنين! ما كنت لافعل ذلك ولا يجتمع رأسي ورأسه أبدا! قال: فأرسل موسى إلى أخيه هارون فدعاه واستحلفه بالايمان المؤكدة أنه لا يتزوج أم موسى من بعده، فحلف له هارون بما استحلفه. ثم مات الهادي من تلك الخبيثة التي ظهرت برجله (٢)، فكانت خلافته سنة وشهرين وعشرين يوما، وتوفي ببغداد يوم الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وهو ابن ثمانية وعشرين سنة (٣)، وصار الامر إلى أخيه هارون أبي جعفر بن محمد المهدي وهو الرشيد، وأمه الخيزران أم ولد، وقال قوم: لا بل كانت عربية.

[خلافة هارون الرشيد] (٤)

قال إبراهيم بن إسحاق الموصلي: أخبرني أبي قال: فلما أفضت الخلافة إليه بعث إلى أم موسى (٥) امرأة أخيه فخطبها، فأرسلت إليه: أو ليس قد حلفت يا أمير المؤمنين لأخيك ما حلفت؟ فأرسل إليها: إني كفرت عن يميني! فزوجته نفسها، فبينما هي ذات يوم نائمة مع الرشيد إذا انتبهت مرعوبة فزعة، فقال لها الرشيد: ما قضيتك؟ فقالت: يا أمير المؤمنين! رأيت الساعة سيدي موسى الهادي أخذ بعضادة هذا الباب وهو يقول هذين البيتين:

إن الذي غرة منكن واحدة * بعدي وبعدك في الدنيا لمغرور

---

(١) في الطبري (أم العزيز) وقد تزوجها الرشيد بعد الهادي وأولدها علي بن الرشيد.
(٢) في موته أقوال منها أن أمه الخيزران قتله بعدما حاول خلع الرشيد من ولاية عهده والبيعة لابنه جعفر، فدست جواريها قتلنه بالغم والجلوس على وجهه فمات.
(٣) في يوم موته ومدة ولايته ومقدار عمره أقوال. انظر في ذلك: الطبري ١٠ / ٣٨ مروج الذهب ٣ / ٣٩٧
الاخبار الطوال ص ٣٨٦ ابن الأثير ٤ / ١٨ العقد الفريد ٥ / ١١٦ تاريخ خليفة ص ٤٤٦ المعارف ص ٣٨١ التنبيه والاشراف ص ٣٤٤ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٠٦.
(٤) عنوان استدرك عن هامش الأصل.
(٥) مر أنها أم العزيز.

أنت التي خنت عهدي بعد موثقة * إن لا يكن كذبت عنك الأخابير
قال فقال لها الرشيد: هذا من عمل الشيطان.
قال: ثم إن الرشيد اتخذ البرامكة وجعلهم وزراءه، وأفشى إليهم أسراره وقدمهم على غيرهم. قال إسماعيل بن عزوان: كنت من منزل ثمامة بن أشرس فسمعته يقول: لم يجتمع لخليفة قط من ولد العباس ما اجتمع للرشيد، وزراؤه البرامكة الذين لم ير مثلهم ولا جودهم وكرمهم فيمن مضى وسلف، ونديمه العباس (١) بن محمد، وحاجبه (٢) الفضل بن الربيع أعظم الناس أبهة وأكمل الناس نعمة، وقاضيه أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم وجندب دهره في الحيل وأمضى أصحابه
في الحكمة، وشاعره مروان بن أبي حفصة كبير دهره، ومغنيه (٣) إبراهيم الموصلي، وضاربه بالعود زلزل، وزامره برصوما (٤)، وأكبر من هذا قدرا وأفخر زوجته زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور التي كانت من أرغب الناس في الخير، وهي التي جاءت بالماء إلى الحرم بعد امتناعه - وغير ذلك مما لا يحصى -.
قال ثمامة بن أشرس: ولا اجتمع لاحد من بني العباس ولا غيرهم ممن مضى من الخلفاء ولا من بني أمية ولا لخلق ممن ولي الخلافة من المال ما اجتمع عند الرشيد، وذلك أنه اجتمع في خزانته بيور من المال، والبيور: ألف ألف دينار -، وهذا لا يحصى إلا أن يكتب ويحسب بعد ذلك.
تم كتاب الفتوح

---

(١) كذا وفي البداية والنهاية: عمر بن العباس بن محمد
(٢) بالأصل (صاحبه).
(٣) بالأصل (شيعته).
(٤) عن الأغاني، وبالأصل (برصوا).

[حكاية الامام الشافعي مع الرشيد] (١)
حدثنا أبو محمد قال: أخبرنا عبد الله بن محمد البلوي قال: حدثني عمار بن يزيد المدني قال: حدثني أحمد بن عبيد الحيري - وكان من غلبة أصحاب العلم - قال: دخلت ذات يوم أنا ومحمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة على الرشيد فناظرنا بين يديه ساعة، فقال الرشيد: هل تعرفان لي رجلا يقوم بصدقات اليمن أوليه ذلك؟ فقال محمد بن الحسن: بلى يا أمير المؤمنين قد وجدته. قال: ومن هو؟ قال: محمد بن إدريس الشافعي، وهو رجل فقيه عالم، ويجمعه وإياك يا أمير المؤمنين عبد مناف بن قصي، فقال الرشيد: علي به لكي أنسبه. قال: يا أمير المؤمنين! هو محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن السائب بن (١) عبيد بن عبد يزيد (٢) بن هاشم بن المطلب (٣) [بن عبد مناف -] (٤) بن قصي. فقال الرشيد: علي به! فما كان بأسرع أن أتي بالشافعي، فلما دخل وقضى حق التسليم أمره بالجلوس فجلس، فقال: يا شافعي! فقال: لبيك يا أمير المؤمنين! فقال: كيف علمك بكتاب الله؟ فإنه أولى ما يبتدأ به، فقال: يا أمير المؤمنين! إن الله تبارك وتعالى قد جمعه في صدري وجعل ديني دفينه، فأنا أعقد عليه في كل أموري، ولكن أعلم فأي علم تريد مني يا أمير المؤمنين؟ علم بتنزيله أو علم تأويله، أم علم مكيه أو علم مدنيه، أم [علم] ليله أم علم نهاره، أم سفره أم حضره (٥)، أم ناسخه

---

(١) استدراك عن هامش الأصل.
(٢) عن جمهرة ابن حزم ص ٧٣ وبالأصل (عبد مناف).
(٣) عن ابن حزم، وبالأصل (عبد المطلب).
(٤) عن ابن حزم.
(٥) بالأصل: أم سفريه أم حضريه.

أم منسوخه، أم محكمه، أم متشابهه. قال: فتبسم أمير المؤمنين الرشيد ثم التفت إليه وقال: إن الرجل لكما وصفت إن لم تكن فيه نخوة قريش! قال: فسكت الامام الشافعي ولم يقل شيئا، فقال له الرشيد: كيف علمك بالفرائض؟ فقال: يا أمير المؤمنين ما شذ علي شيء منها، وإني لأعرف حلالها وحرامها واختلافها، فقال: وكيف علمك بالاحكام؟ فقال: يسأل أمير المؤمنين عما شاء وعن أي نوع شاء من نوع الاحكام وما اختلف فيه الاسلام، فقال: كيف علمك بالطب؟ فقال: إني لأعرف ما قالت فيه فلاسفة الهند والروم وأبقراط وجالينوس وأرسطاطاليس وغيرهم من العلماء والحكماء، قال: فكيف علمك بالنجوم؟ قال: إني لاعلم قطب الدائرة (١) ومنازل القمر والبروج كلها من المؤنث والمذكر وما يهتدي به البر والبحر، قال: فكيف علمك بالشعر؟ فقال: لقد رويت منه القديم والحديث، والجد والهزل، وما يحض على المكارم والبذل، قال: فكيف علمك بالعرب؟ فقال: إني لأعرف أنساب السادة الكرام والأراذل اللئام، فقال الرشيد: يا بن إدريس! لقد ادعيت من العلوم عظيما وإخالك بما ذكرت عليما، فعظ أمير المؤمنين عظة تبين له بعض ما ادعيت! فقال: نعم يا أمير المؤمنين! على طرح الحشمة وترك الهيبة وقبول النصيحة وإلقاء رداء الكبرياء عن عاتقك، فقال الرشيد: ولك ذلك وأنت آمن، فقل ما بدا لك! قال: فجثا الشافعي على ركبتيه بين يديه ثم قال: يا ذا الرجل! من أطال عنان الامر في العز طوى عنان الحزن في المهلة، ومن لم يبادر إلى طريق النجاة كان مقيما على قلة الاكتراث بالمرجعة إلى الله تعالى، ومن استعمل حسن الظن فيما يحذر من المحذور كان في أمره كمثل نسج العنكبوت، وأليس الناس من بادر مطايا المراجعة إلى دار المقامة، ولو فعلت ذلك لما أنفذت إليك يد الندامة ولا الحسرات غدا في عرصات المقامة، ولو فعلت ذلك لما أنفذت إليك يد الندامة ولا الحسرات غدا في عرصات القيامة، ولكنك أتيت من جلد لا يؤدى حقه إلى طليل، ومن أذن يمج الكلام مجي عن اذنك ثم أعقبك التواني والاغترار بنفسك، ولو كان لك دليل يدل على ما سقط من عيبك لشغلك ذلك عن عيب غيرك لكن ضرب عليك الهوى رواق الحيرة فتركك إذا أخرجت يدك لم تكد تراها، ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور! فاتق الله أيها الرجل تقوى من يعلم أن الله عليه رقيب، ومن علم أن الله بالقيامة حسيب. قال: فدمعت عينا أمير المؤمنين الرشيد حتى بل منديله، فقال له بعض خدم الخواص: اسكت فقد أبكيت أمير المؤمنين! قال: فالتفت إليه

---

(١) بالأصل (القطب الدائر).

الشافعي مغضبا ثم قال: إليكم عني يا عبيد الرجعة! أولستم الذين باعوا أنفسهم من هذه الدنيا بطلب الشفعة! أما رأيتم من استدرج من الأمم الماضية والقرون الخالية! أما رأيتم كيف علم مستورهم وأمطرت عليهم المنايا بالفناء فاضمحل سرورهم فأضحوا بعد خفض عيشهم ولين رفاهتهم في نسيم البطالين حصائد النعم ومدارج المتالف والنقم. قال فقال الرشيد: يا بن إدريس: لقد سللت علينا حسامك من لسانك وهو أمضى من سيفك وسنانك! فقال: يا أمير المؤمنين! هول ك إن شئت وإن قبلت. وإن شئت كففت عن ذلك! قال الرشيد: فإنا قد قبلنا موعظتك ونحن موجهوك إلى أرض اليمن لتكون على صدقاتهم، فسر على بركة الله وعونه! ولا ترفعن إلي باطلا ولا تمنعن ذا حق حقه. قال: ثم خلع عليه الرشيد وحمله وأحسن جائزنه، وأمر الكاتب أن يكتب له عهدا.

وسار الشافعي حتى دخل اليمن فأقام بها حولا كاملا، واتصل الخبر إلى الرشيد أن الشافعي يريد أن يخرج عليه علويا بأرض اليمن - وكان الخبر باطلا، فغضب الرشيد لذلك غضبا شديدا، ثم أرسل إلى الشافعي فحمله، وحمل معه بضعة من أصحابه حتى وافوا الرشيد، قال: وبلغ الخبر إلى محمد بن الحسن [فأقبل] على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين! تأن في أمر هذا الرجل ولا تعجل عليه، فإنه فقيه الحجاز وأنا مخالف له على مذهبه، ولعل الناس يقولون أنا الذي سعيت به إلى أمير المؤمنين! قال: فزبره الرشيد زبرة وقال: اخرج من بين يدي فأنت الذي أشرت علي به، فوالله لأقتلنه قتلة ما سبقني أحد إليها. قال: فخرجت إلى الشافعي فإذا هو في سراويله وقد عري من ثيابه، فتقدمت إليه وقلت: لا ع ليك أبا عبد الله! اتق الله واتكل عليه، فإني أرجو أن يكون لك من الله فرج وأن يسلمك الله منه، فإني قد كلمته فيك فزبرني حتى اتقيته على نفسي غير أنه رجل فصيح، وأنت بحمد الله قد رزقت الفصاحة، فهييء له كلاما تستمليه به، قال: فإني لكذلك أكلمه. إذ دعا به فأدخل، فلما رآه الرشيد قال: بسم الله الرحمن الرحيم (يايها الذين امنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهلة فتصبحوا على ما فعلتم ندمين) (١) فقال الرشيد: أوليس الكلام والامر على ما قيل فيك يا بن إدريس؟ فقال: يا أمير المؤمنين! أوليس في الناس علوي إلا ويظن أن الناس له عبيد! فكيف أخرج رجلا يريد أن يجعلني عبدا وأغدر بسادات بني عبد المطلب وأنا منهم وهم

---

(١) سورة الحجرات، الآية ٦.

مني! قال: فسكن عن الرشيد غضبه، ثم قال: أستغفر الله من كل ذنب وخطيئة! اجلس، فجلس، ثم قال الرشيد: يا غلام علي بتخت من ثياب العلماء! فأتي به فخلع عليه، ثم قال: علي بمحمد بن الحسن! وأنا من وراء الستر فدخلت فرحا مسرورا، فقال الرشيد: يا محمد! قد شهد قلبي لهذا الرجل بالصدق، فاجلس معه وناظره إلى وقت خروجي إليكما، وحلفه أن لا يرخص في يمين المكره. قال: ثم وثب الرشيد فدخل إلى قصره، قال: فأقبلت على الشافعي فقلت: يا أبا عبد الله! من كان في طاعة الله كان الله في حاجته. قال: فناظرته ساعة، ثم قلت: الساعة يخرج أمير المؤمنين وقد أمرني أن أحلفك أن لا ترخص في اليمين المكرهة، فقال: وقد عزمت على أن تحلفني؟ فقلت: بهذا أمرني أمير المؤمنين، فقال: يا أبا عبد الله! وأمير المؤمنين لا يعلم بيميني هذه التي حلفتها لك أنا هي يمين مكره، فقلت: صدقت. فخرج الرشيد فوثبت قائما وقام الشافعي، فقال الرشيد: يا محمد! حلفته كما أمرتك؟ قال فقلت: يا أمير المؤمنين! إنه يزعم أنه مكره على يمينه، فضحك الرشيد، ثم قال: يا شافعي! لا ترخص في يمين المكره فإنها لازمة لك ولمن حلف بها، فقال الشافعي: نعم يا أمير المؤمنين! حاجتي النظر في أمور الرعية والقسم بالسوية، فقال الرشيد: ومن يطيق ذلك يا بن إدريس؟ فقال: يطيق ذلك من تسمى باسمك واستعد إلى موضعك، قال الرشيد: ثم ماذا؟ قال: انظر لجيران رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال الرشيد: وما أصنع بهم؟ قال: تغمر الفقير وتحسن الصنيعة إلى أولاده وأولاد أصحابه، قال الرشيد: أفعل ذلك يا غلام! احمل إلى المدينة ثلاثمائة ألف درهم وفرق عليهم، وإلى أهل مكة مثل ذلك. ثم التفت إلى محمد بن الحسن فقال: هل ناظرته بشيء؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين! قد جرت بيني وبينه

مناظرة. قال: فناظره بين يدي حتى أسمع، فأقبل عليه محمد بن الحسن فقال: أبا عبد الله! ما تقول في رجل تزوج امرأة ودخل بها، وتزوج ثانية ولم يدخل بها، وتزوج ثالثة ودخل بها، وتزوج رابعة ولم يدخل بها، ثم أصاب الثانية أم الأولى، وأصاب الرابعة عمة الثالثة؟ فقال الشافعي: أما الثانية فلا يدخل بها لقول الله عز وجل (فإن لم تكونوا دخلتم بهن) (١) وقد دخل بابنتها فحرم عليه الدخول

---

(١) سورة النساء، الآية ٢٣.

بأمها (٢)، وأما الرابعة فلا يدخل بها قول النبي صلى الله عليه وسلم: لا يتزوج الرجل المرأة على
عمتها وعلى خالتها. ثم أقبل عليه الشافعي وقال: ما تقول رحمك الله أبا
عبد الله! كيف استقبل النبي صلى الله عليه وسلم يوم النحر وكيف كبر؟ قال: فتقنع محمد بن
الحسن ولم يكن عنده من ذلك جواب، فقال الشافعي: يا أمير المؤمنين! يسألني عن الاحكام فأجيبه، وأسأله عن سنة من سنن رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبني، فقال
الرشيد: قد كان ذلك. ثم قال: يا غلام! بدرة تحمل إلى منزل الشافعي! ثم أقبل عليه الرشيد وقال: إذا شئت فانصرف! قال: فانصرف الشافعي إلى منزله غانما سالما مؤيدا من ربه - رحمة الله ورضوانه عليه -.
وأيضا خبر الشافعي - رحمة الله عليه -
حدثنا أبو محمد قال: أخبرنا بعض أهل العلم قال: سمعت أبا العباس يقول - وهو محمد بن يزيد المبرد اليماني البصري - قال: كان الشافعي - رحمه الله - من أشعر الناس، قال: فأخبرني الربيع بن سليمان أن الشافعي نعى إليه بعض إخوانه فحزن عليه حزنا شديدا وحضر جنازته، فلما صلى عليه ودفن التفت إلى ابن أخيه فأنشأ يقول هذه الأبيات:

إني أعزيك لا أني على طمع * من الحياة ولكن سنة الدين
فما المعزي بباق بعد صاحبه * ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

وقال: إن الشافعي دخل أرض مصر في سنة مائتين، فأقام بها أربعين سنين كوامل ثم توفي بها (٢)، فقبره يقال له: المعظم - والله أعلم - وقد ذكر ذلك محمد بن إبراهيم البوشنجي في قصيدة له يرثي بها الشافعي ويذكر فيها بضعة عشر رجلا من أجلاء أصحابه وبمن كان يقول معه بقوله ويميل إليه ويناضل عنه، منهم: أبو عبد الله أحمد بن حنبل، وأحمد بن سنان (٣) القطان، وإسماعيل بن يحيى

---

(١) بهامش المطبوعة: (كذا بالأصل، والصحيح أن الثانية حرمت عليه لقوله تعالى: (وأمهات نسائكم) سواء كان دخل بالأولى (أي بابنتها) أو لم يدخل بها، وقيد الدخول ثابت للبنت أي إذا كانت الثانية بنت الأولى.

(٢) مات بمصر سنة ٢٠٤، وقد ولد سنة ١٥٠ قيل ولده بغزة وقيل بعسقلان وقيل باليمن (انظر ترجمة وافية)
له في البداية والنهاية (١٠ / ٢٧٤).

(٣) عن طبقات الشافعية ١ / ١٨٦ وبالأصل: يوسف بن محمد.

أبو المزني (١)، وعبد الله بن الزبير الحميدي، والحسن بن محمد بن الصباح (٢) الزعفراني، والربيع بن سليمان المرادي (٣) و (٤) يوسف بن يحيى (٤) البويطي، وأبو ثور إبراهيم بن خالد البغدادي، و (٥) أحمد بن صالح (٥) المصري، وعبد الله بن صالح
الكاتب، والليث بن سعد، وأحمد بن عقيل الحجازي، والحارث بن مسكين صاحب مسائل مالك بن أنس، ويحيى بن سعيد القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، وإسحاق بن إبراهيم الحنظلي المروزي، وأبو عبيد (٦) القاسم بن سلام (٧)، فهؤلاء ممن قد ذكرهم محمد بن إبراهيم البوشنجي (٨) في شعره.
ثم رجعنا إلى أخبار الرشيد بن المهدي
رضي الله عنه
قال: ثم عقد الرشيد للفضل بن يحيى البرمكي عقدا وولاه أذربيجان وإرمينية، فخرج إليها الفضل في جيش عظيم حتى نزل برذعة، ثم خرج منها إلى مدينة الباب والأبواب، ثم خرج منها عازما إلى قلعة يقال لها حمزين، فحارب أهلها فلم يظفر منهم بشيء، وأقبل راجعا حتى صار إلى مدينة برذعة فأقام بها مدة يسيرة، ثم دعا برجل يقال له (٩) عمر بن أيوب الكناني (٩) فاستخلفه على عمله ومضى إلى العراق، ثم نزل (٩) عمر بن أيوب الكناني (٩) وولى مكانه أبا الصباح مولى الأشعريين. قال: وجعل أبو الصباح يجور على أهل إرمينية، فوثب عليه أهل برذعة فقتلوه وأقعدوا مكانه سعيد بن (١٠) محمد اللهبي.

---

(١) بالأصل (إبراهيم المزني) وما أثبت عن طبقات الشافعية ١ / ٢٣٨.
(٢) عن تهذيب التهذيب، وبالأصل: الصاح.
(٣) عن طبقات الشافعية وبالأصل: المرادني.
(٤ - ٤) عن طبقات الشافعية، وبالأصل: سليمان بن داود.
(٥ - ٥) بالأصل: الجارود بن أحمد.
(٦) بالأصل: أبو عبيدة.
(٧) بالأصل (سلامة).
(٨) بالأصل (سحبين).
(٩ - ٩) عن تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٢٦ وبالأصل (عمرو بن الوليد).
(١٠) بالأصل (أبي) وما أثبت عن اليعقوبي.

ذكر أبي مسلم الشاري وخروجه على الرشيد

قال: وخرج أبو مسلم الشاري على الرشيد وكان خروجه من مدينة البيلقان. فوجه إليه الرشيد برجل يقال له إسحاق بن مسلم العقيلي في خمسة آلاف فارس من أهل العراق، وبلغ ذلك أبا مسلم الشاري فزحف إلى إسحاق بن مسلم، حتى إذا وافاه بمدينة ورثان فالتقى القوم هنالك فاقتتلوا قتالا شديدا، فكانت الدائرة على إسحاق بن مسلم صاحب الرشيد فانهزم من بين يدي أبي مسلم الشاري هزيمة قبيحة. وبلغ ذلك الرشيد فبعث إليه برجل يقال له العباس بن جرير بن خالد القسري (١) فهزمه أبو مسلم الشاري أيضا، فوجه إليه الرشيد برجل يقال له معدان (٢) الحمصي فقتله أبو مسلم الشاري، ثم سار من موضعه ذلك إلى مدينة من مدائن إرمينية يقال له القسوى (٣)، فأخذها وجبى خراجها وفرقه على أصحابه، ثم سار منها إلى مدينة دبيل من بلاد إرمينية، فحاصرها أربعة أشهر فلم يقدر عليها، فأقبل راجعا إلى بلاد السجستان حتى صار إلى البيلقان فنزلها، ثم جعل يغير على البلاد ميمنة وميسرة فيقتل ويحرق وينهب.

قال: وبلغ ذلك الرشيد فوجه إليه ثلاث عساكر ثلاثين ألفا، منهم يحيى الحرشي (٤) في عشرة آلاف ويزيد بن مزيد (٥) الشيباني في عشرة آلاف. قال: فأقبل يحيى الحرشي (٥) في عشرة آلاف على طريق الجزيرة. قال: فأقبلت هذه العساكر من كل جانب، فمات قبل أن توافيه العساكر.

قال: فلما مات أبو مسلم الشاري قام بعده السكن بن موسى بن حيان البيلقاني، فخرج من مدينة البيلقان يريد لقاء يحيى الحرشي (٦) فلقيه ببلاد أذربيجان فقاتله هنالك، ثم انهزم السكن بن موسى وأخذ ابنه يقال له الخليل أسيرا، ومضى السكن بن موسى فيمن معه من الشراة يريد محاربة يزيد بن مزيد (٧) الشيباني فاستأمن

---

(١) في تاريخ اليعقوبي: العباس بن جرير بن يزيد بن جرير بن عبد الله البجلي.

(٢) عن تاريخ اليعقوبي وبالأصل: معمدان الحميصي.

(٣) كذا، ولم نعثر به.

(٤) عن اليعقوبي وبالأصل (بحير الحرسي).

(٥) عن فتوح البلدان ص ٢١٢ وبالأصل (يزيد).

(٦) بالأصل (ابن بحير الحرسي).

(٧) بالأصل (يزيد).

إليه فأمنه يزيد بن مزيد (١) وأصحابه. قال: وعزل الرشيد جميع من كان بإرمينية وأذربيجان، دعا سعيد بن سلم (٢) ابن قتيبة فولاه البلاد جميعها.

ذكر ولاية سعيد بن سلم بلاد إرمينية وما نزل بالمسلمين منه في ولايته

قال: فأقبل سعيد بن سل حتى نزل مدينة برذعة، ثم دعا برجل يقال له نصر بن عنان فولاه مدينة الباب والأبواب. قال: فأقبل نصر بن عنان حتى نزل مدينة الباب والأبواب وبالباب يومئذ رجل يقال له النجم بن هاشم (٣)، فأرسل إليه سعيد بن سلم رجلا يقال له الحارث مولى الفضل بن يحيى البرمكي إلى مدينة الباب ليجبي خراجها، قال: فقام أهل المدينة إلى نصر بن عنان فقالوا: أيها الأمير! إن مدينتنا هذه لم يؤخذ منها خراج قط لأنها في نحر العدو وأهلها يحاربون الخزر والأمير سعيد بن سلم (٤) قد وجه الحارث مولى الفضل بن يحيى البرمكي ليأخذ خراجنا فاكتب إليه كتابا في ذلك. فقال نصر بن عنان: إذا لا أكتب إليه كتابا في ذلك والرأي عندي أنكم تؤدون خراجكم، فإن أمير المؤمنين الرشيد لا يحتمل لاحد كثير الخراج! قال: فسكتوا عنه وخرجوا من عنده وصاروا إلى حيون (٥) بن النجم بن هاشم فاستشاروا في ذلك، فقال حيون: إن صاحب الخراج بعد ما وافاكم. فإذا تقارب منكم ومن أرضكم فذروني وإياه.

قال: وأقبل الحارث الفضل بن يحيى يريد مدينة الباب والأبواب ليأخذوا إليه خراجها، فخرجوا إليه في جماعة من أصحابه فحاربه وقتل من أصحابه من قتل، وأخذ ما كان معه من خيل ودواب وأثقال ولم يتركه يدنو من المدينة.

قال: فكتب الحارثي مولى الفضل بن يحيى كتابا إلى سعيد بن سلم فخبره بذلك، فلما قرأ سعيد الكتاب أرسل النجم بن هاشم فخبره بما فعل ابنه حيون بصاحب الخراج. قال: فحلف النجم بن هاشم أنه لا يعلم بشيء من ذلك. قال:

---

(١) بالأصل: (يزيد.

(٢) بالأصل (مسلم) وما أثبت عن الطبري ٨ / ٢٧٠ وابن الأثير ٤ / ٥٨ وفي فتوح البلدان: (سالم) وقد صححت (سلم) في كل مواضع الخبر.

(٣) في الطبري ٨ / ٢٧٠ وابن الأثير ٤ / ٥٨ المنجم السلمي.

(٤) بالأصل (مسلمة).

(٥) عن تاريخ اليعقوبي وبالأصل (حيان).

فغضب سعيد بن سلم ثم عمد إلى النجم بن هاشم فقيده وحبسه في سجن برذعة. وبلغ ذلك حيون بن النجم فوثب على نصر بن عنان فحبسه كما حبس أباه ببرذعة.
قال: وبلغ ذلك سعيد بن سلم فدعا بالنجم بن هاشم وضرب عنقه ووجه برأسه إلى ابنه حيون بن النجم، قال: فوثب حيون بن النجم على نصر بن عنان العامل فأخرجه من السجن وضرب عنقه وبعث برأسه إلى سعيد بن سلم.
قال: فاشتد غضب سعيد بن سلم من ذلك، ثم نادى في أصحابه وخرج من مدينة برذعة في عسكر لجب يريد محاربة حيون بن النجم. قال: وبلغ ذلك حيون. فأرسل إلى خاقان ملك الخزر بهدايا قيمتها مائة ألف درهم، وكتب إليه يسأله أن يصير إليه حتى يغنمه بلاد الاسلام. قال: وأقبل خاقان في أربعين ألف فارس من الخزر والطراخنة إلى مدينة الباب والأبواب ليأخذوها وينفذوا إلى بلاد الاسلام. فقام أهل المدينة إلى حيون بن النجم فقالوا: أيها الأمير! الله الله فينا! فإنه إن يدخل خاقان ملك الخزر مع جيشه إلى مدينتنا هذه فقد هلكنا وهلكت معنا، فقال حيون: صدقتم لا عليكم استقروا في مدينتكم أنتم، ثم أقبل خاقان ملك الخزر إلى حيون بن النجم، فقال: أيها الأمير! مرني بأمرك! فقال حيون: أيها الملك! ناد في أصحابك أن يتبعوني، ثم جاء بهم حيون بن النجم إلى جانب الصور من ناحية الأبواب فهدموا منه فجة، وتقدموا إلى بلاد الاسلام (١). قال: وكان سعيد بن سلم ومن معه قد تقاربوا إلى مدينة الباب والأبواب، فلما بلغه ذلك ولى هاربا بين يدي الخزر حتى صار إلى برذعة. قال: ووقع خاقان وأصحابه في بلاد الاسلام فقتلوا من المسلمين مقتلة عظيمة وسبوا منهم مائة ألف ما بين رجل وامرأة وصبي، ثم انصرفوا إلى بلادهم (٢)، وانصرف حيون بن النجم إلى مدينة الباب والأبواب.
قال: وبلغ ذلك الرشيد فاغتم غما شديدا لما قد نزل بالمسلمين، ثم أرسل إلى سعيد وعزله عن البلاد، وولى مكانه علي بن عيسى بن ماهان (٣) فلم يقم بأمر البلاد كما يحب. فعزله الرشيد وولى مكانه يزيد بن مزيد (٤) الشيباني، فأقبل يزيد

---

(١) في الطبري ٨ / ٢٧٠: دخل ابنه بلاد الخزر، فاستجاشهم على سعيد، فدخلوا أرمينية من الثلمة.
(٢) في الطبري: أقاموا فيها سبعين يوما.
(٣) عن اليعقوبي، وبالأصل (موسى الهاشمي) وفي الطبري ٨ / ٢٧٠ وابن الأثير ٤ / ٥٨: فوجه هارون خزيمة بن خازم ويزيد بن مزيد إلى أرمينية حتى أصلحا ما أفسد سعيد.
(٤) عن الطبري وبالأصل: (يزيد).

حتى دخل إرمينية، فنزل مدينة برذعة وأمن الأسود والأبيض وسكن الناس، ثم بعث إلى الحارث مولى الفضل بن يحيى ومن كان معه من شيعة سعيد بن سلم فكبلهم بالحديد وحملهم إلى الرشيد، ثم إنه كتب إلى أهل الأبواب وأعطاهم الرضى وأصلح البلاد، فأحبه الصغير والكبير، ولم يزل مقيما ببرذعة إلى أن أدركه الموت فمات بها، فولى مكانه أسد بن يزيد، ثم عزله أيضا وولى مكانه خزيمة بن خازم التميمي. قال: فأقبل خزيمة بن خازم حتى نزل برذعة فأصلح أمور الناس. ثم صار إلى الأبواب فحمل الفساق والدعار ومن لا خير فيه إلى باب الرشيد، وأقام خزيمة بن خازم في إرمينية ولم يزل مقيما فيها والناس عنه را ضون وقد أصلح أحوالهم.

ذكر أخبار الرشيد التي كانت منه في آخر عمره

قال بكر بن إسماعيل بن عروان: كان الرشيد خليفة يحب أن يسمع الاخبار الحسنة والاخبار الغريبة ويقتدي بأهل الاخبار من الملوك والأئمة من قبله، فأرسل إلى بعض الشعراء ذات يوم فدعاه - وأظنه سلم (١) الخاسر أو غيره، فقال: ويحك يا فلان! من الذي يقول هذه الأبيات:

وكنت إذا حاولت أمرا رميته * بجرمى حتى يبلغا منتهاهما
وكنت إذا ما استصعب الألف والنوى * علي فله نصان (٢) جميعا هواهما
عمدت إلى (٣) دار المغبة منهما * وخليت نفسي من طلاب سداهما

قال فقال له الشاعر: يا أمير المؤمنين! هذا لشماخ بن ضرار (٤) فقال الرشيد: قاتله الله ما أرصن قوله وأتقن شعره. قال: ثم أمسك ساعة وأرسل إلى الأصمعي فدعاه وسأله عن هذه الأبيات. قال: فأنشده الأصمعي عن آخرها، قال الأصمعي فقال الرشيد: أحسنت اجلس! فجلست وهو ساكت عني لا يتكلم بشيء. وقد أزق وقلق قلقا شديدا، فجعل يقعد مرة ويتكئ أخرى، ثم أنشأ يقول أبياتا مطلعها:

---

(١) بالأصل (سلمة) وما أثبت عن البداية والنهاية ١٠ / ٢٠٣ وهو سلم بن عمرو بن حماد بن عطاء. قيل له الخاصر لأنه باع مصحفا واشترى به ديوان شعر امرئ القريس....
وقيل غير ذلك (الأغاني ١٩ / ٣٦١ وفيات الأعيان ٢ / ٣٥٠).
(٢) كذا بالأصل بدون نقط.
(٣) بالأصل (إلا).
(٤) بالأصل (ضراب) خطأ.

إذا عزمت على أمر بعاجله * إن الرشيد الذي بالامر يعتصم
إلى آخرها (١).
قال: ثم رفع الرشيد رأسه إلى خادم له فقال: علي بأبي الفضل (٢) جعفر بن يحيى! فمضى الخادم إليه فأتى به. فلما دخل وسلم وأخذ مجلسه قال: يا أبا الفضل! إن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات من غير وصية والاسلام جذع وكلمة العرب
مجتمعة، فاجتمع الناس على أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فما لبث أن ارتد عامة العرب واختلف أكثرهم، فقاتل بمسلمها مرتدها. وقهر بمطيعها عاصيها، وإن أبا بكر رضي الله عنه جعل الامر إلى عمر فسلمت له (٣) العرب شورى، فكان ما قد بلغك من أكثره والأمور التي قد عدلت الأمة عن جهاتها وصارت هذه الأمور إلى غير أهلها وولاتها، وقد عنيت بصحيح (٤) هذه الأمور وتولية هذا العهد، وقد أحببت أن يكون هذا الامر فيمن أرضى سيرته وأحمد طريقته، وبنو هاشم ما تكون إلى ابني محمد بأهوائهم وفيه ما فيهم (٥) من الانقياد لهواه، والتبذير (٦) لما حوت يداه، (٧) ومشاركة النساء والإماء في رأيه (٧)، وابني عبد الله المرضي الطريقة الأصيل الرأي
الموثوق (٨) به في كل الأمور، فإن أنا ملت إلى ابني عبد الله أسخطت بني هاشم، وإن أفردت ابني محمدا بهذا الامر لن آمن تخليط الرعية وضعفه عن سياستها، وقد دعوتك لهذا الامر فأشر علي بمشورة يعم فضلها أو نفعها لأنك مبارك الرأي حسن الروية. قال فقال جعفر بن يحيى (٩): يا أمير المؤمنين! إن كل زلة مستقالة إلا هذا

---

(١) في مروج الذهب ٣ / ٤٣١ ورد هذا الخبر وفيه أن الرشيد أنشأ يقول:
قلد أمور عباد الله ذائقة * موحد الرأي لا نكس ولا برم
واترك مقالة ذوي خطل * لا يفهمون إذا ما معشر فهمو
(٢) في مروج الذهب ثم قال لمسرور: علي بيحيى (وكان يكنى بأبي الفضل).
(٣) كذا، وفي العبارة سقط، وتمام العبارة في مروج الذهب: فسلمت الأمة له، ورضيت بخلافته، ثم صيرها شورى....
(٤) في مروج الذهب: وقد عنيت بتصحيح هذا العهد.
(٥) في مروج الذهب: وفيه ما فيه.
(٦) عن مروج الذهب وبالأصل (والتدبر).
(٧ - ٧) عن مروج الذهب، وبالأصل): (ساركم الفسا وإلا ما فيه رأيه).
(٨) عن مروج الذهب، بالأصل (الموزون).
(٩) كذا، وفي مروج الذهب أنه دعا بيحيى بن خالد والد جعفر.

العهد، فإن الزلة فيه لا تدرك (١)، والخطر (٢) فيه غير مأمون، والنظر في هذا الامر روية ومجلس غير هذا. قال الأصمعي: فعلمت أنه يريد الخلو، فوثبت وخرجت من المجلس. فلم يزالا في مناجاة ومناظرة إلى أن مضى من الليل أكثره، ثم افترقا على ما اجتمعا عليه من الخلافة وأنها تكون من بعده لابنه محمد ابن زبيدة، ومن بعد محمد لابنه عبد الله.

قال: وبلغ الخبر محمدا فأقبل حتى دخل على الرشيد فقال: يا أمير المؤمنين! إنك كنت وعدتني أن تعقد لي هذه البيعة وولاية العهد، لما رجوت في ذلك أن يكون الخيرة لأمير المؤمنين أبقاه الله أن يشرك معي أخي عبد الله في أمري من غير أن يبلو مني شيئا أصنعه ولا وهنا عن حرمة ولا ضعفا عن جهاد، وأخي عبد الله عندي كبعض إخوتي أرى له ما لهم وأحفظ له ما أحفظ لهم، ولو لم يكن أمير المؤمنين أبقاه الله ينظر في ذلك! فقال له الرشيد: يا ابني! قد سمعت كلامك ولا آمن عليكما حول الزمان ومشي الناس إليكما وتفريق كلمتكما، فلا تعاودني في مثل هذا الامر. قال: فأمسك محمد وعلم أنه لا سبيل لمراجعته.

قال: وبلغ ذلك زبيدة فأقبلت حتى دخلت على الرشيد فقالت (٣): والله ما أنصفت ابني محمدا! وليته العراق فأعريته (٤) من العدد والقواد، ووليت عبد الله الجبال وبلاد خراسان وجعلت له الأموال والسلاح والقواد، فقال لها الرشيد: وما أنت وتمييز الاعمال (٥)! ومع هذا فإني أتخوف ابنك على عبد الله ولا أتخوف عبد الله

على ابنك! قال: فسكتت زبيدة وانصرفت إلى منزلها.

وهذه أخبار حسان من أخبار الرشيد

كتبتها عن بعض أهل الأدب وألحقتها بكتابك لتنظر فيها فإنها أخبار منتخبة.

قال أبو عبد الله البجلي: حدثني يحيى بن زكريا النحوي قال: حدثني

---

(١) مروج الذهب: لا تستدرك.

(٢) مروج الذهب: والخطأ.

(٣) خبر زبيدة في مروج الذهب ٣ / ٤٣٢.

(٤) أعريته: أبعدته.

(٥) زيد في مروج الذهب: إني وليت ابنك السلم، وعبد الله الحرب، وصاحب الحرب أحوج إلى الرجال من المسالم.

علي بن حمزة الكسائي قال (١): دخلت على أمير المؤمنين الرشيد بعد ثلاث عشرة سنة من خلافته، فلما قضيت حق التسليم أمرني بالجلوس فقال: يا علي! فقلت: لبيك يا أمير المؤمنين! فقال: ألا تحب أن ترى عبد الله ومحمدا؟ فقلت: ما أشوقني إلى معاينة ذلك! قال: فأمر بعض الخدم بإحضارهما، قال: فأقبلا كأنهما كوكبا وقد غضا أبصارهما وقاربا بخطوهما حتى وقفا على باب المجلس ثم سلما على [أبيهما] (٢) بالخلافة ودعوا له بأحسن دعاء وألطفه.

فأمرهما بالدنو منه، ثم أمرني أن استقرئهما بأبواب من النحو، فما سألتهما عن شيء إلا وأحسنا الجواب والخروج منه، فسر الرشيد بذلك سرورا شديدا، فقال: يا علي! كيف ترى مذهبهما وجوابهما؟ فقلت: إن أذن لي أمير المؤمنين قلت! فقال: قل ما تشاء، فأنشأت هذه الأبيات:

أرى قمري أفق وفرعي بشامة (٣) * يزينها فرع (٤) كريم ومحتد
سليلي أمير المؤمنين وحائزي * مواريث ما أبقى الأمين محمد
يجزان أعناق النفاق بسلمة * فودهما عضب وحزم مهند

قال ثم قلت: يا أمير المؤمنين! هما فرعان زكي أصلهما، وطاب (٥) مغرسهما، فمتع الله أمير المؤمنين بهما وآنس جميع الأمة ببقائه وبقائهما!

ثم قلت لهما: هل ترويان شيئا من الشعر؟

فقالا: نعم. فاستنشدتهما، فأنشدني محمد هذه الأبيات:

وإني لعف الفقر مشترك الغنى * وتارك شكل (٦) لا يوافقه شكلي
وشكلي شكل لا يقوم لمثله * من الناس إلا كل ذي سعة مثلي
ولي نيقة في البذل والمجد لم يكبر * تأنقها فيما مضى (٧) أحد قبلي

---

(١) خبر الرشيد مع الكسائي في مروج الذهب ٣ / ٤٢٨.
(٢) عن مروج الذهب، وبالأصل (باب الخلافة).
(٣) في مروج الذهب:
أرى قمري مجد وفرعي خلافة
(٤) في مروج الذهب: عرق.
(٥) عن مروج الذهب، وبالأصل (صلب).
(٦) عن مروج الذهب ٣ / ٤٢٩ وبالأصل: شكلا.
(٧) بالأصل: (ببائعها شيء بها) وما أثبت عن سمط النجوم العوالي ٣ / ٢٨٩.

وأجعل مالي دون عرضي جنة * لنفسي (١) وأستغني (٢) بما كان من فضلي
قال: ثم أنشد عبد الله هذه الأبيات يقول:
بكرت تلومك مطلع الفجر * ولقد تلوم بغير ما تدري
ما إن جعلت بها وقد عتيت * أن لا تحكم طائعا أمري
ملك الأمور علي مقتدر * يعطي إذا ما شاء (٣) من يسر
ولرب مغتبط تمد له (٤) * ومفجع (٥) بنوائب الدهر
ومكاشح لي قد مددت له * نحرا بلا ضرع ولا غمر
حتى يقول لنفسه لهف * في أي مذهب غاية أجري
ويرى قناتي حين يغمزها (٦) * غمز الثقاف بطيئة الكسر (٧)
قال: فقلت: يا أمير المؤمنين! ما رأيت أحدا من أبناء الخلافة (٨) ومن معادن النبوة كأغصان هذه الشجرة الزاكية ولا أحسن ألفاظا ولا أشد اقتدارا منهما على (٩) ما
قد تحفظا ورويا، فأسأل الله أن يزيد [بهما] الاسلام تأييدا وعزا، وأن يدخل بهما على أهل الترك قال: فأمن الرشيد على دعائي ثم قبضهما إلى أن رأيت دموعه تجري على صدره، ثم أمرهما فذهبا.
وأقبل علينا وقال: كأنكما بهما وقد (١٠) طلع نجم السماء ونزل مقادير السماء، وبلغ الكتاب أجله، وانتهى الامر إلى وقته، وقد تشتت أمراهما واختلفت كلمتاهما وأظهرت عداوتهما وانقطعت قرائن الرحمة والرأفة منهما، حتى تسفك بينهما الدماء وتهتك بهما ستور النساء ويكثر بينهما القتلى ويتمنى كثير من الاحياء أنهما كانا بمنزلة

---

(١) عن مروج الذهب، وبالأصل: ليقيني.
(٢) في مروج الذهب: ومفضال.
(٣) عن مروج الذهب ٣ / ٤٢٩ وبالأصل (يشاء).
(٤) في مروج الذهب: مغتبط بمرزئة.
(٥) عن مروج الذهب وبالأصل: وقح.
(٦) مروج الذهب: يغمدها.
(٧) عن مروج الذهب، وبالأصل: نظمه عند النفاق اليسرى.
(٨) مروج الذهب: الخلفاء.
(٩) مروج الذهب: على تأدية ما حفظا منهما.
(١٠) مروج الذهب: وقد حم القضاء.

فقلت: يا أمير المؤمنين! هذا الخبر في مولدهما أو أمر وقع لأمير المؤمنين في أمرهما؟ فقال: بل بأثر واحد حملته العلماء عن الأوصياء. والأوصياء حملوه عن الأنبياء عليهم السلام.

وهذا خبر آخر حسن

قال الهيثم بن عدي: أخبرني خلف الأحمر النحوي (١): قال بعث أمير المؤمنين هارون الرشيد لتهذيب (٢) ابنه محمد، فلما دخلت عليه قال: يا أحمر! إن أمير المؤمنين دفع إليك مهجة قلبه وثمرة فؤاده (٣) وجعل يدك فيه مبسوطة ومقالتك فيه مصدقة. فكن له بحيث وضعك فيه أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وروه الشعر وفهمه السنن وعلمه الفرائض وبصره مواضع الكلام، ومره بالرزانة والاقتصاد في نظره، وامنعه الضحك إلا في وقته، وجده (٤) بتعظيم بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه (٥) قال فقلت: نعم يا أمير المؤمنين! لا أتعدى أمرك فيه وأكون له على ما أمرتني.

قال: وكنت كثيرا ما أشد عليه في التأديب وأمنعه الساعات التي يتفرغ فيها للعب، فشكى ذلك إلى خالصة جارية زبيدة. قال: فجاءتني خالصة ذات يوم برسالة من أمه زبيدة بالكف عنه وأن أجعل له وقتا يرتع فيه، قال: فقلت لها: إن أمير المؤمنين في عظم قدره لا يحتمل على التقصير ولا يرضى منه بالزلل والمنطق والجهل بشرائع الدين والسنن والغفلة عن الأمور التي فيها قوام السلطان وإحكام سياسة الرعية. فقالت خالصة: صدقت يا أحمر! غير أنها والدة ولا تملك نفسها ولا تقدر على كف إشفاقها عليه.

خبر خالصة وحديثها للأحمر

فقالت خالصة: يا أحمر! حدثتني السيدة زبيدة بنت جعفر بن المنصور أنها

---

(١) خبر الأحمر النحوي ووصية الرشيد له في مروج الذهب ٣ / ٤٣٠ - ٤٣١.

(٢) مروج الذهب: لتأديب.

(٣) مروج الذهب: مهجة نفسه، وثمرة فؤاده.

(٤) مروج الذهب: وخذه.

(٥) زيد في مروج الذهب: ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم منها فائدة تفيد إياها، من غير أن تخرق به فتميت ذهنه، ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة.

رأت (١) في الليلة التي حملت بمحمد كأن ثلاث نسوة قد أقبلن فوصلن إليها، فقعد ثنتان عن يمينها وواحدة عن شمالها فأمرت واحدة منهن يدها على بطنها وقالت: ملك جزل، عظيم البذل، ثقيل الحمل، نكد الفعل، فقالت الأخرى (٢): ملك غمر، قصير العمر، سليم الصدر، منهتك الستر، وقالت الأخرى: ملك قصاف، عظيم الاتلاف (٣)، قليل الانصاف، كثير الخلاف. قالت زبيدة: فانتبهت وأنا فزعة مرعوبة لما رأيت، فلم أر هؤلاء النسوة حتى كانت الليلة التي وضعت فيها فأتينني في منامي في الزي الذي رأيتهن فيه، فقعدن عنده واطلعن في وجهه. ثم قالت واحدة منهن: شجرة نضرة (٤)، وريحانة خضرة، وروضة زاهرة، [ثم قالت الثانية: عين غدقة] (٥) قليل بقاءها سريع فناءها، عجل ذهابها، فقالت الأخرى: سفيه عارم، طلاب المغارم، جري على العظائم، جسور على المآثم، فقالت الأخرى: عدو لنفسه، وضعيف [في -] (٦) بطشه، سريع [إلى -] (٦) غشه. قالت زبيدة: فانتبهت مرعوبة وقلت: لعل هذا مما يطرق النائم، حتى إذا تم رضاعه أتين ثلاثتهن كما رأيتهن حتى قعدن عند رأسه، فقالت واحدة منهن: ملك جبار، متلاف غدار (٧)، بعيد الآثار، كثير العثار، قالت الأخرى: ملك (٨) مخصوم، محارب مهزوم، راغب محروم، سقيم منهوم (٩)، قالت الأخرى (١٠): احفروا قبره، هيئوا أمره، وقربوا الكنانة، شقوا أكفانه، فإن موته خير من حياته.

ثم قالت خالصة: ويحك يا أحمر! وقد بعثت السيدة زبيدة إلى المنجمين ومن يبصر تعبير الرؤيا فقصت عليهم رؤياها، فكانوا يبشرونها بطول عمره ويعدونها ببقائه، وقلبها كثير الحذر عليه لما رأت في منامها. قال: ثم بكت خالصة

---

(١) الخبر في مروج الذهب ونسبه إلى جماعة من الأخباريين وممن عني بأخبار العباسيين كالمدائني والعتبي وغيرهما. ٣ / ٤٧٤.

(٢) في مروج الذهب: ملك ناقص الجد، مغلول الحد، ممذوق الود، تجور أحكامه، وتخونه أيامه.

(٣) مروج الذهب: (الايلاف) والقصاف: كثير اللهو والشراب والمجون.

(٤) عن مروج الذهب، وبالأصل (نظرة).

(٥) زيادة عن مروج الذهب.

(٦) زيادة عن مروج الذهب.

(٧) مروج الذهب: مهذار.

(٨) مروج الذهب: ناطق.

(٩) مروج الذهب: شقي مهموم.

(١٠) مروج الذهب: احفروا قبره، ثم شقوا خده، وقدموا أكفانه، وأعدوا جهازه فإن موته خير من حياته.

وقالت (١): ويحك يا أحمر! وهل يدفع الاشفاق والحذار! وهل يمنع الاحتراز واقع القدر! هل يقدر الحاذر أن يدفع عن أحبابه [الاجل] (٢).
وهذا خبر حسن
قال: وقال عثمان بن سليم: حدثني العباس بن الفضل قال: كان
أمير المؤمنين الرشيد قد جعل ابنه محمدا في حجر الفضل بن يحيى وأمره أن يبالغ في أمره وتأديبه وأن يدخل العلماء والفقهاء عليه. قال: فسمعت الفضل بن يحيى ذات يوم يقول الهيثم بن بشير الواسطي إذا دخلت اليوم فأقسم على ولي العهد محمد الأمين فليكن أكثر ما تحدثه به عن سفك الدماء، فإني أحب أن يشرب الله قلبه للذمة لها وأن يلهمه للعفاف عن سفكها، فإني خبرني بعض العلماء عن عامة من روى الحديث وطلب العلم أنهم وجدوا في مأثور رواياتهم والكتب التي يتدارسونها على أئمتهم أن الأمير الذي ينشر العدل ويحيي به السنة ويميت به الجور، فإن الله تبارك وتعالى قد جمع فيه اسمي نبيه صلى الله عليه وسلم اسمين معظمين محمدا وأمينا، لان قريشا
كانت تسمي رسول الله صلى الله عليه وسلم أمينا قبل أن ينزل الوحي. قال: فكان الرشيد قد ألزم
العناية بابنه محمد خاصة حتى كان يفتقده في أحواله، ثم إنه وضع عليه العيون ليأتوه بأخباره وأخبار من يسامره من بني هاشم أهل من أهل الأدب وغيرهم، قال: فاجتمع ذات يوم عند محمد الأمين فلم يشعر إلا بحركة وطء أمير المؤمنين فجلس على سرير كان في صدر الدار، ثم أقبل على محمد فقال: يا حبيبي! ما لي لا أرى عندك إلا مواليك! قال: ثم سار بيده إلى ابن أم عبيدة، فقام حتى وقف بين يديه، فقال:
هل تروي شيئا من الشعر؟ قال: نعم، هذه الأبيات:
كأن فاها لم يؤنسها في * ليلتها موهنا ولم ينم
بيضاء من بني حشوم * بيضاء من سحب ما بالعلم
دع عنك سلمى إذ فات مطلبها * واذكر خليلتك من بني الحكم
ما أعطياني إلا سألتهما * ألا وإني لحاجري كرم
إلى متى لم تكن عطيته * عندي بما قد فعلت محتشم
قال: فصاح الرشيد: اسكت يا بن الخنا! فوالله إن حمقك لشبيه بحمق

---

(١) نسب القول في مروج الذهب إلى زبيدة أم جعفر.
(٢) زيادة عن مروج الذهب.

أبيك! قال: ثم أمر سعيد بن جابر بالقيام إليه واستنشده، فأنشد سعيد بن جابر هذه الأبيات:

لا أرى مثل ابن بشر لازمة * أناخت ولا ضيف من الناس نازل
إليك ابن بشر عادة يتبعنها * تباري رؤوس اليعملات الزوائل
ولم يك من ماض من الناس مثله * ولا ما يرجى في بطون الحوامل
ولكن حواها من سماطيط عادة * خلال الأعادي دارس غير مائل
فورثها بشرا بنيه فأصبحت * لهم نفلا من طيبات الأوائل

قال فقال الرشيد: والله ما عديت عقل من آذاك. قال العباس بن الفضل: ثم أمرني بالقيام فقمت على هيبة حتى وقفت بين يديه فقال: أنشدني! فأنشدته هذه الأبيات:

تسربل هارون الخلافة فالتقت * عليه عراها واستهلت فصولها
إذا أمة الاسلام ألقت قناعها * بدارجة الاحداث بان مخيلها
فحلى بها هارون والناس بعده * لماضية الاحكام سهل سبيلها
مكائد ترميهم بنيل مكانها * سهام المنايا في يديه سحيلها

قال: فالتفت الرشيد إلى ابنه محمد وقال: يا بني! إذا استخدمت أحدا فاستخدم أهل العقل والأدب فإنك إن استخدمتهم سروك، وإن استعنتهم أعانوك.

قال العباس بن الفضل: والله ما زلت أتعرف قدري عند الأمير من ذلك اليوم إلى أن فرق الموت بيننا.

ثم رجعنا إلى الخبر الأول من أمر الرشيد
وابنيه محمد وعبد الله

قال: ثم إن الرشيد عزم بعد ذلك على الحج لكي يأخذ البيعة لأولاده جميعا محمد وعبد الله في جماعة ممن يحضر الموسم، فحج بالناس في سنة [ست و -] (١) ثمانين ومائة، فلما صار بالكوفة أمر لهم بعطاءين، فلما دخل إلى المدينة أمر لهم ثلاثة أعطية (٢)، فلما صار إلى مكة فرق الجوائز والصلات بها، ثم إنه أخذ البيعة لمحمد وعبد الله عند البيت الحرام، قال: ثم إن الرشيد استخلفهما من بعد

---

(١) زيادة عن الطبري وابن الأثير ومروج الذهب.
(٢) في ابن الأثير ٤ / ٦٣ هو عطاء، ومحمد الأمين عطاء، وعبد الله المأمون عطاء.

بحضرة أهل الموسم وبني هاشم وسائر قريش. فقال شيخ من بني هاشم: يا أمير المؤمنين! هذا ابنك محمد ولي عهدك من بعدك، وهذا أخوه عبد الله من بعده، فما بال ابنك القاسم؟ قال: فتبسم الرشيد ثم قال: يا شيخ! فهل سمعت فيه بشيء؟ فقال: أما بعينه فلا، ولكنني سمعت ابن أخي الزهري يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

يا بن عباس! الثالث من ولد العباس من ولدك يملك الأرض، ويركب الحمار، ويلبس الصوف، ويعود المرضى، ويشهد الجنائز، ويظهر العدل. قال: فسر الرشيد بذلك سرورا شديدا ثم لم يبرح حتى جعل [القاسم] (١) أيضا ولي العهد من بعد إخوته وسماه المؤتمن، فكان محمد الأمين وعبد الله المأمون والقاسم المؤتمن. ثم كتب بذلك كتابا مؤكدا (٢)، وأشهد أهل الموسم على ما كتب، وأفرد ابنه محمدا بالامر، وجعل عبد الله من بعده.

ثم انصرف إلى العراق فدعا بابنه المأمون وعقد له عقدا بيده وولاه من باب الري إلى أقصى خراسان وسجستان، وأفرده بها في حياته وبعد موته، وأخذ على ابنه العهود والمواثيق أنه لا يعزله عنها ولا يبعث إليه كتابا، وكتب أيضا له بالعراق كتابا مؤكدا وثيقا على محمد وعبد الله، وأمر المأمون له بالسمع والطاعة لأخيه الأمين، وأن يملك منهما صاحبه بما يحتاج إليه من خيل ورجل عند حاجته إليه، وضم إليه قواد معروفون هرثمة بن أعين والوليد بن المسيب وعبد الله بن مالك ويحيى بن معاذ وغيرهم من القواد، ثم إنه قسم بينهم الأموال والسلاح وأخذ عليهما العهود والمواثيق بالوفاء بما شرطا على أنفسهما (٣). وفي تلك السنة قتل جعفر بن يحيى البرمكي، وقد أعيا قتله من حضر فكيف من غاب.

ذكر خبر الأصمعي في قتل جعفر
ابن يحيى البرمكي

قال العباس بن الفضل: سمعت الأصمعي يقول (٤): بعث إلي الرشيد في ليلة

---

(١) زيادة عن ابن الأثير.

(٢) في ابن الأثير: كتب كتابا أشهد فيه على محمد الأمين... وكتب كتابا للمأمون أشهدهم عليه فيه بالوفاء للأمين
وعلق الكتابين في الكعبة. انظر نسخة الكتابين في الطبري ١٠ / ٧٣ واليعقوبي ٢ / ٤١٦.

(٣) انظر الطبري ١٠ / ٧٣ وما بعدها.

(٤) في مروج الذهب ٣ / ٤٦٥ وقال الأصمعي: وجه إلي الرشيد في تلك الليلة، فلما أدخلت إليه قال: يا =

يرتاب فيها البريء، فأردت الدخول عليه فمنعت من ذلك وأجلت فدخلني من ذلك رعب شديد، وجعلت أتذكر ذنبا فلا أجده، فلما دخلت عليه سلمت وهو رام بجهمته على قضيب كان في يده، فرفع رأسه إلي وقال: يا عبد الملك! من الذي يقول هذه الأبيات:

لو أن جعفر خاف (١) أسباب الورى * لنجا بمهجته طمر ملجم (٢)
ولكان من حذر المنون بحيث لا يربو اللحاق به العقاب القشعم (٣)
لكنه لما تقارب يومه (٤) * لم يدفع الحدثان منه منجم

قال فقلت: لا أعرف هذه الأبيات، قال: فالتفت إذا إلى ورائك! هل تعرف هذا الرأس؟ فإذا بطشت من فضة وفيه رأس جعفر بن يحيى البرمكي، فقلت: والله لا أعرف هذا الرأس رأس من في هذا الوقت، فقال: بلى هو رأس من كنا في ذكره، والله ما قتلته حتى استخرت الله تعالى فيه مرارا. قال: فخرجت من عنده وقد أفرج روعي حتى صرت إلى منزلي وعلمت أن الأبيات التي أنشدها له لا لغيره.

قال: فلما كان من الغد نظرت إلى الناس يتعادون إلى خشبة وعليها جثة.

قال: فقال إسماعيل بن غزوان: حدثني أبو عبد الله المروزي - وكان متولي أمر الأسواق - قال: لما قتل جعفر بن يحيى لم يترك أحد من البرامكة إلا أخذه واستوثق منهم بالحديد وحبسهم، ثم إنه مضى إلى الري فأقام بها ما شاء الله أن يقيم، ثم إنه ولى على كور خراسان من أراد من القواد وولى علي بن عيسى على جميع الامراء وجعله خليفة للمأمون، ثم انصرف راجعا يريد العراق فأدركه الأضحى في الطريق فنزل وضحى في موضع يقال له قصر اللصوص، ثم رحل من هنالك حتى صار إلى بغداد، فلما بلغ الجسر نظر إلى جعفر بن يحيى على خشبة فأمر بإحراقه فأحرق، فأقام بها ما أحب الله أن يقيم، ثم إنه مضى يريد الرقة وقد حمل معه يحيى بن خالد وابنه الفضل وموسى ومحمدا أخوي الفضل. قال: فبينما هو يسير ذات ليلة مقمرة

= أصمعي: قد قلت شعرا فاسمعه، قلت: نعم يا أمير المؤمنين، فأنشد:

(١) مروج الذهب: هاب.

(٢) الطمر: الفرس الجواد المستعد للوثوب.

(٣) في مروج الذهب:
يسمو إليه به العقاب القشعم

(٤) مروج الذهب: وقته.

باردة فقال: علي بالفضل بن يحيى الساعة! قال: وكان الفضل عديل أبيه يحيى في المحل، فلما دعا به أيس من الحياة وأيس الناس منه، ثم أنزل وعليه قميص رقيق ودراعة طاق فحمل على بغلة، وقد أوقفت عمارية الرشيد، فتقدم إليه الفضل على البغل، فقال له الرشيد: يا فضل! فقال: لبيك يا أمير المؤمنين! فقال: ادن مني! قال: فدنا منه، فقال: هات يدك! فمد يده، فوضع الرشيد في يده درهما واحدا (١)، ثم قال: إني كنت قد حلفت أفقرك حتى تحتاج إلى درهم، فقال الفضل: فقد بر الله قسم أمير المؤمنين! قال: وفر الرشيد كلامه لا يرتفع، فعلم أن ذلك من البرد فجعل عليه دراعة كانت عليه مبطنة فلبسها، قال: ثم أمر بفك قيوده ورده إلى محله، ثم سار حتى دخل الرقة فنزلها. وبعثت أم الفضل بن يحيى إلى مسرور الخادم فدعته، ثم قالت: إني عندي شيئا أريد أن أبعث به إلى أمير المؤمنين ولا ينظر إليه غيره. قال: فأقبل مسرور الخادم فاستأذنه في ذلك فأذن له، فجاءه من عندها بسفط لطيف مختوم هندي وعليه قفل من ذهب، فجاء به حتى وضعه بين يديه فأمر بفتحه ففتح، فإذا فيه سرته وقميص ولادته وأمور مما يتولى الحواضن، فدمعت عينا الرشيد ثم قال: ليس إلى خلاصه سبيل، ورد السفط إليها وأرسل إليها عشرة آلاف درهم وأمرها أن تزور ابنها في الحبس في أي وقت أحبت! فيقال: إن يحيى بن خالد كان نائما فجاؤوا ليهنئوه فإذا هو مات (٢). والفضل أيضا ضرب بالسياط حتى مات (٣).

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: حدثني عمرو بن محمد النخعي الرقي وكان أبوه وعمه ممن يلعبان بالشطرنج، قال: كنت عند أمير المؤمنين الرشيد بالرقة ألعب بالشطرنج، فلعبت معه ذات يوم وليلة على شاطئ الفرات والشمعة بين يديه، فارتفع عليه شاه رخ ضربته إياها فمثلت بيت شعر لأبي كبير (٤) الهذيلي حيث يقول:

تلمظ (٥) السيف من شوق إلى النفس * فالسيف يلحظ والاقدار تنتظر

قال: والله ما قلت هذا البيت تعمدا مني لشيء، وإنما جرى على لساني،

---

(١) الأصل: درهم واحد.

(٢) مات سنة ١٩٠ في المحرم، وقيل مات سنة ١٨٩ ه.

(٣) مات سنة ١٩٣ ه وهو في حبسه بالرقة.

(٤) بالأصل (لأبي كثير) والصواب أثبت عن ديوان الهذليين.

عن الطبري ٨ / ٢٩٧ وبالأصل (تلمض).

فقال الرشيد: يا نخعي! أعد هذا البيت! فأعدته، ثم قال: يا مسرور! علي بابن أبي شيخ صاحب جعفر بن يحيى الساعة! ثم قال: فأتي به يحجل في قيوده، فأمر به فضربت عنقه وألقيت جثته في العراة، ثم عاد إلى لعب الشطرنج كأنه لم يصنع شيئا.

ذكر خبر رافع بن الليث بن نصر بن سيار
وخروجه على الرشيد

قال إسحاق بن إبراهيم الموصلي: كان علي بن عيسى بن ماهان قد جار على أهل خراسان فأذل ملوكها حتى فسدت قلوبهم، فكتب رافع بن الليث إلى الرشيد هذه الأبيات:

أرى النار قد شبت وهب لها الصبا * فما وجها من جانب الليث قد سطع
إذا أشعلت في الليث نار ولم يكن * لها من طفى لم يلبث البيت أن يقع
أرى خدعا لم يبن لم يقف آرض * عليه فبادر قبل أن تبنى الخدع
فدان أمير المؤمنين وولها * سواه فما من قال حقا كمن خدع

قال: فلما نظر الرشيد إلى كتاب رافع بن الليث وفهم هذا البيت اغتم ذلك وخشي أن يعزل علي بن عيسى عن خراسان فيخرج عن الطاعة فكان يقدم في ذلك (١): قال: وثار أهل خراسان وخرجوا مع رافع بن الليث على الرشيد (٢)، وغلب رافع على سمرقند وما والاها وما كان وراء نهر بلخ، فأخذ ذلك كله وهزم علي بن عيسى فأخرجه من بلاد خراسان. قال: فوجه إليه الرشيد برجل من قواده

---

(١) يفهم من عبارة ابن الأثير أن الرشيد، وبعد كثرة شكوى كبراء أهل خراسان وأشرافها من سوء سيرة علي بن عيسى وظلمه لهم واستخفافه بهم سار إلى الري فأتاه علي من خراسان حاملا الأموال العظيمة والهدايا الكثيرة، ورأى الرشيد خلاف ما كان يظن به فرده إلى خراسان (٤ / ٧٦).

(٢) انظر رواية أخرى في سبب خروج رافع على الرشيد في ابن الأثير ٤ / ٧٨ وانظر الاخبار الطوال ص ٣٩١.

يقال له هرثمة بن أعين في جيش عظيم، فأطال محاربته فلم يظفر منه بشيء، فاشتد ذلك على الرشيد، ثم إنه كتب إلى رافع بن الليث كتابا لطيفا يسأله فيه أن يرجع عما هو عليه على أن يعطيه الرضا ويوليه خراسان وسائر أرضها وبلادها، فأبى رافع بن الليث أن يقبل شيئا من ذلك وجعل يتغلب على مدينة بعد مدينة فيأخذها، حتى احتوى على جميع بلاد خراسان. ثم كتب إلى الرشيد بهذه الأبيات يقول:

ليت الهوى والهجر والنار * وكل بكاء على الدار
ما الفخر لوم الناس إلا الوغى * في جحفل للموت جرار
وبدلت ما تكسبه بالقنا * في حالتي عسر وأيسار
النار لا العار فكن امرءا * فر من العار إلى النار
فهنيء بأخلاق كنانية * عرفن في نصر وسيار
وهن في ليث وفي رافع * تراث خيار لخيار

ثم أمر (١) بضرب الطبول وتهيأ للرحيل وأعطى الناس الارزاق ثم خرج من بغداد في جيش عظيم (٢)، وقد كان يجد علة في بدنه فيسأل الأطباء عن علته، فيهونون عليه الامر ويعدونه بالسلامة والبرء من وجعه، فلم يزل كذلك يقطع البلاد حتى صار إلى طوس فنزلها، ثم دعا بابنه المأمون وضم إليه جيشا ووجه به إلى مرو، وأمره أن ينزل بها ويوجه بالجيش إلى رافع بن الليث. قال: وسار المأمون حتى نزل إلى مدينة مرو، ودامت الحروب بين المأمون ورافع بن الليث، فاجتمعت العساكر على رافع بن الليث من كل جانب، فجعل يحاربهم حربا شديدا ولا يفتر من ذلك، وفي وجهه وجوه القواد مثل علي بن عيسى وهرثمة بن أعين زن أشبههما من القواد، والمأمون مقيم بمرو.

قال: واشتدت العلة بالرشيد وضعف ضعفا شديدا، ثم جعل يقول: صبرا لامر الله، وينشد:

وإني من قوم كرام يزيدهم * رخاء وصبرا شدة الحدثان (٣)

ثم إنه استراب بما كانت الأطباء تعده وتمنيه من الصحة والعافية. قال:

---

(١) أي هارون الرشيد.
(٢) وكان خروجه من بغداد لخمس خلون من شعبان سنة ١٩٢ واستخلف على بغداد ابنه الأمين.
(٣) البيت في الطبري ٨ / ٣٤٥ وابن الأثير ٤ / ٩٠.

واجتمعت عنده الأطباء فلم يعف عنه شيئا، قال: فأرسل الرشيد إلى طبيب من أهل فارس يقال له الأسقف (١)، فأشخص إليه والرشيد يومئذ في قصر حميد الطوسي (٢)، فقال: انزلوا هذا الطبيب حتى يستريح، فإذا كان غداة غد فأتوني به! قال: فأنزل الطبيب، وأمر الرشيد بقوارير فيها أبوال كثيرة مختلفة فجمعت، فلما أن كان من الغد أرسل إلى الطبيب فدعاه، ثم أمر أن تعرض القوارير على الطبيب فعرضت عليه، فكان يصف لكل قارورة وصاحبها بما يعلم من علته، حتى إذا قدم إليه قارورة الرشيد ونظر إليها قال: قولوا لصاحب هذه القارورة أن يدع الحمية ويوصي، فإنه لا يقوم من علته هذه! فلما سمع الرشيد ذلك الكلام من الطبيب أيس من الحياة وذرفت عيناه بالدموع، وجعل يتمثل بهذين البيتين (٣):

إن الطبيب بطبه ودوائه * لا يستطيع دفاع محذور القضا
ما للطبيب يموت بالداء الذي * قد كان يبرئ غيره فيما مضى

قال: ثم أقبل الرشيد بن المهدي على الفضل بن الربيع وهو واقف بين يديه فقال: يا فضل! ما يقول الناس؟ قال: يقولون خيرا يا أمير المؤمنين! فقال: على كل حال اصدقني عن أراجيفهم، فإني أظنهم يقولون قد مات أمير المؤمنين الرشيد بالله. قال: فبكى الفضل وتغرغرت عيناه بالدموع. قال: فاستوى الرشيد جالسا على خيله ثم قال: أسرجوا لي! فأسرجوا له حمارا مصريا، ثم حمل حملا حتى استوى عليه فكاد لحم فخذيه أن يسقط ولم يمكنه أن يثبت على السرج فقال: أنزلوني، قد صدق الطبيب (٤)، أنا والله ميت لا شك في ذلك! قال: ثم دعا بأكفانه فنشرت بين يديه، وأمر بقبره فحفر وهو ينظر إليه (٥). ثم جعل يسترجع ويبكي على نفسه وهو يتمثل بقول صالح بن عبد القدوس حيث يقول:

وكم من ذي مصانع قد بناها * وشيدها قليل الخوف عات
فبات ولم يروع من زوال * ولا يخشى المنايا الرازيات

---

(٢) في الطبري ٨ / ٣٤٤ وابن الأثير ٤ / ٩٠ جبريل بن بختيشوع.
(٣) الطبري: دار حميد بن أبي غانم الطائي.
(١) البيتان في مروج الذهب ٣ / ٤٤٨ والاخبار الطوال ص ٣٩٢ باختلاف بعض الالفاظ.
(٢) في مروج الذهب ٣ / ٤٤٩ صدق المرجفون.
(٣) في مروج الذهب: فلما اطلع فيه قال: (ما أغنى عني ماليه، هلك عني سلطانيه).

ولما صار الرشيد بطوس دعا العباس بن موسى، فقال له: يا عباس! في علمنا المدروس أنه يموت بطوس، فقال: بل يشفي الله أمير المؤمنين، فقال: هو ما أقول، فلما زادت عليه جعل يقول:

إني بطوس مقيم * مالي بطوس حميم
أرجو إلهي لما بي * فإنه بي رحيم
فقد أتى بي طوسا * قضاؤه المحتوم
فليس إلا رضاه * والصبر والتسليم

قال: وكان في سجنه قوم من الأسارى قد كان بعث بهم هرثمة بن أعين فأمر بهم، فأخرجوا من السجن حتى وقفوا بين يديه، فقال لهم: أعداء الله! أنتم الذين أزعجتموني عن موضعي وخنتموني المؤنة والتعب والسفر بخروجكم علي، والله لأقتلنكم قتلة ما سبقني أحد إليها (١)، قال: ثم أمر بهم ففصلوا عضوا عضوا حتى أتى آخرهم.

ثم دعا برؤوس القواد ومن حضر من فرسان العسكر وسادات بني هاشم فلما اجتمعوا عنده:

ذكر وصية الرشيد عند موته

- فحمد الله وأثنى عليه، وذكر محمدا صلى الله عليه وسلم، وقال: إنكم قد علمتم أن كل حي ميت وكل حي فان (٢)، وأن هذه الحالة التي أنا عليها هي الحالة التي لم أزل آثر فيها وأوطن نفسي على تجرع أهوالها، وقد ترون ما قد نزل بي من الامر، وأنا أوصيكم بثلاث وأنهاكم عن خمس: أوصيكم باجتماع كلمتكم، والمناصحة لأئمتكم (٣)، وأنهاكم عن الفرقة والقطيعة والغش والغل والحسد، وأوصيكم بعد ذلك بحفظ الجنود فإنها سيوفكم القاطعة ورماحكم النافذة وسهامكم الصائبة

---

(١) هذا القول قاله لأخي رافع بن الليث واسمه بشير، وكان قد أسر وأرسله هرثمة بن أعين إلى الرشيد. (مروج الذهب).
وفي ابن الأثير قال الرشيد: والله ولو لم يبق من أجلي إلا أن أحرك شفتي بكلمة لقلت اقتلوه، ثم أمر بقصاب، فأمر به، ففصل أعضاءه.

(٢) في مروج الذهب ٣ / ٤٤٩ وكل جديد بال.

(٣) زيد في مروج الذهب: الحفظ لأمانتكم.

وودائع الله فيكم، وعليكم بالمباعدة لأهل الأهواء والضلالة والبدع (١) المكروهة، ولا تأخذوا بظنة. ولا تخيفوا ذا طاعة، ولا تهاونوا بذي خلاف ومعصية، وانظروا ابني حنيفا محمدا وعبد الله، فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن طريقه و [أيدوا] أثبتهما حجة. قال: ثم أقبل على الفضل بن الربيع فقال: يا فضل!
قال: لبيك يا أمير المؤمنين! فقال: إذا أنا مت فخذ القضيب والبردة والخاتم والحق بابني محمد الأمين وكن معه حتى تكاتفه وتؤازره على أمره، واكتبوا إلى ابني المأمون بما يكون من أمري. قال: ثم إنه استمسك لسانه فمات رحمه الله.

ذكر وفاة الرشيد ورؤياه قبل موته

ذكر جبريل بن بختيشوع أنه كان مع الرشيد في الرقة وكان أول من يدخل عليه في كل غدوة (٢)، قال: فدخلت عليه يوما فسلمت فلم يرفع رأسه وطرفه ووجهه [ورأيته -] (٣) عابسا مهموما، فوقفت بين يديه مليا وهو على تلك الحالة، فلما أطال ذلك أقدمت عليه وقلت: جعلني الله فداك يا أمير المؤمنين! فيا سيدي! ما حالك هكذا؟ فقال: رأيت هذه الليلة رؤيا أهالتني وأفرحت قلبي، فقلت: فرجت عني يا أمير المؤمنين! ثم دنوت وقبلت رجليه وقلت: هذا يكون من بخارات رديئة أو من السوداء، وإنما هي أضغاث أحلام، قال: فأقصها عليك وهي أني رأيت كأني جالس على سريري هذا إذ بدت من تحتي ذراع كنت أعرفه وكف أعرفها لا أفهم اسم صاحبها، وفي الكف تربة حمراء، فقال قائل - أعرفه - ولا أرى شخصه: هذه التربة التي تدفن فيها! فقلت: وأين هذه التربة؟ قال: بطوس! وغابت اليد وانقطع الكلام وانتبهت، قال فقلت: يا سيدي! هذه والله رؤيا بعيدة! وأحسبك أخذت مضجعك وفكرت في خراسان وفي حروبها! قال: وقد كان ذلك، قلت: لذلك جاءك هذا الفكر. ثم لم أزل به أطيب نفسه بضروب الحيل حتى سلى وانبسط.
فمضت بعد ذلك أيام فنسي ونسينا تلك الرؤيا، ثم قدر الله تعالى مسيرنا إلى خراسان حين تحرك رافع بن الليث فخرج، فلما صار في بعض الطريق ابتدأت به العلة حتى

---

(١) بالأصل: والبدوع.
(٢) في الطبري ٨ / ٣٤٢ فأتعرف حاله في ليلته، فإن كان أنكر شيئا وصفه... ثم يسألني عن أخبار العامة وأحوالها.
(٣) زيادة عن الطبري وابن الأثير ٤ / ٨٨.

دخلنا طوس ونزلنا في منزل حميد بن عبد الله (١)، فبينا أمير المؤمنين في بستان ذلك القصر متمرض إذ ذكر تلك الرؤيا، فوثب متحاملا يقوم ويسقط، فقال: يا جبرئيل! تذكر رؤياي في طوسي، ثم رفع رأسه إلى مسرور الخادم وقال: جب لي من تربة هذا البستان! فمضى مسرور وأتى وفي كفه من التربة حاسرا عن ذراعيه، فلما نظر إليها قال: هذه والله الذراع التي رأيتها (٢) في الشام، وهذه التربة الحمراء، فأقبل على البكاء والنحيب، ثم مات بعد ثلاثة أيام، ودفن في ذلك البستان نصف الليل لثلاث خلون من شهر جمادى الأول سنة ثلاث (٣) وتسعين ومائة، واستخلف ليلة الجمعة لأربع عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة سبعين ومائة وهو يومئذ ابن اثنتين وعشرين سنة، وتوفي ليلة الاحد وهو ابن خمس (٤) وأربعين سنة، فملك ثلاثا (٥) وعشرين سنة وشهرا (٦) وسبعة عشر يوما (٧)، وكان مولده بالري، وفي ذلك

يقول أبو العتاهية:

إن أمير المؤمنين في خلقه * حن به البر إلى مولده

ليصلح الري وأقطارها * ويمطر الخير بها من يده

وهذا في رواية بكر بن إسماعيل، وقيل: كان ملكه ثلاثا (٨) وعشرين سنة وستة عشر يوما. وكان جسيما جميلا وسيما، أبيض جعد الشعر قد وخطه الشيب، وكان يصلي كل يوم مائة ركعة إلى أن فارق الدنيا إلا أن تعرض له علة، وكان يتصدق من صلب ماله كل يوم بألف درهم، وإذا حج حج معه مائة من الفقهاء، فالسنة التي لا يحج فيها أحج ثلاثمائة رجل بالنفقة السابغة، وكان في الهيبة والسياسة مثل المنصور و [في] السماحة مثل السفاح. فلما مات كتب الخير إلى المأمون وهو يومئذ بمرو،

---

(١) في الطبري: الجنيد بن عبد الرحمن.

(٢) الطبري وابن الأثير: رأيتها في منامي.

(٣) بالأصل: ثلاثة.

(٤) بالأصل: خمسة.

(٥) عن الطبري وبالأصل (اثنين).

(٦) عن الطبري وبالأصل (ثمانية أشهر).

(٧) انظر في يوم موته ومقدار عمره ومدة خلافته الطبري ٨ / ٣٤٥ ابن الأثير ٤ / ٨٨ مروج الذهب ٣ / ٤١٢

التنبيه والاشراف ص ٣٤٥ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٣٠ فوات الوفيات ٢ / ٦١٦ المعارف ص ٣٨٣ تاريخ خليفة ص ٤٦٠ وانفرد في الإمامة والسياسة وذكر موته سنة ١٩٥ ه.

(٨) الأصل (ثلاثة).

وكتب أيضا بالخبر إلى محمد الأمين وهو يومئذ بمدينة السلام بغداد، وصار الامر إلى ابنه محمد الأمين.

[خلافة محمد الأمين]

قال الحسن بن المنصور: أخبرني الفضل بن زرارة قال: لما صارت الخلافة إلى محمد الأمين أخرج كل من كان في حبس الرشيد ببغداد، واتخذ الفضل بن الربيع وزيرا، وجعل ابنه العباس بن الفضل بن الربيع حاجبا، واتخذ إسماعيل بن صبيح كاتبا، ونصب ابنه موسى لولاية العهد من بعده وأخذ له البيعة وسماه الناطق بالله، وجعله في حجر علي بن موسى بن ماهان، فجعل بعض الشعراء يقول في ذلك - وهو أبو نواس:

لقد قام خير الناس من بعد خيرهم * فلس على الأيام إذ قام معتب
فأمسى أمير المؤمنين محمد * وما بعده للطالب العرف مطلب

وقال فيه أبو نواس أيضا:

رضينا بالأمين عن الزمان * فأضحى الملك معمور المعاني (١)
تمنينا على الأيام شيئا * فقد نلنا به ثمر الأماني

وقال فيه أبو نواس أيضا:

لئن كان ريب الدهر غال أمامنا * ولم يخطه لما رماه مقاصد (٢)
فإن الذي كنا نؤمل بعده * وندخره للنائبات محمدا

وقال أبو نواس أيضا:

ملكت على طين السعادة واليمن * وحزت إليك الملك مقتتل السن
لقد طابت الدنيا بملك محمد * وزيدت به الأيام حسنا على حسن

قال: ثم إن الفضل بن الربيع حمل تلك الأموال التي كان الرشيد أمر بها لعبد الله المأمون، وحمل البردة والقضيب والخاتم ولحق بالأمين محمد ابن زبيدة،

---

(١) في ديوان أبي نواس: المكان.
(٢) في الديوان: فاقصدا.

فلما قدم الفضل عليه فرح به فرحا شديدا وقربه وأدناه وجعله وزيره وصاحب أمره وأعماله، وفوض إليه ما وافى به. قال: وكان الفضل بن الربيع هو الذي يولي الأمور والولاة ويعزلهم، ويرفع من أراد رفعه. ويضع من أراد وضعه. قال: واحتجب الأمين فلم يكن يصل إليه أحد ولا يجلس الناس إلا في فرط، وكان الفضل بن الربيع هو المتولي لجميع الأمور وأسباب الملك وتدبيرها، وقد ذكر ذلك أبو نواس في قصيدة حيث يقول:

لعمرك ما غاب الأمين محمد * عن الامر يعنيه إذا شهد الفضل
ولولا مواريث الخلافة إنما * له (١) دونه ما كان بينهما فضل

قال: وحدثني أبو يزيد المهلبي قال: لما صارت الخلافة إلى محمد الأمين فخلى للهو واللعب والنزهة، ثم إنه ابتاع أنواع الجواهر واشتغل بالنساء، فلما أسرف في ذلك وطال على الناس ذلك وجدوا في قلوبهم قسوة، فدخل عليه إسماعيل بن صبيح وهو كاتبه وصاحب سره فقال: يا أمير المؤمنين! إن قوادك وجندك وعامة رعيتك قد ساءت ظنونهم، وخبثت أنفسهم، وكبر عليهم ما يرون احتجابك عنهم وإهمالك النظر في أمورهم، فلو جلست لهم ساعة من نهار ليدخلوا فيسلموا على أمير المؤمنين؟ فقال الأمين: إني فاعل ذلك غدا إن شاء الله تعالى. قال: فلما كان من الغد جلس الأمين في مجلسه وأمر ببابه ففتح، وأمر بالستور فرفعت، وأذن للناس فدخلوا عليه وجلسوا في أماكنهم ومراتبهم، فقام الخطباء فخطبوا، قام الشعراء فأنشدوا، وقام فيمن قام يومئذ أبو نواس فقال: يا أمير المؤمنين! إن هؤلاء الذين أنشدوا إنما هم أهل مدر وحجر وشياه وإبل، وقد حفت ألفاظهم وغاضت بحورهم وليس لهم بصر بمدح الخلفاء ونشر مكارم الكرماء، فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في النشيد فليفعل! قال: فأذن له الأمين في ذلك، فأنشد يقول:

ألا دارها بالماء حتى تلينها * فلم تكرم الصهباء حتى تهينها
أغالي بها حتى إذا ما ملكتها * أهنت بإكرام الخليل مصونها
وصفراء قبل المزج بيضاء بعده * كأن شعاع الشمس يلقاك دونها

قال فقال له محمد الأمين: يا عدو الله وعدو نفسه! أليس قد نهيت عن شرب

---

(١) عن ديوان أبي نواس، وبالأصل: (إنها لها).

الخمر واللهو واللغو فيها بالشعر؟ فقال: يا أمير المؤمنين! ما شربت منها محرما ولا فارقت منها دينا منذ نهيتني عنها، وأنا القائل في ذلك (١):

أيها الرائحان باللوم لوما * لا أذوق المدام إلا شميما
نالني بالملام فيها إمام * لا أرى في خلافه مستقيما

قال: فتبسم الأمين وأحسن جائزته وانصرف.

ذكر خبر الشعراء الثلاثة

وهو أبو نواس والرقاشي ومصعب (٢) مع محمد الأمين (٣)

قال: خرج محمد ابن زبيدة الأمين ذات ليلة يطوف في قصره إذ نظر بعض الجواري التي (٤) له تطوف في القصر وهي سكرى، وقد سقط الرداء عن منكبيها وانكشف صدرها، فأعجب بها محمد الأمين ابن زبيدة فدعاها إلى نفسها، فقالت: ذرني فإني طامث، وواعدته أن تزوره في غد، فانصرف محمد الأمين إلى فراشه ينقلب جنبا جنبا، فلما أصبح أرسل إليها فقالت: كلام الليل يمحوه النهار. فقال محمدا ابن زبيدة: انظروا من الباب من الشعراء! فقالوا: الرقاشي ومصعب (٣) وأبو نواس، فقال: أدخل بهم علي! فلما دخلوا وأعطوه حق التسليم قال لهم: ليقل كل واحد منكم بيتين من الشعر على (كلام الليل يمحوه النهار). قال: فابتدأ الرقاشي ينشد ويقول:

متى تصحو وقلبك مستطار * وقد منع الرقاد (٥) فلا قرار
وقد تركتك صبا مستهاما (٦) * فتاة لا تزور ولا تزار
إذا ما زرتها وعدتك وعدا (٧) كلام الليل يمحوه النهار

---

(١) الأبيات في الطبري ٨ / ٥١٧ وديوانه ص ٣٢٥.
(٢) عن العقد الفريد ٦ / ٤٠٩ وبالأصل ابن مصعب.
(٣) الخبر في العقد الفريد.
(٤) بالأصل (الذي).
(٥) العقد الفريد: القرار فلا قرار.
(٦) عن العقد الفريد وبالأصل: تركت صب مستهام.
(٧) في العقد الفريد:
إذا استنجزت منها الوعد قالت

ثم تقدم مصعب (١) فقال:
أما والله لو تجدين وجدي * لأذهب بالردا عنك السرار
فكيف وقد تركت الجسم عبرا * وفي الأحشاء من ذكراك نار
تبسم ضاحكا من غير عجب * كلام الليل يمحوه النهار
ثم تقدم أبو نواس فقال:
تمادى الحب وانقطع المزار * وجاهرنا فلم يغن الجهار
وليلة (٢) أقبلت في القصر سكرى * ولكن زين السكر الوقار
وهز الريح أردافا ثقالا * وغصنا فيه رمان صغار
وقد سقط الردا عن منكبيها * من التهييف واسترخى الإزار
فقلت الوعد سيدتي فقالت: كلام الليل يمحوه النهار
فقلت الوصل سيدتي فقالت * غدا وإليك في ذاك الخيار
فلما أسفر الصبح التقينا * وقد غلب التصبر والقرار
فقال محمد الأمين: يا غلام! جرد أبا نواس واضربه خمسمائة سوط، فقال أبو نواس: ولم يا أمير المؤمنين؟ فقال: والله ما كنت إلا ثالثا أو مطلعا علينا! فقال: والله ما كنت ثالثكم ولا مطلعا عليكم، ولكن علمت مراد أمير المؤمنين فقلته، فقال: يا غلام! أعط أبا نواس عشرة آلاف درهم (٣)، واعط الاثنين عشرة آلاف درهم بينهما. ثم أمر فأخرجوا.
ويحكى أن الأمين كان يشرب ذات ليلة على بساط نرجس، وكانت تلك الليلة قد أبدر قمرها وكان الذي يسقيه خادمه كوثر فطرب وقال:
وصف البدر حسن وجهك حتى * خلت أني وما أراك أراكا
وإذا ما تنفس النرجس الغ * – ض توهمته نسيم شذاكا
ثم أمر الأمين فنودي له في الجند أن أمير المؤمنين قد عزم على الركوب فلا يتخلف أحد له ديوان، فركب الأجناد والكتاب وأصحاب الأقلام والوزراء وأرباب

---

(١) انظر أبيات مصعب في العقد الفريد ٦ / ٤١٠ باختلاف عما ورد في الأصل.
(٢) في العقد الفريد: وخود، والخود: الشابة الحسنة الخلق.
(٣) في العقد الفريد: فأمر له بأربعة آلاف درهم، ولصاحبيه بمثلها.

المناصب في أحسن زي وأكمل هيئة وأعدت له الحراقات والزلالات في الدجلة، فنهض ولبس أثوابه وتقلد سيفه وركب إلى شاطئ الدجلة، وكان قد بنى له حراقات لم يعمل مثلها: إحداهما على مثال الأسد، والأخرى على مثال العقاب. قال: واصطفت الناس على شاطئ الدجلة ومر أمير المؤمنين منحدرا سائرا والزلالات على يمينه وشماله. قال: فما يظن أحد أنه نظر إلى شيء أبهى ولا أحسن من ذلك ولا أجمل منه، وفي ذلك يقول أبو نواس (١):

سخر الله للأمين مطايا * لم تسخر لصاحب المحراب
فإذا ما ركابه سار برا * سار في الماء راكبا ليث غاب
أسدا باسطا ذراعيه (٢) يعدو * أهرت الشدق كاشر الأنياب
لا يعانيه باللجام ولا الس * - وط (٣) ولا غمز رجله في الركاب
عجب الناس إذ رأوك سرت عليه * كيف لو أبصروك فوق العقاب
ذات يمن وميسر وجناحي * - ن تشق العباب بعد العباب
بارك الله للأمين وأبقا * وأبقى له رداء الشباب
ملك تقصر المدائح عنه * هاشمي موفق للصواب

وقال الفضل بن زياد: أخبرني وصيف خادم الأمين محمد ابن زبيدة قال: [لما] أفضت الخلافة إلى الأمين محمد ابن زبيدة بعث إلى أسد بن يزيد بن مزيد الشيباني فعزله عن بلاد إرمينية وولى مكانه إسحاق بن سليمان بن علي الهاشمي، قال: فوجه إسحاق بن سليمان بابنه الفضل على مقدمته إلى إرمينية فدخلها واتصل به أبوه، وما زال في يد إسحاق بن سليمان الهاشمي إلى أن وقع الاختلاف بين الأمين وبين أخيه المأمون، فاتصل الحروب والوقائع إلى أن قتل الأمين - والله أعلم -.

ذكر المخالفة بينهما ومقتل الأمين

قال: لما دخل عام أربع وتسعين ومائة أمر محمد الأمين بالدعاء لابنه موسى

---

(١) ديوانه ص ١١٦ والطبري ٨ / ٥٠٩ وابن الأثير ٤ / ١٤٢.
(٢) عن الديوان وبالأصل: يديه.
(٣) عن الديوان وبالأصل: السفط.

على المنابر وسماه الناطق بالحق (١) وفسد بينه وبين المأمون ومكر كل واحد منهما بصاحبه، ولم يكن ذلك من رأي الأمين محمد ولا عزمه بل كان عزمه الوفاء لأخيه بما كان قد احتلف عليه لهما والده الرشيد من العهود والمواثيق، ولم يزل الفضل بن الربيع يصغر عن الأمين حال المأمون ويزين له خلعه، حتى قال: ما ينتظر أمير المؤمنين بعبد الله والقاسم! اخلعهما، فإن البيعة كانت [لك] متقدمة قبلهما ودخلا بعدك (٢)، وعاونه على ذلك علي بن عيسى بن ماهان والسندي وبكر بن المعتمر حتى أزالوا محمدا الأمين عن رأيه، فأول ما أظهر الأمين من الخلاف أنه ترك دعاء المأمون على المنابر ودعا لابنه موسى، والثاني أنه كتب إلى المأمون يسأله أنه يتجافى عن كورتين من كور خراسان وأنه يوجه العمال إليهما من قبله - يعني الأمين محمد -، والثالث [أنه] تمكن من نفسه صاحب بريد يكتب إلى الأمين بخبره.

فلما ورد الكتاب على المأمون بذلك اشتد عليه وغضب غضبا شديدا، وشاور الفضل بن سهل وأخاه وجميع شيعته، فقال الجميع: السبيل أن تصبر ولا تنقض العهد فإنه إن بغى عليك أخوك فالله ناصرك عليه، وليكن جوابك إليه جوابا حسنا وأظهر له التواضع والطاعة، ففعل ما أشاروا عليه به (٣). وأمر المأمون عماله وحراسه من حدود الري أن لا يأتي أحد من العراق ولا أحد من خراسان إلا بجواز بعد أن يفتش غاية التفتيش، فكان أهل خراسان يحبون المأمون ويتقربون إليه ويوالونه موالاة صادقة. وكان للمأمون ببغداد أموال وأولاد فطلب من الأمين فلم يردها إليه.

وشاور الأمين يحيى بن سليم وكان ذا رأي وعقل رصين ومعرفة بأمور الدول في خلع المأمون، فقال له يحيى: يا أمير المؤمنين! لا تجاهره مجاهرة يستنكرها الناس ويظهر شناعتها للعامة، ولكن الرأي يا أمير المؤمنين! أن تستدعي (٤) الجند بعد الجند (٤) والقائد بعد القائد، وتنوبهم (٥) بالألطاف والهدايا، وتستميلهم

---

(١) عن مروج الذهب ٣ / ٤٨٤، وبالأصل (الناطق بالله)

(٢) وكان الفضل بن الربيع قد خاف المأمون بعد نكثه العهود التي أخذها عليه الرشيد لابنه عبد الله وانصرف إلى محمد الأمين، وعلم أن الخلافة إن أفضت إلى المأمون يوما وهو حي لم يبق عليه (انظر الطبري وابن الأثير حوادث سنتي ١٩٣ - ١٩٤).

(٣) انظر نسخة كتاب المأمون إلى الأمين في الطبري ٨ / ٣٧٩ وابن الأثير ٤ / ١٠٢.

(٤) عن الطبري ٨ / ٣٨٥ وابن الأثير ٤ / ١٠٣ وبالأصل: الحيدري.

(٥) في الطبري: وتؤنسه. وفي ابن الأثير: وتؤنسهما.

بالأطماع، فإذا ذهبت (١) قوته واستقرت (٢) رجاله أمرته بالقدوم عليك، فإن قدم كان
الذي تريد، وإن أبى كنت قد تناولته وقد قل جنوده وضعف ركنه. وكان للمأمون بباب الأمين صاحب خبر ينتهي إليه بالاخبار، فكتب إلى المأمون في ذلك كتابا وجعله في عود منقور من أعواد الاكاف مع امرأة، وكانت الامرأة تمضي على المسالح، وقد سد الفضل بن الربيع أفواه الطرق وأن لا يجوزها أحد، فجاءت المرأة إلى صاحب البريد وعرفته، فرفع الخبر إلى المأمون، فأشخص طاهر بن الحسين فيمن ضم إليه من قواده وأجناده، فسار مجدا لا يلوي على أحد حتى ورد الري فنزلها.
ووجه محمد الأمين عصمة بن حماد بن سالم الهمذاني إلى همذان وولاه حرب كور الجبل وأمره أن يقيم بهمذان ويوجه مقدمته إلى ساوة (٣)، وأقبل بعد ذلك علي بن عيسى بن ماهان على محمد الأمين فقال: إن أهل خراسان كتبوا إلي أني إن خرجت إليهم أطاعوني وانقادوا إلي، فولاه محمد نهاوند وهمذان والجبل وقم وأصبهان حربها وخراجها. وضم إليه جماعة من القواد، وأمر له بمائتي ألف دينار ولابنه بخمسة آلاف دينار (٤)، وأمر له بألفي سيف محلى وستة آلاف ثوب للخلع، فشخص علي بن عيسى في أربعين ألف فارس لحرب المأمون، وذلك في سنة خمس وتسعين ومائة (٥)، وحمل معه قيد من فضة ليقيد به المأمون بزعمه، وشخص معه الأمين إلى النهروان حتى روع العسكر وكتب إلى عصمة بالانصراف إلى عند علي بن عيسى بن ماهان.
فلما نزل علي بن عيسى همذان ولى عليها عبد الله بن حميد (٦) بن قحطبة، ثم شخص علي بن عيسى يريد الري فسار حتى بلغ الري على تعبئته، فلقيه طاهر بن الحسين في أقل من أربعة آلاف، فحاربه وقتله (٧) وقطع رأسه وأرسل به إلى

---

(١) الطبري: أوهنت. وابن الأثير: وهنت.
(٢) الطبري وابن الأثير: واستفرغت.
(٣) مدينة بين الري وهمذان في وسط.
(٤) الطبري ٨ / ٣٩٠ بخمسين ألف دينار.
(٥) ورد في ابن الأثير أن الفضل ذي الرياستين كتاب إلى عينه لدى الفضل بن الربيع أن يشير على الفضل بإنفاذ علي بن عيسى لحرب المأمون، وكان عليا مكروها من أهل خراسان لسوء سيرته وظلمه إياهم عندما كان واليا أيام الرشيد.
(٦) عن الطبري، وبالأصل: جنيد.
(٧) انظر تفاصيل حول القتال وردت في الطبري ٨ / ٣٩٣ ابن الأثير ٤ / ١٠٧ مروج الذهب =

المأمون (١).
وقال شاعر من بغداد في ذلك لما رأى تشاغل محمد بلهوه وبطالته وتخليته التدبير على الفضل وتسليم الأمور إليه:
أضاع الخلافة غش الوزير * وفسق الامام وجهر المشير
لواط الأمور أعجوبة * وأعجب منه خلاق الوزير
ففضل وزير وبكر مشير * يريدان ما فيه حتف (٢) الأمير
ومن ليس يحسن غسل استه * ولم يخل من بوله في سرير
فلما انتهى إلى الأمين قتل علي بن عيسى بن ماهان واستباحة عسكره وجه عبد الرحمن بن جبلة في عشرين ألف فارس من الأنبار وحمل الأموال معه، وولاه ما بين حلوان إلى ما غلب من أرض خراسان وأمره بسرعة السير، فتوجه حتى نزل همذان وضبط أطرافها واستعد للقاء طاهر بن الحسين. وكان يحيى بن علي بن عيسى لما قتل أبوه هرب في جماعة وأقام بين الري وهمذان، وكتب إليه [محمد الأمين] أن استعد وازحف إلى طاهر! واستقبله طاهر مع جيشه على قاتله قتالا شديدا، فهرب عبد الرحمن ودخل مدينة همذان، فأقام طاهر مع جيشه على باب المدينة وقطع عنهم الماء حتى تبرموا للقتال، فأرسل عبد الرحمن إلى طاهر بن الحسين وسأله الأمان له ولمن معه، فآمنه طاهر ووفى له (٣)، وكان عبد الرحمن خائفا من أهل همذان أن يقبضوه، وصالح لما رأى أيضا من ظفر طاهر ونصره وخذلان أصحابه.
وسمي طاهر ذا اليمينين وصاحب حبل الدين (٤) لما قتل علي بن عيسى وكاتب إلى المأمون يخبره وأن رأسه في حجره وخاتمه في إصبعه وسلم على المأمون بإمرة المؤمنين.

= ٣ / ٤٧٦ - ٤٧٧.
(١) الأبيات في الطبري ٨ / ٣٩٦ ابن الأثير ٤ / ١١٠.
(٢) بالأصل (حتف ما فيه) وما أثبت عن الطبري.
(٣) كذا بالأصل والطبري وابن الأثير، أما اليعقوبي فذكر أن طاهرا قتله واستباح كل ما في عسكره، ولم يذكر أنه أمنه ثم قتله.
(٤) عن الطبري، وبالأصل (اللذين).

فلما دخلت سنة ست وتسعين ومائة خلع محمد بن هارون ببغداد وأخذت البيعة للمأمون، وحبس محمد في قصر أبي جعفر مع زبيدة، وكان الحسين بن علي بن ماهان حبسه، فقام أسد الحارثي (١) وجمع خلقا وجاء إلى باب القصر، وقاتل الحسين بن علي وأصحابه قتالا شديدا وأسره، ودخل أسد على محمد وكسر قيده وأقعده في مجلس الخلافة، ثم رضي محمد عن الحسين بن علي وخلع عليه وعلى أصحابه ورد إليه قيادته، وجددت البيعة لمحمد، وكان حبسه يومين.

وتوجه طاهر بن الحسين إلى الأهواز وبها يومئذ محمد بن يزيد المهلبي مع جيش عظيم متوجه نحو طاهر، وقاتله بنفسه قتالا عظيما لم ير مثله في هذه الأيام، وانتهى بعض أصحاب طاهر إلى محمد بن يزيد وطعنه طعنة عظيمة بالرمح صرعه، وتبادر أهل العسكر بالطعن والضرب حتى قتلوه وحزوا رأسه، وخرج طاهر حتى حصل بباب بغداد فأخذ أصحاب محمد في الغارة.

وقام العيارون وأهل الفساد يتعلقون بالمرأة الصالحة بالسوق ولا يمنع، ويحملون أولاد التجار وهم عند آبائهم ولا يجترئون على منعهم، وانتشر أمر محمد وضعف وتبدد جنده وأحس من طاهر العلو عليه والظفر. ثم استأمن خزيمة بن خازم ومحمد بن علي بن عيسى وخلعا محمدا ودعوا للمأمون، فسكن العسكر وألزموا مساكنهم واستقروا في منازلهم، وغدا الطاهر على المدينة الشرقية وأرباضها (٢) والكرخ وأسواقها وهدم قنطرتي الصراة العتيقة والحديثة، واشتد عندهما القتال على أصحابه، وباشر القتال بنفسه، وقاتل من كان معه بدار الرقيق فهزمهم حتى ألحقهم بالكرخ وهزم أصحاب محمد، وقصد إلى المدينة التي لأبي جعفر فأحاط بها وبقصر زبيدة، وحاصر قصر الخلد، وخرج محمد وابنه وأمه إلى مدينة أبي جعفر وتفرق عامة جنده وخصيانه وجواريه في السكك والطرق لا يلوي أحد منهم على الاخر، وتفرق الغوغاء والسفلة، وتحصن محمد بالمدينة هو ومن يقاتل معه، وحاصره طاهر وأخذ عليه الأبواب ومنع منه ومن أهل المدينة الدقيق والماء، وبلغ أمره إلى أنه أكل وطلب الماء فلم يجده.

وذكر عن إبراهيم المهدي أنه كان نازلا مع محمد المخلوع في مدينة المنصور

---

(١) في الطبري ٨ / ٤٣٠ أسد الحربي.

(٢) عن الطبري ٨ / ٤٧٣ وبالأصل (المدينة الشريفة وأرباظها).

لما حاصره طاهر، فخرج ذات ليلة من قصره يريد أن يتفرج من الضيق الذي هو فيه فصار إلى قصر القرار (١) فقال لي: يا إبراهيم! أما ترى طيب هذه الليلة وحسن هذا القمر في السماء وضوءه في الماء فهل لك والشرب؟ فقلت: شأنك وما تريد جعلني الله فداك! فدعا برطل من نبيذ فشربه، ثم أمر بسقيته مثله، فابتدرت أغنيه من غير أن يسألني لعلمي بسوء خلقه، فغنيت ما كان يحبه، فقال لي: ما تقول فيمن يضرب عليك؟ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك! فدعا بجارية متقدمة عنده يقال لها صعب (٢)، فتطيرت من اسمها ونحن في ذاك الحال الذي نحن فيه من الضيق والحصر، فلما صارت بين يديه قال: غني! فغنت (٣) بشعر النابغة الجعدي:

كليب لعمري (٤) كان أكثر ناصرا * وأيسر ذنبا (٥) منك ضرج بالدم

قال: فاشتد عليه ذلك البيت الذي غنته له ثم تطير منه، فقال: غني غير هذا! فغنت (٦):

أبكي فراقهم عيني فأرقها * إن التفرق للأحباب بكاء
ما زال يعدو عليهم صرف دهرهم * حتى تفانوا وريب (٧) الدهر عداء

فقال لها: لعنك الله! أما تعرفين تغني غير هذا؟ فقالت: يا سيدي! ما تغنيت إلا بما ظننت أنك تحبه، وما هو إلا شيء جاءني، ثم أخذت في غناء آخر:

أما ورب السكون (٨) والحرك * إن المنايا كثيرة الشرك
ما اختلف الليل والنهار ولا * دارت نجوم السماء في الفلك
إلا لنقل السلطان عن ملك * قد انقضى ملكه إلى ملك

---

(١) عن الطبري ٨ / ٤٧٦ وبالأصل (فصار إلى قصر الفرات) وهو في قرنة الصراة، أسفل من قصر الخلد.
(٢) في مروج الذهب ٣ / ٤٧٩ (ضعف).
(٣) في مروج الذهب: حزما.
(٦) البيتان في الطبري وابن الأثير.
(٧) عن المصدرين وبالأصل (رب).
(٨) عن الطبري ومروج الذهب وابن الأثير وبالأصل (السماء).

وملك ذي العرش دائم أبدا * ليس بفان ولا بمشترك (١)
فقال لها: قومي عليك غضب الله! فقامت وبين يديه قدح محكم الصنعة، فعثرت بالقدم فكسرته. فقال لي: يا إبراهيم! أما ترى ما جاءت به هذه الجارية ثم ما كان من أمر القدح، والله ما أظن أمري إلا وقد قرب! فقلت: أطال الله عمر أمير المؤمنين وأعز ملكه! فما استتم الكلام حتى سمعنا صوتا من دجلة (قضى الامر الذي فيه تستفتين) (٢) فقال لي: يا إبراهيم! أما سمعت ما سمعت؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين ما سمعت شيئا، ثم عاود بالحديث فعاد الصوت (٣)، فوثب من مجلسه ذلك مغتما، ثم ركب ورجع إلى موضعه في المدينة، فما كان بعدها إلا ليلة أو ليلتان حتى قتل وحدث من أمره ما حدث.

وفي رواية أخرى أنه لما اشتد به الحصار اشتد اغتمامه فضاق ذرعا، فدعا بندمائه والشراب ليتسلى به، وكان له جارية يختصها من بين جواريه، فأمرها أن تغني، وتناول كأسا يشربه، فحبس الله لسانها عن كل شيء فغنت:

كليب لعمري كان أكثر ناصرا * وأكثر ذنبا منك ضرج بالدم

فرماها بالكأس فطرحها الأرض ثم دعا بكأس أخرى فتناولها، ودعا بجارية أخرى فأمرها بالغناء فغنت:

قومي هم قتلوا أمين أخي * فإذا رميت يصيبني سهمي (٤)

قال: فرمى وجهها بالقدح ورمى الصينية برجله وعاد إلى ما كان فيه من همه وغمه، فلم يلبث أن قتل بعد ذلك بأيام يسيرة. ويروى أن محمدا الأمين لما حاصره

---

(١) وقيل إنها غنت:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا * أنيس ولم يسر بمكة سامر

بلى نحن كنا أهلها فأبادنا * صروف الليالي والجدود العواثر

(٢) سورة يوسف، الآية ٤١.

(٣) في مروج الذهب: قال ابن مهدي: فقمت وقد وثب، فسمعت منشدا من ناحية القصر ينشد هذين البيتين:

لا تعجبن من العجب * قد جاء ما يقضي العجب

قد جاء أمر فادح * فيه لذي عجب عجب

(٤) البيت للحارث بن وعلة الذهلي (ديوان الحماسة: التبريزي ١ / ١٩٩).

طاهر بن الحسين قال:
يا فضل قد حاصرني طاهر * إني على ما فاتني صابر
لم يبق من ملكي إلا الذي * تراه والخسران والناصر
وقال محمد الأمين أيضا حين يئس من الملك وعلا عليه طاهر بن الحسين حيث يقول:
يا نفس قد حق الحذر * أين المفر من القدر
كل امرئ مما يخا * ف ويرتجيه على خطر
من يرتشف صرف الزما * ن يعض يوما بالكدر
ويحكى أن كوثرا الخادم كان عند الأمين محمد عزيزا، فخرج يوما ليرى الحرب فأصابته رجمة في وجهه، فجعل يبكي ويمسح الدم عن وجهه، فاشتد عليه ذلك فقال في المعنى:
ضربوا قرة عيني * ولأجلي ضروبه
أخذ الله بقلبي * من أناس أحرقوه
ولما صار محمد الأمين إلى المدينة وعلم قواده أنه ليس لهم وله فيها عدة الحصار دخل على محمد حاتم بن الصقر ومحمد بن إبراهيم [بن -] (١) الأغلب الإفريقي فقالوا له: قد آل حالك وحالنا إلى ما ترى وقد رأينا رأيا نريد أن نعرضه عليك ونرجو أن يكون صوابا، فقال: وما هو؟ فقالوا: قد تفرق الناس عنك من كل جانب وأحاط بك العدو، وقد بقي معك من خيلك ألف (٢) فارس خيارها، فنرى أن نختار من قد عرفناه بمحبتك من الاغراء تسعمائة (٣) رجل، فتحملهم على هذه الخيل وتخرج ليلا من بعض الأبواب حتى تلحق بالجزيرة فتفرض الفروض وتجبي الخراج وتصير في مملكة واسعة وملك جديد، فيسارع إليك الناس وتنقطع ع نك الجنود التي في طلبك، فقال لهم: نعم ما رأيتم! وعزم على ذاك.
واتصل الخبر بطاهر بن الحسين، فكتب إلى سليمان بن أبي جعفر ومحمد بن

---

(١) زيادة عن الطبري ٨ / ٤٧٨ وابن الأثير ٤ / ١٣٣.
(٢) في ابن الأثير: (سبعة آلاف). ومثله في مروج الذهب ٣ / ٥٠٠.
(٣) في الطبري: سبعمئة.

عيسى بن نهيك (١) والسندي بن شاهك (٢): والله إن لم تقروه وتردوه عن هذا الرأي لا
تركت لهم ضيعة إلا قبضتها ولا يكون لي همة إلا أنفسكم، فدخلوا على محمد وقالوا (٣): قد بلغنا الذي عزمت عليه فنحن نذكرك الله في نفسك إن هؤلاء صعاليك وقد ضاقت عليهم المذاهب وهم يريدون الأمان على أنفسهم عند أخيك وعند طاهر وهم بين يأخذوك أسيرا أو يأخذوا رأسك فيتقربوا بك إلى عدوك ويجعلوك سبب أمانهم. ولما انتقض هذا الرأي عزم على الخروج إلى هرثمة، فقالوا: الخروج إلى طاهر خير لك من الخروج إلى هرثمة.

فقال: ويحكم! أنا أكره الخروج إلى طاهر وذلك لمنام رأيته، وذلك أني رأيت في منامي كأني على حائط من آجر شاهق في الهواء عريض الأساس وثيق لم أر حائطا يشبهه في الطول والعرض والوثاقة، وعلي سوادي وسيفي وقلنسوتي وخفي. وكان طاهر في أصل ذلك الحائط بيده شيء يضرب به ذلك الحائط حتى سقط الحائط وسقطت قلنسوتي عن رأسي، وأنا أتطير من طاهر وأكره الخروج إليه، وهرثمة مولانا، وهم بالخروج إليه وعملت حراقة ليركبها مع هرثمة، فعلم طاهر بن الحسين، فوثب طاهر وأكمن نفسه في الخلد، فلما صار إلى الحراقة (٤) خرج طاهر إليه وأصحابه فرموا الحراقة (٥) بالسهام والحجارة، فمالوا ناحية الماء فانكفأت الحراقة، فغرق محمد وهرثمة ومن كان فيها، فسبح محمد حتى سار إلى بستان موسى (٦)، فظن أن غرقه كان حيلة من هرثمة عليه، فعبر الدجلة حتى صار إلى قرية الصراة، وكان محمد بن حميد (٧) هناك، فصاح بأصحابه فأخذوه وحبسوه وحملوه على برذون، وألقي عليه إزار من أزر الحبل غير مفتول، وصار به إلى منزل إبراهيم بن جعفر البلخي، وكان نازلا بباب الكوفة وأردف رجلا يركب خلفه كي لا

---

(١) عن الطبري، ومروج الذهب وبالأصل (عقيل).
(٢) عن الطبري ومروج الذهب وبالأصل: شاهيك.
(٣) انظر ما جرى في مقابلته لقواده في الطبري ٨ / ٤٧٩ وابن الأثير ٤ / ١٣٣ ومروج الذهب ٣ / ٥٠٠.
(٤) وكان ذلك ليلة الاحد لخمس بقين من المحرم سنة ١٩٨.
(٥) الحراقة نوع من السفن فيها مرامي النيران يرمى بها.
(٦) في مروج الذهب: وشق محمد ثيابه عن نفسه وسبح فوقع نحو السراة إلى عسكر قرين الديراني غلام طاهر.
(٧) عن الطبري، وبالأصل (حميل).

يسقط كما يفعل بالأسير، فذبحوه ذبحا من قفاه وأخذوا برأسه، فمضوا به إلى طاهر بن الحسين، وتركوا جثته إلى وقت السحر، ثم أدرجوه في جل وحملوه. فلما أصبح طاهر نصب رأس الأمين على البرج برج حائط البستان الذي على باب الأنبار. وخرج أهل بغداد إلى النظر إليه، وأقبل طاهر يقول هذا رأس المخلوع محمد (١).
فلما قتل محمد ندم جيش بغداد على تسليمهم إياه، ووثب الجند بعد قتله بطاهر بن الحسين يريدون قتله، فهرب منهم وتغيب أياما حتى أصلح أمرهم. وبعث طاهر بن الحسين برأس محمد الأمين ابن زبيدة إلى المأمون، فلما بلغ الرأس إليه ووضع بين يديه بكى ذو الرئاستين وقال: سل علينا سيوف الناس وألسنتهم طاهر، أمرناه أن يبعث به أسيرا فبعث به قتيلا، فقال المأمون: قد مضى ما مضى فاحتل في الاعتذار.
وكان ولاية محمد بن الرشيد وهو أبو موسى يوم الخميس لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الاخر سنة ثلاث (٢) وتسعين ومائة، وقيل: بل من ذي القعدة. وكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام وهو ابن خمس (٣) وعشرين سنة.
وقيل: ثمان - والله أعلم (٤) -. ولم يل الخلافة هاشمي الأبوين إلا علي بن أبي طالب والحسن بن علي ومحمد الأمين، لأنه أمه أم العزيز الملقبة بزبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور وهي صغيرة وكانت بيضاء، وكان المنصور يرقصها وهي صغيرة ويقول: أنت زبيدة! يلصق بها.
وقال خزيمة بن الحسن يرثي المخلوع على لسان (٥) أم جعفر يقول (٦):

---

(١) في قتله أكثر من رواية أنظر مروج الذهب ٣ / ٥٠١ وما بعدها والطبري ٨ / ٤٨٥ وما بعدها. وابن الأثير
٤ / ١٣٥ - ١٣٦ وتاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٤١.
(٢) بالأصل (ثلاثة).
(٣) بالأصل (خمسة).
(٤) انظر في يوم مقتله ومدة ولايته ومقدار عمره الطبري ١٠ / ٢٠٨ مروج الذهب ٣ / ٤١٣ ابن الأثير ٤ / ١٣٨
التنبيه والاشراف ص ٣٤٦ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٤١ مآثر الإنافة ١ / ٢٠٤ المعارف ص ١٦٧ تاريخ خليفة ص ٤٦٨ تاريخ بغداد ٣ / ٣٣٧.
(٥) عن الطبري ٨ / ٥٠٦ وابن الأثير ٤ / ١٣٩.
(٦) الأبيات في المصدرين السابقين ومروج الذهب ٣ / ٥٠٥ باختلاف بعض الالفاظ.

لخير إمام قام من خير عنصر * وأفضل سام فوق أعواد (١) منبر
لوارث علم الأولين وفهمهم * وللملك المأمون من أم جعفر
كتبت وعيني تستهل دموعها * إليك ابن عمي من جفوني (٢) ومحجري
وقد مسني ذل وفقر وفاقة * وأرق عيني يا بن عمي تفكري
[وهمت لما لاقيت بعد مصابه * فأمري عظيم منكر حد منكر -]
سأشكو الذي لاقيته بعد فقده * شكا الحزين المستهام المقهقري
أتى طاهر لا طهر الله طاهرا * فما طاهر في فعله بمطهر
فأخرجني مكشوفة الوجه حاسرا * وأنهب أموالي وأحرق آدري
فعز على هارون ما قد لقيته * وما مر بي من ناقص الخلق أعور
فإن كان ما أسدي بأمر أمرته * صبرت لامر من قدير مقدر
وإن تكن الأخرى فغير مدافع * إليك أمير المؤمنين فغيري
تذكر أمير المؤمنين قرابتي * فديتك من ذي حرمة متذكر

وكان طاهر بن الحسين وقال فيه قائل (٣):

يا ذا اليمينيين (٤) وعين واحده * نقصان عين بيمين زائده

وقال الأمين: أنا أعميته في مكايدة طاهر بن الحسين حين حاصره ببغداد حيث يقول:

منيت بأشجع المقلين نفسا * تزول الراسيات ولا يزول
إذا ما الرأي قصر عن أناس * فرأي الأعور الباغي يطول
له في كل معضلة رقيب * يشاهدنا ويعلم ما نقول
فليس بمغفل أمرا عناه * إذا ما الامر ضيعه الغفول (٥)

وصار الامر إلى أخيه المأمون وهو أبو العباس.

---

(١) عن المصادر، وبالأصل (أعود).
(٢) عن مروج الذهب وبالأصل (جفون).
(٣) هو عمرو بن نباتة كما في البداية والنهاية ١٠ / ٢٨٣.
(٤) اختلف في معنى قوله ذو اليمنيين فقيل لأنه ضرب رجلا بشماله فقده نصفين، وقيل لأنه ولى العراق وخراسان.
(٥) الأبيات عدا البيت الثاني في الطبري ٨ / ٤٦٧.

[خلافة المأمون بن هارون الرشيد] (١)
قال: وبويع المأمون ببغداد في الشهر الذي قتل فيه محمد الأمين ابن زبيدة والمأمون بخراسان. قال: وقد كان أهل بغداد هموا بالتغلب على طاهر بن الحسين وهموا أن يعقدوا الخلافة لإبراهيم بن المهدي. قال: فعندها كتب طاهر بن الحسين إلى المأمون يخبره بذلك. قال: فبادر المأمون وقدم إلى بغداد بعد قتل محمد ابن زبيدة بشهرين وثمانية عشر يوما. فلما دخل إلى بغداد نزل في القصر الذي يقال له باب الذهب، وأمر ببناء قصره الذي في عسكر المهدي فأخذوا في بنائه.
وفي تلك السنة ظهر ابن طباطبا العلوي (٢) بالكوفة مع أبي السرايا (٣) السري بن منصور الشيباني (٣)، فأرسل إليه المأمون في جيش عظيم، فحاربوه حربا شديدا، فأتى به المأمون فأمر به فضرب عنقه صبرا (٤). فلما استقر المأمون ببغداد خرج عليه رجل من العرب يقال له نصر بن شبث.
ذكر خبر نصر بن شبث وخروجه على
المأمون بن الرشيد
قال: حدثني عبد الله بن عبد الرحمن الخزاعي عن أبيه عن عبد الصمد عن يحيى عن أبيه قال: كان نصر بن شبث هذا رجلا من قيس غيلان من بني عقيل وكان يسكن مدينة يقال لها كيسوم وكان في عنقه بيعة المخلوع محمد ابن زبيدة، فلما بلغه ما كان من طاهر بن الحسين كأنه غضب لذلك وانتظر أن تأتيه الولاية من عند المأمون، فلم تأته فتغلب على البلاد وكسر الخراج، واجتمع إليه أهل الذعارة.
قال: وبلغ المأمون ذلك فأمر طاهر بن الحسين بالخروج إليه. قال: فسار إليه طاهر في عسكر لجب، حتى إذا تقارب من بلده نزل وكتب إليه وإلى وزير له يقال له

---
(١) زيادة عن هامش الأصل.
(٢) هو أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن (الحسين) بن علي بن أبي طالب (رض).
(٣) عن الطبري ٨ / ٥٢٩ وابن الأثير ٤ / ١٤٧ ومروج الذهب ٤ / ٣٠ وبالأصل: إبراهيم بن محمد الغساني.
(٤) كذا، وتجمع الروايات أن ابن طباطبا مات ولم يظفر به المأمون فأقام أبو السرايا مكانه محمد بن محمد بن يحيى بن زيد بن علي الحسين بن علي كما في مروج الذهب وانظر الطبري ٨ / ٥٢٩.

العباس بن زفر: أما بعد فإن الله تعالى ولي من والاه وعدو من عاداه، وقد علم الله تعالى أنكما من أعدائه ولستما من أوليائه، وبالله أحلف قسما صادقا لأوردنكما ونساءكما وذريتكما موارد الهلكة أو تذهب نفسي قبل ذلك! وقد عرفتماني ولم يخف عليكما ما نزل بالمخلوع محمد ابن زبيدة مني! وأنا الذي يقول:

ملكت الناس قسرا واقدارا * وقتلت الجبابرة الكبارا
ووجهت الخلافة نحو مرو * إلى المأمون تبتدر ابتدارا (١)

قال: فأجابه نصر بن شبث:

أتيت بكذبة ونطقت زورا * ولم تحذر وقائعي الكبارا
وهيجت العفرني في عرين * وفقت الأسد قسرا واقتدارا

قال: فلما وصلت إليه هذه الأبيات غضب طاهر بن الحسين ثم إنه سار حتى تقارب من مدينة كيسوم، فلم يبق بينه وبينها إلا مرحلة واحدة لا أقل ولا أكثر، فكتب إليه: أما بعد فاقبل الأمان تر خيرا، وإياك من الضراب والطعان! قال: فكتب إليه نصر بن شبث بهذه الأبيات:

إذا ظلمت حكامنا وولاتنا * خصمناهم بالمرهفات الصوارم
سيوف تخال الموت خالف حدها * مشطبة تفري رؤوس الجماجم

ثم كتب إليه أسفل كتابه: إن شئت فاستقم وإن شئت فاستأخر - والسلام -.

قال: فسار طاهر بن الحسين في جيش عرمرم، والتقى القوم للقتال، واشتبك الطعام والضراب بين الفريقين، فجعل نصر بن شيث يضارب القوم بسيفه وهو يرتجز ويقول:

إني غلام قد خرجت من مضر * أضرب بالسيف إذا الرمح انكسر

قال: واقتتل القوم قتالا شديدا. قال: وجعل طاهر يكر على الخيل التي لنصر بن شبث فيقاتل أشد قتال، ثم يقف ويتروح ويقول:

دهن الغبار وصحفتي مصقولة * ومطيتي ظهر الأقب الأشقر
وإذ تنازعني أقول لها اصبري * موت يريحك أو صعود المنبر

---

(١) البيتان في الطبري، قالها طاهر بن الحسين بعد قتله محمد الأمين. ولعله تمثل بهما هنا.

قال: وكان يقال إنه يقف ويتروح ويقول:
ما لبست الدرع مذ كنت حذارا من حمامي * لا ولا أنا بالذي كنت فرارا من مقامي
قال: ثم وقعت الهزيمة على طاهر بن الحسين وأصحابه، وانهزموا من باب مدينة كيسوم إلى باب مدينة الرقة زهاء عن أربعين ميلا، ويقال أربعين فرسخا.
قال: فلم يزل نصر بن شبث يضاربهم بالسيف إلى أن مات طاهر بن الحسين.
قال: ووجه المأمون إلى نصر بن شبث بعبد الله بن طاهر (١) في ثلاثين ألف، فلما علم نصر بن شبث بكثرة هذه الجيوش فكأنه اتقى على نفسه وبني عمه وأن تذهب نعمته وتخرب مدينته، فأرسل إلى عبد الله بن طاهر يسأله الأمان فأعطاه ذلك (٢)، فدخل نصر بن شبث في أمانه فأحسن إليه عبد الله بن طاهر وولاه وخلع عليه ووصله ووفى له، وانصرف إلى العراق عنه.
وروي أنه طلب الأمان على أنه لا يطأ بساط المأمون أمير المؤمنين، فقال له (٣) محمد بن جعفر (٣): لم لا تطأ بساط المأمون؟ فقال: لجرمي، فقال المأمون: والله
ما تركته على ذلك أو يطأ بساطي! أتراه أعظم جرما من (٤) الفضل بن الربيع (٤) فإنه أخذ قوادي وأموالي وجندي وسلاحي وجميع ما أوصى به أبي لي فذهب به إلى محمد وتركني بمرو فريدا وحيدا وأفسد علي أخي حتى كان من أمره ما كان. فكتب المأمون لنصر بن شبث كتابا فيه الأمان (٥).

ذكر خروج طاهر بن الحسين على المأمون ووفاته

قال: وكان طاهر بن الحسين عند المأمون فحضر في بعض أيامه فجلس الشرب، فأمره بالجلوس فقال: يا أمير المؤمنين! ليس لصاحب الشرطة أن يجلس بين يدي سيده، فقال له المأمون: ذلك في مجلس العامة وأنا في مجلس الخاصة،

---

(١) كذا وفي ابن الأثير ٤ / ١٨٥ أن المأمون ولى عبد الله بن طاهر من الرقة إلى مصر سنة ٢٠٦ وأمره بحرب
نصر بن شيث، وقد كانت وفاة أبيه طاهر سنة ٢٠٧.
(٢) وكان ذلك سنة ٢٠٩.
(٣ - ٣) عن ابن الأثير ٤ / ٢٠١ وبالأصل (جعفر بن محمد).
(٤ - ٤) عن الطبري ٨ / ٥٩٨ وابن الأثير ٤ / ٢٠١ وبالأصل الربيع بن الفضل.
(٥) انظر نسخة الأمان في الطبري ٨ / ٦٠٠.

فأذن له أن يجلس، ثم بكى حتى اغرورقت عيناه بالدموع، فقال له طاهر: لم بكيت يا أمير المؤمنين؟ لا أبكى الله لك عينا وأذعنت لك العباد! قال: أبكي لامر ذكرته. قال: وانصرف طاهر واستدعى بهارون بن جيغونة (١) وقال: خذ معك ثلاثمائة ألف درهم فاعط الحسين الخادم مائتي ألف - وكان مقدما عند المأمون يطلع على جميع أسراره وما في نفسه - واعط كاتبه محمد بن هارون مائة ألف درهم واسأله
أن يسأل المأمون لم كان بكاءه. قال: ففعل ذلك، فلما تغدى المأمون قال: يا حسين! اسقني، قال: لا والله يا أمير المؤمنين لا أسقيك حتى تقول لم كان بكاءك حين دخل عليك طاهر بن الحسين! قال: يا حسين! هذا أمر إن خرج من رأسك قتلتك! قال: يا سيدي! ومتى أخرجت لك سرا! قال: إني ذكرت محمدا أخي وما ناله من الذلة فخنقتني العبرة فاسترحت إلى الإفاضة ولن يفوت طاهر مني ما يكره، فأخبر حسين طاهرا بذلك. فركب طاهر إلى أن أتى إلى [أحمد بن] أبي -] (٢) خالد، فقال: إن الثناء مني ليس برخيص وإن المعروف عندي ليس بضائع فغيبني عنه وعن عينه - يعني المأمون -، فقال: سأفعل (٣) ذلك، وركب ابن أبي خالد
إلى المأمون فقال له: ما نمت البارحة، فقال: لم؟ فقال: لأنك وليت غسان (٤) خراسان وهو ومن معه أكلة رأس، فأخاف أن يخرج عليه خارجة من الترك فتصطلمه، قال: فمن ترى لها؟ قال: طاهر بن الحسين، قال: يا أحمد! هو والله خالع. قال: أنا الضامن له فأنفذه يا أمير المؤمنين! فدعا بطاهر من ساعته فعقد له، فشخص من وقته ونزل بستان خليل بن هاشم، فحمل إليه في كل يوم ما أقام به مائة ألف درهم التي يحمل إلى صاحب خراسان والجبال من حلوان، وكان خروجه من بغداد ليلة الجمعة لليلة بقيت من ذي القعدة [سنة ٢٠٥]. فودع طاهر ابنه عبد الله وكتب له كتابا جمع فيه آداب الأولين والآخرين وعلمه فيه السياسة (٥). فخرج طاهر إلى خراسان وعبد الله ابنه إلى مصر وأرض الشام.
فلما دخلت سنة (٦) سبع ومائتين (٦) توفي فيها ذو اليمنين طاهر بن الحسين وكان

---

(١) في الطبري ٨ / ٥٧٨ جبغويه.
(٢) عن الطبري وابن الأثير.
(٣) عن الطبري، وبالأصل (ما فعل).
(٤) عن الطبري، وبالأصل (عنان).
(٥) انظر نسخة كتابه: الوصية في الطبري ٨ / ٥٨٢.
(٦) بالأصل (تسع وثمانين) خطأ.

اعتل من حمى وحرارة (١)، فوجد في فراشه ميتا. وكان قبل وفاته بيوم صعد المنبر فخطب، فلما بلغ إلى ذكر الخليفة أمسك عن الدعاء له وخلعه وقال: اللهم أصلح أمة محمد بما أصلحت به أنبياءك واكفها مؤنة من بغي عليها! وكان كلثوم بن (٢) ثابت بن أبي سعد (٢) على بريد خراسان اتقى لنفسه ولمن يخصه فقال: أنا مقتول
لأني لا أكتم الخبر. قال: فانصرفت فاغتلست غسل الموتى وائتزرت بإزار ولبست قميصا وطرحت السواد عني وكتبت إلى المأمون، فلما صلى العصر دعاني فحدث ما حدث. فخرج طلحة بن طاهر فقال: ردوه! فردوني وقد خرجت، فقال لي: قد كتبت بما كان؟ [قلت: نعم -] (٣)، قال: فاكتب بوفاته! فأعطاني خمسة آلاف درهم ومائتي ثوب، فكتبت بوفاته وبقيام طلحة بن طاهر بالجيش. قال: فوردت الخريطة على المأمون بخلعه غدوة ودعا بابن أبي خالد فقال له: اشخص وائت به كما ضمنته. قال: أبيت ليلتي! فأذن لي بعد ج هد، ووافت الخريطة بموته ليلا فدعاه فقال: قد مات. قال: فمن ترى؟ قال: ابنه طلحة، فقال: هو الصواب.
قال: فاكتب بولايته، فكتب. وأقام طلحة واليا على خراسان في أيام المأمون ست سنين بعد موت أبيه طاهر ثم توفي، وولى عبد الله بن طاهر خراسان، فكان يتولى قتال بابل (٤)، فأقام بالدينور (٥) ووجه الجيوش. فلما وردت وفاة طلحة على المأمون بعث يحيى بن أكثم إلى عبد الله بن طاهر يعزيه في أخيه ويهنئه بولاية خراسان.
وولى علي بن هشام حرب بابل (٦). ولما أتى المأمون نعي طاهر بن الحسين قال: الحمد لله الذي قدمه وأخرنا.
فلما فتح عبد الله بن طاهر مصر وصار واليا عليها وعلى الشام كتب إلى المأمون كتابا، فكتب المأمون جوابه في ظهر الكتاب الذي له وهو يقول:

---

(١) وفي رواية أنه مات مسموما وقد وضع له السم ابن أخي محمد بن فرخ العمركي وقد أرسله إليه احمد بن أبي خالد، وقيل وضع له السم خادم للمأمون كان قد عهد إليه إن رأى من طاهر شيئا يريبه أن يسمه (اليعقوبي ٢ / ٤٥٧ البداية والنهاية ١٠ / ٢٦٠.
(٢ - ٢) عن الطبري ٨ / ٥٩٤، وبالأصل (أبي ثابت بن أبي سعيد).
(٣) زيادة عن الطبري.
(٤) في الطبري: بابك.
(٥) عن الطبري، وبالأصل (الدثور).
(٦) الطبري ٨ / ٥٩٥ بابك.

أخي أنت [و -] مولاي * ومن أشكر نعماه
فما أحببت من أمر * فإني الدهر أهواه
وما تكره من شيء * فإني لست أرضاه
لك الله على ذاك * لك الله لك الله

فقال رجل من إخوته (١) للمأمون: يا أمير المؤمنين! إن عبد الله بن طاهر يميل إلى ولد أبي طالب وكذا كان أبوه قبله. فلما سمع المأمون ذلك اغتم غما شديدا ودس عليه رجلا في هيئة الفقراء والزهاد والنساك وأنفذه إلى مصر، فقال له: ادع جماعة من كبرائها إلى القاسم بن إبراهيم بن طباطبا واذكر من مناقبه شيئا ثم صر بعد ذلك إلى بعض بطانة عبد الله بن طاهر، ثم ائته وادعه وابحث معه عن دفين نيته بحثا شافيا وأتني بما تسمع منه. فعمل الرجل ذلك ودعا جماعة إلى ما أوصاه المأمون. ثم كتب رقعة إلى عبد الله ودفعها إليه وقت ركوبه، فلما انصرف خرج الحاجب إليه فأدخله عليه وهو قاعده وحده، فقال له: قد فهمت جملة من كلامك، فهات ما عندك! فقال الرجل: ولي أمانك وثقة الله (٢)؟ قال: لك ذلك، فأظهر له ما أراد ودعاه إلى القاسم، فقال له عبد الله: أتنصفني أيها الرجل؟ قال: نعم، [قال] فهل يجب الشكر لله على العباد؟ قال: نعم، قال: فهل يجب الشكر للناس بعضهم لبعض عند الاحسان؟ قال: نعم، قال: فتجيء إلي وأنا على هذه الحالة التي ترى، ولي خاتم بالمشرق وخاتم بالمغرب وفيما بينهما أمري مطاع وقولي مقبول، ثم إني إذا التفت عن يميني وشمالي فأرى نعمة هذا الرجل لي غامرة قد ملك بها رقبتي فتدعوني إلى الكفر بهذه النعم، وتقول لي اغتدر، والله لو دعوتني إلى الجنة عيانا لما نكثت بيعة هذا الرجل، فسكت الرجل. ثم إن عبد الله قال للرجل: والله إني أخاف على نفسك فارحل عن هذا البلد لتسلم.

فلما أيس الرجل من عبد الله بن طاهر وأنه لم يستجب له بشيء مما حدثه عاد الرجل قافلا إلى بغداد، فوصل إلى المأمون فأخبره الخبر، فسر المأمون وقال: ذلك غرس يدي وترب تلقيحي، فلا تظهرن لاحد من ذلك شيئا.

وفي هذه السنة وهي سنة إحدى عشرة (٣) ومائتين نادى المأمون: برئت الذمة

---

(١) أي من إخوة المأمون.
(٢) الطبري: ولي أمانك وذمة الله معك.
(٣) بالأصل: إحدى عشر.

ممن ذكر معاوية أو فضله على أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
وأظهر قوله بخلق
القرآن وتفضيل علي بن أبي طالب (١)، وكتب إلى إسحاق بن إبراهيم في امتحان القضاة والمحدثين وإظهار القول بالعدل والتوحيد وخلق القرآن - فقال كل من ذكر في
الكتاب بخلق القرآن، إلا الذي كتب هذا الكتاب محمود فإنه يشهد أن القرآن منزل غير مخلوق، ونعوذ بالله من إلحاد الملحدين، ورجعت إلى ما كان - قال: فأجاب الناس إلا أربعة نفر منهم أحمد بن حنبل وسجادة والقواريري ومحمد بن نوح، فأمر بهم (٢) إسحاق بن إبراهيم (٢) فشدوا في الحديد، فأجاب سجادة فأطلقه وكذلك القواريري، وحمل محمد بن نوح وأحمد بن حنبل إلى طرسوس.

ذكر تزويج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل

قال: وتزوج المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وبنى بها في شهر رمضان المعظم سنة عشر (٣) ومائتين، فلما جلس المأمون معها نثرت عليها جدتها ألف درة في صينية ذهب، فأمر المأمون أن تجمع وتجعل في الاناء كما كانت وتوضع في حجرها، فقال: هذه نحلتك وسلي حاجتك! فقال لها جدتها: كلمي سيدك أمير المؤمنين! فسألته الرضى عن إبراهيم بن المهدي، فقال: قد فعلت، ثم سألت الاذن لزبيدة أم جعفر في الحج، فأذن لها. فلما نظر المأمون إلى بوران وهي جالسة على حصير من ذهب وقد نثرت عليها الدر الكبار، والدر يلوح على الحصير المذهب، فقال المأمون: قاتل الله الحسن بن هانئ كأنه رآني حيث يقول:

كأن صغري وكبري من مواقعها * حصاة در على أرض من الذهب

وفي تلك الليلة أوقدت شمعة عنبر وزنها أربعون منا في تور من ذهب، فأنكر المأمون ذلك وقال: هذا إسراف. وأقام المأمون عند الحسن بن سهل تسعة عشر (٤) يوما.

ومات في هذا العام شهريار بن شروين (٥)، فصار في موضعه سابور ابنه،

---

(١) كان ذلك سنة ٢١٢ كما في الطبري، وابن الأثير، وذلك في شهر ربيع الأول منها.
(٢ - ٢) عن الطبري ٨ / ٦ وبالأصل إبراهيم بن إسحاق.
(٣) في الأصل: عشرة.
(٤) بالأصل: (تسع عشرة) خطأ، وفي ابن الأثير ٤ / ٢٠٦ سبعة عشر يوما.
(٥) صاحب جبال طبرستان كما في الطبري وابن الأثير.

فنازعه مازيار بن قارن فأسره وقتله، وصارت الجبال في يد مازيار.
ذكر خروج إبراهيم بن المهدي على المأمون
قال: لما ورد علي بن موسى إلى المأمون أكرمه وبر به، وجعل الخلافة له بعد موته (١)، وكتب له عهدا وثيقا وأشهد عليه به (٢)، وأعطاه ابنته أم حبيب، وزوج ابنته
أم الفضل من محمد بن [علي بن -] (٣) موسى - وسماه الرضى من آل محمد صلى الله عليه وسلمن،
وضرب السكة باسمه وكتب ذلك إلى الآفاق، وأسقط لبس السواد، ولبس الخضرة وأمر بذلك. فلما ورد كتابه إلى بغداد وشق ذلك على العباسيين فخلعوا المأمون وبايعوا لعمه إبراهيم بن المهدي بالخلافة ومن بعده لابن أخيه إسحاق بن موسى، وقد ذكر ذلك دعبل بن علي الخزاعي في قصيدة له حيث يقول:
نفر ابن شكلة بالعراق وأهلها * فدنا إليه كل نذل مائق
أنى يكون ولا يكون ولم يكن (٤) * يرث الخلافة (٥) فاسق عن فاسق
وذلك في سنة اثنتين ومائتين، وكان يعرف إبراهيم ابن شكلة وسموه المبارك.
فلما سمع المأمون منهم ذلك انتقل من خراسان ومعه علي بن موسى الرضى حتى صار إلى طوس، فلما صار أقام عند قبر أبيه أياما، ثم إن علي بن موسى الرضى أكل عنبا فأكثر منه فمات فجأة (٦)، وذلك في آخر صفر سنة ثلاث ومائتين، فأمر به المأمون أن يدفن عند قبر أبيه الرشيد، وصلى عليه المأمون، وشخص إلى بغداد، فلما وصل ببغداد اختفى إبراهيم بن المهدي، وانكسفت الشمس انكسافا ذهبا ضوءها، وغاب أكثر من ثلثيها، وذلك يوم الاحد لليلتين بقيتا من ذي الحجة.
فكانت أيام إبراهيم بن المهدي كلها سنة واحدة وأحد عشر (٧) شهرا، وانقطعت مادة الفتنة.
وكان بنو العباس جميعهم يختلفون إلى المأمون في الخضرة وكل من يرى عليه

---

(١) وكان ذلك سنة ٢٠١.
(٢) نسخة كتاب المأمون لعلي بن موسى الرضا في صبح الأعشى ٩ / ٣١٢ ومآثر الإنافة ٢ / ٣٢٥.
(٣) زيادة عن الطبري وابن الأثير.
(٤) عن الطبري ٨ / ٦٦١ وبالأصل (ولم يكون ولا يكن).
(٥) في الطبري: لينال ذلك.
(٦) وقيل إنه مات مسموما (انظر مروج الذهب ٤ / ٣٣ تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٥٣).
(٧) الأصل: إحدى عشر.

السواد يخرق، فاجتمع بنو هاشم إليه وقالوا: يا أمير المؤمنين! تركت لباس أهل بيتك ودولتهم ولبست الخضرة، فقال لهم المأمون: إن عليا رضي الله عنه ولى عبد الله بن العباس البصرة وعبيد الله (١) اليمن، ومعبدا (٢) مكة وقثم البحرين، فكانت هذه في أعناقنا حتى كافيناه في ولده بما فعلت، ولا يكون بعد هذا إلا ما تحبون، وكتب إليه في ذلك قواد خراسان، ثم إنه ورد عليه بعد الله بن طاهر بن الحسين وكان يبجله ويكرمه إكراما عظيما وأمره أن يسأله حوائجه، وكان أول من سأله

رد السواد ولبسه وأن يعيد دولة الاباء، فلما كان يوم السبت الذي يتلوه جلس المأمون وعليه ثياب خضر، فلما اجتمع إليه بنو العباس والقواد والكتاب وكان مجلسا عاما، فاجتمع الناس إليه فدعا المأمون بالسواد فلبسه، ودعا بخلعة سوداء ألبسها ابن طاهر (٣)، ثم دعا بعدهم قوادا فألبسهم أقبية وقلانس سود، وذلك يوم السبت لسبع بقين من صفر. وكان المأمون لبس الخضرة بعد دخوله بغداد تسعة (٤) وعشرين يوما.

وقيل: كان المأمون لما خرج من خراسان ووصل في عقبة حلوان قال لأحمد بن [أبي -] (٥) خالد: إني لأجد رائحة العراق وقد ذكرت في هجومنا على أهل بغداد وليس معنا إلا خمسون ألف درهم مع فتنة غلبت على قلوب الناس واستبعدوها فكيف يكون إن هاج هائج، ثم قال بعد أن أطرق مليا: اعلم أن الناس على طبقات: ظالم، ومظلوم، ولا ظالم ولا مظلوم، أما الظالم فليس يتوقع إلا عفونا، وأما المظلوم فليس يتوقع إلا أن ينتصف بنا، ومن كان لا ظالما ولا مظلوما فبيته يسعه.

ثم إن المأمون لم يزل في طلب إبراهيم بن المهدي حتى أخذه متنقبا مع نسوة فجلس ثم أحضره حتى وقف بين يديه (٦)، فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، فقال أمير المؤمنين: لا سلام الله عليك استغواك الشيطان حتى حدثتك نفسك بالأباطيل وبما ينقطع منه الأعناق. فقال إبراهيم: يا أمير المؤمنين!

---

(١) بالأصل (عبد الله) خطأ.

(٢) بالأصل: (سعيد).

(٣) في الطبري وابن الأثير: (طاهر) يعني طاهر بن الحسين وكان لا يزال حيا، وكان ذلك في سنة ٢٠٤.

(٤) في الطبري ٨ / ٥٧٥ سبعة وعشرين.

(٥) زيادة عن الطبري.

(٦) وكان ذلك في شهر ربيع الاخر سنة ٢١٠ كما في الطبري وابن الأثير، وفي مروج الذهب سنة ٢٠٧ وفي اليعقوبي في أول سنة ٢٠٨.

مهلا مهلا، فإن ولي الثأر محكم في القصاص والعفو أقرب للتقوى، ولك من رسول الله صلى الله عليه وسلم قرابة وشرف وعدل السياسة، ومن تناوله الاغترار (١) بما مد له من
أسباب العدل (٢) والرجاء أمن معاداة الدهر على نفسه وهجمت به الأيام على التلف، وقد جعلك الله فوق كل ذي ذنب (٣) كما جعل كل ذي ذنب دونك، فإن أخذت فأخذت بحقك، وإن عفوت فبفضلك، والفضل بك أولى يا أمير المؤمنين! وأنشأ يقول:

ذنبي إليك عظيم وأنت أعظم منه * فجد بحقك أولا فاصفح بعفوك عنه
إن لم أكن في من الكرم فكن هو

قال: فرقرق الدمع يجول في عيني المأمون ثم قال: يا إبراهيم! القدرة تذهب بالحفيظة والندم توبة وبينهما عفو الله، وهو أعظم مما يحاول وأكبر مما يؤمل، ولقد جئت إلى العفو حتى ظننت وخفت أن لا أوجر عليه (لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم) (٤). ثم أمر بفك حديده والاخذ من شعره، وأدخله الحمام وخلع عليه، ورد أمواله جميعها إليه، فأنشأ إبراهيم يقول:

رددت مالي ولم تضنن علي به * وقبل ردك مالي قد حقنت دمي (٥)
فإن جحدتك ما أوليت من كرم * إني أبا للوم أولى منك بالكرم

قال: ثم إنه أنشأ أيضا (٦):

إن الذي خلق الفضائل كلها * في صلب آدم للامام السابع
ملئت قلوب الناس منك مهابة * فتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع (٧) إليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا * وعويل عانسة كقوس النازع

---

(١) مروج الذهب ٤ / ٣٥ من تناوله الزمان واستولى عليه الاغترار.
(٢) الطبري وابن الأثير ومروج الذهب: أسباب الشقاء.
(٣) في المصادر: عفو.
(٤) سورة يوسف، الآية ٢٢.
(٥) في مروج الذهب ٤ / ٣٧ مع ثلاثة أبيات أخرى والبيت الثاني لم يرد فيه.
(٦) الأبيات في الطبري ٨ / ٦٠٤ ابن الأثير ٤ / ٢٠٤ مروج الذهب ٤ / ٣٥ باختلاف بعض الالفاظ.
(٧) عن المصادر، وبالأصل (لم أشفع).

وفي رواية أخرى: إنهما لما تخاطبا قال المأمون: إن هذين أشارا علي بقتلك وأومأ إلى الحسن بن سهل وابنه العباس، فقال: يا أمير المؤمنين! إنهما أشارا عليك بما يشار على مثلك في مثلي، لكنك دفعت ما خفت بما رجوت، وكفاك الله مؤنة الكلف. فقال المأمون: مات والله الحقد عند حسن الاعتذار، وإن من الكلام لما هو أحسن من الدر، وهذا منه اعتذار من ذنبك يا عم! فقال: يا أمير المؤمنين! إن ذنبي عظيم وهو أعظم من أن أتفوه به في عذر، وعفو أمير المؤمنين أجل من أن أقابله بشكر، فقال المأمون: عد يا عم إلى رتبتك والانبساط وكثرة النشاط، فقال: على شريطة يا أمير المؤمنين؟ فقال: شريطة ممطاة، وحكومة مستجلاة، فقال إبراهيم: إذا قد أكملت المنة، وتممت العارفة، وهممت الموهبة، فأريد أن تكون لي أمير المؤمنين بظهر كما قيل:

فما عز أن واش وشى بي عندكم * فلا ترهبنه أن يقال له مهلا
كما إنه لو قد وشى بي عندكم) لقلنا تزحزح لا قربا ولا سهلا

فقال المأمون: فأزيد عليه وأقول:

وساعي إن أتى بعيب عزه نسوة * جعل الاله خدودهن نعالا

وأزيد عليه فأقول:

ما حطك الواشون من رتبة * عندي وما ضرك مغتاب
كأنهم أثنوا ولم يعلوا عليك * وعندي بالذي عابوا

قال: وكان بعد ذلك إذا دخل عليه وهو نشوان أو على شرب يقول له: أنت الخليفة الأسود، فقال له يوما: ما أنت الخليفة الأسود؟ فقال: أنا الذي من عليه أمير المؤمنين بالعفو عند المقدرة، ولكني كما قال عبد بني الحسحاس (١):

أشعار عبد بني الحسحاس حين أتى * عند الفخار مقام العين والورق
إن كنت عبدا فنفسي حرة كرما * أو أسود الخلق إني أبيض الخلق

فقال المأمون: يا عم! أخرجك الهزل إلى الجد، لكنك كما قيل في المعنى:

---

(١) بالأصل: (عبيد بن الحساس) خطأ.

ليس يزري السواد بالرجل * ولا بالفتى الأديب الأريب (١)
إن يك للسواد منك نصيب * فبياض الاخلاق منك نصيبي
قال: فما عاوده المأمون بالتقريع بعدها.
وقيل: إنما وقعت الفتنة ببغداد لان المأمون ولى الحسن بن سهل أمور العراق، فقصر في أمور الخاصة والعامة، فوقعت الفتنة والقتال ونقموا عليه أشياء، ولهذا بايعوا إبراهيم بن المهدي، فشخص المأمون عند ذلك من خراسان، ثم إن الحسن بن سهل غلب عليه السوداء وتغير عليه عقله، فشد بالحديد وحبس في بيت (٢). وكان المأمون ولى الحسن بن سهل كل ما افتتحه طاهر بن الحسين من كورة الجبال والفارس والأهواز والبصرة والكوفة والحجاز، فقيل للمأمون: إن طاهر بن الحسين قد أبلى في طاعتك ما أبلى، وافتتح ما افتتح من البلاد، وقاد إليك الخلافة مزمومة، فلما وطأ لك الامر أخرجته من البيت وصيرته بالرقة في زاوية، حتى ضعف أمره، وإنه لو ك ان على خلافتك ببغداد لضبط الملك ولم يجترئ عليه من اجترأ على الحسن بن سهل. وقيل: إن هذه الكلمات قالها هرثمة في حق الحسن بن سهل، فدس إليه من قتله (٣). ثم إن المأمون ارتحل من مرو، فلما أتى سرخس شد قوم على الفضل بن سهل وهو في الحمام، فقتلوه بالسيوف حتى مات، وذلك يوم الجمعة سنة اثنتين ومائتين وله ستون سنة، قتله أربعة أنفس (٤).
ذكر بلاد الشاري وخروجه على المأمون
قال: ولما مضت من خلافة المأمون بضعة عشر سنة خرج عليه رجل من الشراة يقال له بلال (٥) بأرض الجزيرة بناحية التحديد من برية سنجار (٦). قال: والتأم

---

(١) كذا والوزن غير مستقيم.
(٢) قيل في السبب حزنه الشديد على أخيه الفضل وكان قد قتل سنة ٢٠٢، وأن مرضه كان سنة ٢٠٣ (كما في
الطبري وابن الأثير) وقيل إن سببها مرض شديد أصابه فهاج به من مرضه تغير عقله فاحتبس في بيته ليتطبب فاستوزر المأمون مكانه أحمد بن أبي خالد (الفخري ص ٢٢٣ وفيات الأعيان ٢ / ١٢٣).
(٣) في الطبري وابن الأثير: قتله الفضل بن سهل.
(٤) وهم غالب المسعودي الأسود، وقسطنطين الرومي، وفرج الديلمي، وموفق الصقلبي (ابن الأثير ٤ / ١٧٥) وانظر تاريخ اليعقوبي ٢ / ٤٥١.
(٥) هو بلال الضبابي الشاري خرج سنة ٢١٤ على المأمون كما في الطبري ٨ / ٦٢٢.
(٦) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة.

إليه الناس فصار في جمع كثيف، وجعل المأمون يوجه العساكر عسكرا بعد عسكر، فكان كلما أتاه عسكر واقعه فهزمه، فلما رأى المأمون ذلك خرج إليه بنفسه حتى نزل بقرية يقال لها العلث وهي بضع عشر فرسخا من بغداد، ثم إنه وجه القواد والشاكردية في طلب بلال الشاري. قال: وعلم بلال بذاك فتنحى بين يديك تلك العساكر حتى دخل إلى بعض البراري حتى خفي أمره، وطلب فلم يوجد. قال: ودخل شهر رمضان فرجع المأمون إلى بغداد في جميع عسكره. قال: وعلم بلال بذلك وأن المأمون رجع إلى بغداد فجعل يجمع الجموع حتى صار في جميع عظيم. قال: وبلغ ذلك المأمون، فدعا بابنه العباس وابنه هارون وضم إليهما جيشا عظيما وأمرهما بالمسير إلى بلال الشاري، فأقبل العباس وهارون (١) ابنا المأمون حتى صارا إلى الموصل، ثم رحلا من مدينة الموصل إلى مدينة يقال لها بلد، فنزلاها وأعطيا الناس الارزاق. ثم إنهما رحلا من بلد إلى أن دخلا برية سنجار، والتقى القوم للقتال بقرية يقال لها تل أعفر، فاقتتلوا قتالا شديدا، فوقعت الهزيمة على أصحاب المأمون فانهزموا إلى أن صاروا إلى مدينة بلد. وبلغ ذلك المأمون فدعا بعجيف بن عنبسة وعلي بن هاشم (٢)، فضم إليهما عشرة آلاف رجل، ووجه بهما مؤنة لابنيه العباس وهارون. قال: فاجتمعت العساكر ببلد، ثم ساروا نحو بلال الشاري. والتقى القوم في برية سنجار فاقتتلوا قتالا شديدا، ووقعت الهزيمة على الشاري. وقتل من عسكره نيف عن ثلاثة آلاف فارس، وانهزم الباقون مشردين في البلاد، واحتوى أصحاب المأمون على دوابهم وأسلحتهم. ثم حمل رأس بلال الشاري ورؤوس أصحابه إلى المأمون.

ذكر خروج المأمون إلى بلاد الروم

قال: لما قتل بلال الشاري عزم المأمون على غزو بلاد الروم (٣)، ثم إنه دعا بإسحاق بن إبراهيم بن مصعب فاستخلفه على بغداد وعزم على الغزو. وقال مسرور الكبير: فإني لواقف بين يدي المأمون في وقت خروجه إلى بلاد الروم، وفي يدي درع، يريد المأمون أن يلبسه إذ خرجت عليه جارية يقال لها عرنت (٤) وكانت تهواه

---

(١) في الطبري: هارون بن محمد بن أبي خالد.

(٢) في الطبري: علي بن هشام.

(٣) وكان ذلك في سنة ٢١٥ ه.

(٤) كذا، بدون نقط، ولم نعثر به.

ويهواها، فقالت، ما هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أريد الخروج إلى بلاد الروم، فقالت: قتلتني والله يا أمير المؤمنين! ثم أدرت دموعها على خديها، وأنشأت تقول:

سأدعوك (١) دعوة المضطر ربا * يثيب على الدعاء ويستحب
لعل الله أن يكفيك حربا * ويجمعنا كما تهوى القلوب

قال: فضمها المأمون إلى صدره وأنشأ يقول:

فيا حسنها إذ يغسل الدمع كحلها * وإذ هي تذري الدمع عنها الأنامل
عشية قالت: يا حبيبتي قتلتني * وقتلي بما قالت هناك تحاول

ثم قال: يا مسرور! احفظها وتعهدها إلى حين رجوعي، فلولا قول الأخطل حيث يقول:

[قوم -] (٢) إذا حاربوا شدوا مآزرهم * دون النساء ولو باتت بأطهار

فلولا هذا البيت لأقمت. ثم خرج المأمون من بغداد في عسكر لجب حتى صار إلى الموصل فنزلها حتى تلاحق به الناس. ثم خرج المأمون من الموصل سائرا إلى بلاد الجزيرة حتى صار إلى الرقة إلى قصر أبيه الرشيد. ثم دعا بابنه العباس فضم إليه جيشا وأمره أن يدخل إلى بلاد الروم من ناحية طرسوس (٣)، قال: ومضى المأمون حتى دخل بلاد الروم من درب يسمى درب الحرب، فكان أول ما فتح الله على يديه من بلاد الروم مطمورة ويقال لها مأجدة فأعطاهم الأمان، ثم نقلهم عنها إلى طرسوس. ثم سار حتى نزل على قرية يقال لها قرة فحاربه أهلها حربا شديدا، ثم إنهم سألوه الأمان بعد ذلك على أنهم يدفعون إليه نفرا من أسارى المسلمين قد كانوا عندهم محبسين. قال: ثم رحل المأمون عنهم حتى نزل على أخرى يقال لها أرله (٤)، فلما قاربها أتاه الخبر أن أهل قرة قد غدروا، فسار إليهم المأمون حتى نزل عليهم، ثم أمر بالمنجنيق فنصب على حصنهم من كل ناحية، وحاربهم حربا شديدا

---

(١) عن البداية والنهاية ١٠ / ٣٠٦ وبالأصل سارعوا.
(٢) زيادة عن البداية والنهاية.
(٣) في الطبري ٨ / ٦٢٣ وابن الأثير ٤ / ٢١٩: من ملطية. ومن طرسوس كان دخول المأمون إلى بلاد الروم.
(٤) كذا، ولم نعثر به.

حتى قتل منهم جماعة وهدم ناحية من حصنهم بحجارة المجانيق. قال: عندها صاح القوم وطلبوا الأمان، فأمنهم ورفع عنهم السيف، ثم دعا ببطريق يقال له باطليش فأعطاه ألف دينار، وأمرهم أن يرموا حصنهم لما كانت المجانيق قد أثرت فيه. قال: ثم أقبل المأمون حتى نزل على المطمورة التي يقال لها معلويه (١)، فلما نزل عليها وهم بحربهم خرجوا إليه فطلبوا الأمان، فأعطاهم ذلك وكساهم وأحسن إليهم وردهم إلى حصنهم. قال: ثم دعا المأمون مولى له يقال له عجيف بن عنبسة فضم إليه جيشا ووجه به إلى عزالينوس صاحب حصن سنان (٢). قال: فأقبل عجيف ومعه قائد من قواد المأمون يقال له جعفر بن دينار (٣)، حتى نزلا على حصن سنان. قال: ونظر عزالينوس إلى الخيل قد أحدقت بالحصن فخرج إلى عجيف بالأمان وأعلمه بأنه سامع مطيع. قال: فبعث عجيف إلى المأمون بذلك، فبعث المأمون يأمر عجيفا بالانصراف عنهم، فانصرف عجيف من حصن سنان.

قال: وجاء الشتاء فرحل المأمون عن بلاد الروم حتى صار إلى دمشق فنزلها.

قال: فأرسل توفيل بن ميخائيل ملك الروم رسلا فقدموا على المأمون وهو يومئذ بدمشق، فدفعوا إليه كتاب صاحبهم [توفيل بن] ميخائيل، فنظر المأمون فإذا عنوان الكتاب: من توفيل بن ميخائيل إلى عبد الله بن هارون. قال: فغضب المأمون ورمى الكتاب من يده، ثم أقبل على الرسول فقال: خبروني ما الذي حمل صاحبكم على أن يكتب إلي وبدأ باسمه قبل اسمي؟ قالوا: لا نعلم إنما نحن رسل وما علينا إلا البلاغ المبين، فقال المأمون: صدقتم وليس أكلفكم ما لا طاقة لكم به، لكن قد علمتم أني أسن منه بل بعض ولدي أسن منه؟ فقالوا: قد علمنا ذلك ولا شك فيه. فقال المأمون: كان يجب عليه أننا لو كنا متساويين في الدين أن يقدمني على نفسه، والأخرى أني خليفة، وأبي الرشيد وجدي المهدي خليفة، وخال أبي أبو المنصور خليفة، وأنا ابن الخلائف، لا يدفعني عن ذلك دافع، وأخرى فيعلم أني قدمت من حرب محمد ابن زبيدة، وأخرى فقد علم صاحبكم أني نازل بمدينة دمشق وهي دار بني أمية وقصبة مملكتهم، فهم الذين غصبونا حقنا وبعد هذا عزالينوس صاحب حصن سنان مخالف لصاحبكم، فليس يقدر واحد منهما على ضرر ولا نفع مع كثرة

---

(١) كذا، ولم نعثر به.

(٢) في ابن الأثير: سناذ.

(٣) في الطبري وابن الأثير: جعفر الخياط.

من معه من الخيل والجنود، فكيف يكتب إلي بكتاب يبدأ فيه باسمه قبل اسمي؟ قال: فقال الرسل: إن أعطيتنا الأمان تكلمنا! فقال: لكم الأمان، فقالوا: من قعد على سرير الملك فقد ساوى غيره من الملوك كائنا من كان، فغضب المأمون وقال: لولا ما أعطيتكم الأمان لما رجع إلى صاحبكم منكم أحد، ولكن ارجعوا بغير جواب وإن كان ملكا يساوي غيره كما تقولون. فرجعت الرسل إلى توفيل فخبروه بما كان من كلام المأمون

قال: وجمع المأمون عساكره وسار يريد بلاد الروم، فأقبل من ناحية طرسوس من درب يقال له درب السلام. ونزل على حصن يقال له أرطيعوا (١)، فلما هم بمحاربة أهله فلم يحاربون وطلبوا منه الأمان، فأحسن إليهم وردهم لحصنهم. ثم سار إلى أن نزل بحصن يقال له الأخرب فافتتحه صلحا.

ثم إنه سار حتى نزل على هرقلة في جميع أصحابه فحاربهم أياما كثيرة لا يفتر من حربهم. فسألوه الأمان فأعطاهم، وإذا رسل توفيل أتوا إلى المأمون بهرقلة يطلبون الصلح، فزبرهم المأمون وقال: لا أرى منه شيئا دون أن يسلم إلي جميع بلاد الروم. قال: فرجعت الرسل إلى توفيل فخبروه بما قال المأمون. ولم يزل المأمون حتى فتح (٢) أخوه أبو إسحاق (٢) اثنين وثلاثين حصنا من حصون الروم. ثم سار بنفسه حتى نزل على حصن يقال له صمله (٣) فقاتل أهله حتى فتحه عنوة وسبى من كان فيه من النساء والذرية.

قال: فبينما المأمون كذلك إذ ورد عليه كتاب من الأفشين وكان عامله ببرقة يخبره أنه قد خرج بمصر رجل يقال له عبدوس الفهري. وقد التأم إليه خلق كثير.

قال: فرحل المأمون من بلاد الروم بعساكر يريد بلاد مصر، حتى نزل في موضع يقال له العريش ودعا بأخيه أبي إسحاق فضم إليه جيشا كثيفا وأمره أن يطلب عبدوسا الفهري. فانحاز عبدوس هو وأصحابه إلى ناحية من أرض مصر. قال: وأحدقت به الخيل من كل جانب واشتعلت النار حواليه، فلما نظر إلى ذلك خرج هاربا هو وأصحابه، فأخذ أسيرا ومعه أصحابه، فضرب المأمون عنقه وعنق أصحابه،

---

(١) كذا بالأصل، وفي الطبري ٨ / ٦٢٥ وابن الأثير ٤ / ٢٢٠ (انطيغوا).

(٢) وبالأصل (لديه العباس وأبي إسحاق) وما أثبت يوافق سياق عبارة الطبري ٩ / ٦٢٥.

(٣) كذا ولم نعثر به.

وانصرف راجعا حتى وصل مدينة دمشق، فأقام بها أيام الشتوة، ورحل بعساكره حتى نزل بلاد لؤلؤة فحارب أهلها. قال: وإذا كتاب توفيل بن ميخائيل يسأل المأمون أن يكف عن أهل لؤلؤة على أنه يطلق له كل أسير في يديه من المسلمين (١). فأبى ذلك وصعب عليه أمر لؤلؤة، فحصن حولها، ووكل بها قوما من أصحابه، وأمرهم بالمحاربة، ورحل عنها المأمون. فأقبل المأمون إلى بلاد الروم، وبلغ ذلك توفيل فرحل قبل أن يوافيه المأمون إلى بلاده، ونزل المأمون على لؤلؤة وحاصرهم حصارا شديدا إلى أن أخرجوا إليه بالأمان وسلموه لؤلؤة، فأخذ من الأموال والثياب والدواب والرقيق ما أراد. ثم رحل في عساكره إلى أن صار إلى الرقة، فخرج توفيل في ثمانين ألفا فجعل يغير على أطراف بلاد المسلمين، فجعل يقتل الرجال ويذبح الأطفال إلى أن قتل خلقا كثيرا من المسلمين. قال: فأنشد عبد الرحمن في ذلك:

أبلغ لديك سفيه الروم توفيلا * قولا سيلقى له إن عاش تنكيلا
أهلكت نسوان أهل العز قاطبة * والنسل أهلكت تحريفا وتفصيلا

قال: وبلغ المأمون ما قد فعل كلب الروم توفيل بالمسلمين، فاشتد غضبه وجمع عساكره وسار إلى أن نزل في موضع يقال له البذوندون (٢) فمرض هناك، فأمر أن يكتب إلى العمال. فقال [الكاتب: قال لي -] أخوه أبو إسحاق: ألحق في الكتب (من عبد الله المأمون أمير المؤمنين وأخيه أبي إسحاق الخليفة)، فقلت (٣): إنك لتعرضني لسفك دمي، فقال: أحب منك ذلك. فرافقته يومي ذلك وسألت عنه الأطباء فقالوا: إنه لميت، فشاورته في ذلك، فنظر إلى نظرة كاد أن يبلعني وقال: اكتبوا ما شئتم، فكتب ما أراد أبو إسحاق. فلما اشتد مرض المأمون صار يرفع طرفه إلى السماء ويقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من يزول ملكه! يا من لا يموت ارحم من يموت! فتقدمت إليه جارية وجلست عند رأسه وأنشأت يقول:

يا ملكا لست بناسيه * يا ليتني بالنفس أفديه

---

(١) انظر كتاب توفيل إلى المأمون في الطبري ٨ / ٦٢٩ ورد المأمون عليه.
(٢) في الطبري (البدندون) قرية بينها وبين طرسوس يوم من بلاد الثغر. وفي مروج الذهب: بديدون على عيق القشيرة، نهي عين يخرج منها النهر المعروف بالبديدون. وهي بدنس كما جاء في بلدان الخلافة الشرقية ص ١٢٣ للوستيرينج.
(٣) القائل هو الكاتب.

ثم بكت واشتد بكاءها، فأجابها المأمون يقول:

باكيتي من جزع أقصري * قد علق الرهن بما فيه

فلما كان في ليلة الاحد استمسك لسانه وتوفي رحمه الله. وكان قد أكل الرطب وشرب بعده الماء فمات. واعتل أخوه أبو إسحاق إلى أن عاد إلى بغداد.

وقيل: إن المأمون قال لبعض الخدم: من يغني؟ قبل مرضه في بلاد الروم، فقال: يا مولاي ما يغني أحد، فقال: ويلك إنه ليغني بشيء حفظته، وهو هذا:

أم لتعجب لمنزلة ودور * حلت بين المسفر والحرور

كأن بقية الأثر فيه * بقايا الخط بالقلم الزبور

ومات من علته في اليوم الثالث، وكانت وفاته لثلاث عشرة ليلة بقيت من شهر رجب سنة ثماني عشرة ومائتين، وهو يومئذ ابن ثمان وأربعين سنة. وكان مولده سنة سبعين ومائة في شهر ربيع الأول (١)، وكان ربعا (٢) جميلا، طويل اللحية رقيقها قد وخطه الشيب، أقنى أعين (٣)، فخده خال أسود. وكانت خلافته عشرين سنة وسنة أشهر وسبعة عشر يوما. وقد وصى أن يكتب على قبره هذه الأبيات:

الموت أخرجني من دار مملكتي * فالقبر مضطجعي من بعد تتريف

لله عبد رأى قبري فأعبره * وخاف من بعده ريب التصاريف

هذا مصير بني الدنيا وإن جمعوا * فيها وغرهم طول التساويف

أستغفر الله من جرمي ومن زللي * وأسأل الله نورا يوم توقيفي

ذكر سيرة المأمون وما جمع فيه من مكارم الاخلاق

قال: وكان المأمون فصيحا أديبا شاعرا حكيما كريما، وإنه قال لعلي بن صالح: أريد رجلا من أهل الشام يجالسني، فالتمست ذلك فأدخلته إلى المأمون، فلما سلم استدناه وكان في مجلس الشرب. فقال: إني أردتك لمجالستي، فقال

---

(١) انظر في يوم موته ومدة ولايته ومقدار عمره: الطبري ٨ / ٦٥٠ ابن الأثير ٤ / ٢٢٧ اليعقوبي ٢ / ٤٦٩ التنبيه والاشراف ص ٣٥١ المعارف ص ٣٩١ العقد الفريد ٥ / ١١٩ نهاية الإرب ٢٢ / ٢٣٧ مروج الذهب ٤ / ٣.

(٢) يقال: فلان ربعة ومربوع، أي ما بين الطويل والقصير.

(٣) الطبري ٨ / ٦٥١ (أحنى أعين).

الشامي: إن الجليس يا أمير المؤمنين إذا كانت ثيابه دون ثياب جليسه يلحقه لذلك غضاضة، قال: فأمر المأمون أن يخلع عليه، فقال: يا أمير المؤمنين! إذا كان قلبي متعلقا بعيالي فما تكون محادثتي! فأمر له بخمسين ألف درهم تحمل إلى منزله، فقال: يا أمير المؤمنين! وثالثة، فقال: وما هي؟ فقال: دعوت إلي شيء يحول بين المرء وعقله، فإن كانت مني هفوة يغفرها أمير المؤمنين، قال: لك ذلك. وكانت الثالثة منه تمام الكرم.

ومن حلمه أنه لما عفا عن عمه إبراهيم عجزه القوم من أهله وأكثرهم لاموه، فقال:

لما رأيت الذنوب جلت * عن المكافاة بالعقاب
صيرت فيها العقاب عفوا * أحرى من الضرب للرقاب
أرجو بذاك الصلاح جهدي * وعفو ذي الأنعم الرغاب

ومن فصاحته في الشعر أنه نظر يوما إلى غلام حسن الوجه في الموكب فقال: ما اسمك يا غلام؟ فقال: لا أدري، فقال: أو يكن أحد لا يعرف اسمه؟ قال:

فاسمي الذي أعرف به لا أدري * بما يصنع الحب المبرح في صدري
لئن كان بي أمر ونهي عن الورى * فإني طوع الحب والنهي والامر
ولست أبالي الشمس والبدر إنني * أرى كل حسن ليس للشمس والبدر

ومن عدله في حكمه أنه جلس يوما للمظالم، فأتت امرأة فقالت (١):

يا خير منتصف يهدى له الرشد (٢) * ويا إماما به قد أشرق البلد
تشكو إليك عميد الناس أرملة * عدي عليها فما يقوى بها الأسد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها * لما تفرق عني الأهل والولد

قال: فأجابها عن ذلك:

في مثل ذلك عيل الصبر والجلد (٣) * وأقرح القلب هذا الحزن والكمد

---

(١) الأبيات في نهاية الارب ٦ / ٢٧٦ والعقد الفريد ١ / ٢٨ باختلاف بعض الالفاظ.
(٢) عن العقد الفريد ١ / ٢٨ وبالأصل (إلى الرشد).
(٣) في نهاية الإرب:
من دون ما قلت عيل الصبر والجلد

هذا أوان صلاة العصر فانصرفي * وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد
فالمجلس (١) السبت إن يقض (١) الجلوس لنا * أنصفك فيه وإلا المجلس الاحد
فحضرت يوم الاحد، فقال المأمون: من خصمك؟ قالت: العباس ابن أمير المؤمنين، فقال (٢) أمير المؤمنين ليحيى بن أكثم: أجلسها معه، فجعل كلامها يعلو على كلامه. فقال بعضهم: أتصيحين على ابن أمير المؤمنين؟ فقال أمير المؤمنين: أمسك فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه، وأمر برد ضياعها وحملها إلى بلدها، وأعطاها عشرين ألف درهم. وقيل: إن العباس بن المأمون كان مولعا بشراء الضياع، والمعتصم مولعا بجمع الرجال وشراء الغلمان، فكان المأمون إذا رآهما يتمثل بهذين البيتين:

يبني الرجال وغيره يبني القرى * شتان بين قرى وبين رجال
قلق بكثرة ماله وجناده * حتى يفرقها على الابطال

قال الحسن بن سعيد: أخبرني محمد بن حماد قال: كان المعتصم مع أخيه المأمون بالثغر، فلما توفي المأمون أراد الناس أن يبايعوا ابنه العباس فأبى ذلك وقال: ما هذا الحب البارد! قد بايعت وسلمت الخلافة إليه، فسكن الجند. وخرج المعتصم نحو بغداد مسرعا خوفا على نفسه من قواد المأمون، وكانوا قد هموا به لأنهم اتهموه بقتله. قال: فصار المعتصم إلى بغداد في مستهل شهر رمضان سنة ثماني عشرة ومائتين، فصلى على أخيه المأمون، وحمل هو وابنه العباس المأمون فدفناه في دار الخاقان خادم الرشيد (٣). وصار الامر إلى أخيه المعتصم بالله.

[خلافة المعتصم بالله] (٤)

قال: فلما صار الامر إليه وجه إسحاق بن إبراهيم بن مصعب إلى حرب الخرمية، وعقد له على الجبال، فحاربهم فقتل منهم ستين ألفا من الرجال، وهرب الباقون إلى الروم. وكان قد قتل منهم في مدة محاربتهم له نحو مائة ألف مقاتل سوى

(١ - ١) بالأصل (البت أن يقضى) وما أثبت عن العقد الفريد.
(٢) في العقد الفريد: فقال: يا أحمد بن أبي خالد: خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم.
(٣) وذلك في مدينة طرسوس.
(٤) عنوان استدرك عن هامش الأصل.

النساء والصبيان – والله أعلم –.
ذكر تولية الأفشين ومحاربته بابك الخرمي،
وتوليته إرمينية وآذربيجان
قال: فلما استوثق الامر لأبي إسحاق المعتصم بعث عماله إلى جميع البلاد، ثم ولى الأفشين إرمينية وأذربيجان، وأمره أن يحارب بابك الخرمي، فأقبل الأفشين حتى نزل بموضع قد كان بمدينة يقال لها برزند، ثم إنه بناها وجعلها على مفرق هذا الطريق، وهي أربعة طرق ما بين البذ وموقان وأردبيل وورقان ونزلها، واجتمع إليه العساكر فعزم على محاربة بابك الخرمي. قال: وكانت أول وقعة الأفشين مع بابك بموضع يقال له أرشق على سبعة فراسخ من مدينة أردبيل، فانهزم بابك من بين يديه حتى دخل البذ، ووجه الأفشين برجل يقال له محمد بن سليمان السمرقندي إلى مدينة برذعة فولاه إياها، وأقام الأفشين على محاربة بابك، وكان يحاربه حربا دائما، فكتب إليه المعتصم أن أثبت على حربه، ولا تعجل إلى أن يرد عليك كتابي. قال: فكان الأفشين يحارب بابك على الدوام، فأقام المعتصم ببغداد سنتين. ثم خرج سنة عشرين ومائتين، فنزل بموضع يقال له القاطول (١) وأمر ببناء مدينة سامراء (٢)، حتى إذا فرغ من بنائها انتقل إليها فنزلها.
قال: والأفشين في خلال ذلك قد اشتغل بمحاربة بابك وقد ألح عليه بالحرب حتى أخرجه في بلد البذ واحتوى على بلاده، فلما رأى بابك أنه لا طاقة له به خروج من بلده هاربا في عشرين رجلا حتى صار إلى بلد يقال لها كذج (٣) متنكرا كي لا يعرف، قال: فنظر أهل الكذج (٣) إلى بابك فلم يعرفوه، غير أنهم ناوشوه ليأخذوا ما معه من الأثقال. قال: فحمل عليهم بابك فجعل يقاتلهم. قال: فاتصل الخبر بصاحب المدينة واسمه سهل بن سنباط، فأقبل في جماعة من أصحابه، فلما نظر إلى بابك عرفه فجعل يخادعه ويظهر إليه بره ولطفه، حتى آنس إليه بابك فجاء به سهل بن سنباط إلى قلعته، ثم دعاه بالشراب فأكل وشرب، فلما سكر دعا له

---

(١) عن الطبري، وبالأصل (القاطون).
(٢) عن معجم البلدان، وبالأصل (سوس).
(٣) عن معجم البلدان، وبالأصل (الداح) والكذج اسم حصن وناحية بأذربيجان من منازل بابك الخرمي.

سهل بن سنباط بقيد فقيده وشد يمينه إلى عنقه ثم ضمه إلى جماعة من أصحابه وبعث به إلى الأفشين، فلما نظر الأفشين إلى بابك فرح لذلك فرحا شديدا، ثم بعث إلى سهل بن سنباط بهدايا قيمتها ألف ألف درهم. قال: وبلغ المعتصم ما فعله سهل بن سنباط ببابك فأرسل إليه بتاج من ذهب مرصع بالدر والجوهر، فقوم ذلك فكان قيمته خمسمائة ألف درهم، ثم إنه بطرقه على جميع بطارقته. قال: وحمل الأفشين ببابك إلى المعتصم فأمر به فضرب عنقه، وصلب بسر من رأى، وصلب أخوه ببغداد. وكان ظهور بابك سنة إحدى ومائتين.

وفي رواية أخرى: إن المعتصم عقد للأفشين على الجبال وحرب بابك وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادي الآخرة فعسكر بمصلى بغداد. ووجه المعتصم أبا سعيد محمد بن يوسف إلى أردبيل وأمره أن يبني الحصون التي أخربها بابك بين زنجان وأردبيل. فبعث بابك سرية فهزمها محمد بن يوسف، فكانت أول هزيمة على أصحاب بابك. ولما صار الأفشين إلى برزند عسكر بها يوم الحصون. وأنزل محمد بن يوسف بخش (١) وحفر فيه خندقا. وحمل المعتصم مع بغا الكبير مالا إلى الأفشين، فأراد بابك أن يكبسه فيأخذه، فوقعت محاربة عظيمة بين الأفشين وبابك، وانصرف بابك مخذولا وأراد أن يطول الامر على أفشين ولا يحاربه حتى تثلج تلك الجبال فيضطرب الأفشين إلى الهرب من شدة البرد. فقال بعض من في عسكر الأفشين: إني رأيت في المنام أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن أنت حاربت هذا

الرجل وجددت في أمره وإلا أمرت الجبال أن ترميك بالحجارة، فتحدث الناس في العسكر علانية، فدعا الأفشين بهذا الرجل الذي ذكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه في المنام

وقال له: الله يعلم نيتي للناس قبل هذا وما أريد بهذا الخلق، ولو أراد الله تعالى برجم الجبال لاحد لرجم الكفار وكفانا مؤنتهم. فقال رجل من الحاضرين: أيها الأمير! لا تحرمنا الشهادة إن كانت حضرت، فإنما قصدنا ثواب الله تعالى، دعنا وحدنا حتى نتقدم بإذنك، فلعل الله عز وجل أن يفتح على أيدينا، فقال الأفشين: اعزموا على بركة الله وعونه أي يوم أردتم - ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. فعبى الأفشين الجيوش، وأحدقت بالتل الذي عليه آذين (٢) صاحب جيش بابك، وجعل على كل ناحية واحدا من أصحاب الجيوش مثل أبي سعيد وجعفر الخياط

---

(١) خش بضم أوله وتشديد ثانيه، من قرى اسفرايين من أعمال نيسابور.

(٢) عن الطبري ٩ / ٤٢ وبالأصل أرزين.

وأحمد بن الخليل. فتقدم أبو سعيد في جماعة وحمل الناس حملة واحدة وكان آذين (١) قد هيأ فوق الجبل عجلا عليها صخر، فلما حمل الناس عليهم دفع العجل على الناس، فأفرج الناس له لما رأوا العجل قد خرج [من] الصخر.
فلما رأى بابك الناس قد أحدقوا به من كل جانب ولم تنفعه حيلته من العجل راسل الأفشين من حيث أن سمع كلامه أن يأخذ له أمانا من أمير المؤمنين، فوعده الأفشين بذلك، وطلب الرهائن على صدقه. والأفشين على ذلك إذ أقبلت البشارة أن أعلام المسلمين (٢) قد دخلت البذ وصعدت قصور بابك، وكان قد كمن في قصور
بابك ستمائة رجل، وهي أربعة قصور، ففتح الكمباء أبواب القصور وخرجوا رجالة يقاتلون الناس، ومر بابك خارجا على وجهه حتى دخل الوادي (٣)، وأمر الأفشين النفاطين وأصحابه أن يضربوا البلد وتلك القصور بالنار، فأحرقت كلها وهدمها وجعلها قاعا صفصفا، وقتل أصحاب بابك الذين في القصور والبذ عن آخرهم، وسبى أولاد بابك وأهله، وهرب بابك إلى ناحية إرمينية، فكتب الأفشين إلى ملوكها وبطارقتها وأمرهم أن يحفظ كل واحد ناحيته (٤) ولا يسلكها أحد إلا أخذوه حتى يعرفوه، فجاء الجواسيس إلى الأفشين فأخبروه بموضعه في الوادي وكان واديا كبيرا فيه العشب والشجر، طرفه بإرمينية وطرفه الاخر بأذربيجان ولم يمكن الخيل أن تنزل فيه، فاستخفى فيه لكثرة الشجر ومياهه وجعل الأفشين على كل طريق خيلا من أربعمائة إلى خمسمائة. فورد كتاب المعتصم مختوما بالذهب فيه أمان لبابك (٥).
فدعا الأفشين رجلا يحمل إليه ذلك، فلم يجسر أحد أن ينزل به من أولاده ولا من أصحابه، فقام رجلان منهم فقالا: اضمن لنا أنك تجري على عيالنا رزقا، فضمن لهما ذلك، وأخذا الكتاب وتوجها به، وكتب معهما ابن بابك الكبير كتابا يعلمه الخبر ويسأله أن يصير إلى الأمان فهو أسلم له. فلما قرأ بابك كتاب ابنه ضرب عنق من حمله، وعلق كتاب الأمان على صدره ولم يفضه، وقال للاخر: اذهب إلى ابني

---

(١) انظر الحاشية السابقة.
(٢) في الطبري: أعلام الفراغنة.
(٣) الذي يلي (هشتادستر)، ومما ساعده على الهرب انشغال الأفشين وجميع قواده بالحرب على أبواب القصور.
(٤) عن الطبري ٩ / ٤٥ وبالأصل: أن يحفظوا كل واحد ناحية.
(٥) انظر الطبري ٩ / ٤٦.

وقل له: لئن عشت يوما واحدا وأنت ملك كان أصلح من أن تعيش أربعين سنة عبدا.
ولم يزل بابك في تلك الغيضة حتى فني زاده (١). وكان أصحاب مسالح الأفشين كلهم يحفظون الأرض، فأصاب بابك الجوع فأشرف، فإذا هو بحراث على فدان له في بعض الأودية، فقال لغلامه: انزل إلى هذا الحراث وخذ معك دنانير، فإن كان معه خبز فخذه وأعطه! وكان للحراث شريك، فنظر إلى الرجل من بعيد فأخذ خبز شريكه، فظن أنه يأخذه غضبا، فعدا إلى المسلحة وأعلمهم أن رجلا جاءهم وعليه سيف وسلاح، فركب صاحب المسلحة وكان في جبال ابن سنباط، [ووجه إلى سهل بن سنباط بالخبر، فركب ابن سنباط -] (٢) وجماعة معه حتى صار إلى بابك، فنزل ابن سنباط فقبل الأرض بين يديه وقال: يا سيدي! إلى أين تريد؟ قال: بلاد الروم، فقال: لا تجد أحدا أعرف مني بحقك وليس بيني (٣) وبينك لسلطان عمل، ولا يدخل علي أحد وأنت عارف بقصتي (٤)، فكن عندي في حصني هذه الشتوة وبعد ترى رأيك فأنا عبدك، فركن بابك إلى كلام ابن سنباط وأقام في حصنه. فكتب ابن سنباط إلى الأفشين يعلمه أن بابك عنده عبد الله [في حصن] ابن اصطفانوس (٥) أخوه جميعا عندي في الحصين. فكتب إليه الأفشين: إن كان هذا صحيحا فلك عندي وعند أمير المؤمنين ما تريد، ووصف الأفشين صفة بابك لرجل من خاصته ووجه به إلى ابن سنباط، وكتب إليه يعلمه أنه قد وجه برجل يحب أن يرى بابك، فقال للرجل: ليس يمكن أن تراه إلا في الوقت الذي يكون فيه منكبا على طعامه للغداء، فإذا رأيتنا قد طلبنا الغداء فالبس ثياب الطباخين الذين معنا على هيئتنا فتفقد منه على ما تريد. ففعل ذلك، فرفع بابك رأسه فأنكره وقال: من هذا الرجل؟ فقال ابن سنباط: هذا رجل نصراني من أهل خراسان منقطع إلينا منذ كذا وكذا سنة، فقال بابك: لم طاب لك المقام ههنا؟ قال: تزوجت. قال: صدقت،

---

(١) وبعد نفاد زاده خرج مما يلي طريقا بعيدا عن العسكر لبعده عن الماء، وقد خرج هو وأمه وامرأة له، فلاحقهم العسكر فأفلت هو وغلام له وأخذت المرأتان. (انظر الطبري ٩ / ٤٦ - ٤٧).
(٢) زيادة عن الطبري ٩ / ٤٧.
(٣) في الطبري: ليس بيني وبين السلطان عمل.
(٤) الطبري: بقضيتي وبلدي.
(٥) عن الطبري ٩ / ٤٨ وبالأصل (اصطفاوس).

يقول المثل (١): من أين أنت؟ فيقول: من حيث امرأتي.
ثم رجع إلى الأفشين ووصف له ما رأى، فوجه الأفشين أبا سعيد وبوزباره إلى ابن سنباط وكتب معهما إليه [وأمرهما ألا يخالفا ابن سنباط فيما يشير به -] (٢) ففعلا
ذلك. فكتب ابن سنباط إليهما بالمقام في موضع ذكره لهما، وأنفذ إليهما بالميرة الكثيرة (٣). ثم إنه قال لبابك: أنت مغموم في هذا الحصن، وههنا واد طيب، فلو خرجنا إليه ومعنا باز وباشق نتفرج إلى وقت الغداء في الصيد؟ فقال بابك: إذا شئت فافعل ذلك. قال: وكتب ابن سنباط إلى أبي سعيد وبوزباره يعلمهما بذلك وبما قد عزم عليه، ويأمرهما أن يوافياه واحد من ذا الجانب والاخر من الجانب الاخر بعسكريهما، وركبا بالغداة وواعدهما إلى موضع كذا وكذا، فأنزلا وأخذا بابك فجاءة.
فلما نظر بابك إليهما وأحدقت به العساكر قالا له: انزل! قال: ومن أنتما؟ فقال أحدهما: أنا أبو سعيد، والاخر: بوزباره. فقال: نعم، فثنى رجله ونزل، ونظر إلى ابن سنباط فشتمه وقال: بعتني ليهودي بالشيء اليسير، لو أردت لأعطيتك أضعافه، فقال أبو سعيد: فاركب إذا، فحملوه إلى الأفشين وعليه دراعة بيضاء وخف قصير. فلما وقف بين يدي الأفشين حبسه مع أخيه في بيت واحد (٤). وكان وصول بابك إلى الأفشين ببرزند، وذلك لعشر خلون من شوال سنة اثنتين وعشرين ومائتين.
وكان المعتصم قد أوقف على كل رأس فرسخ من سامرا إلى معسكر الأفشين فرسا مضمرا يحمل الثوب إليه وكانت الخريطة تصل إليه في أربعة أيام أو أقل من الأفشين إلى سامرا. ولقد قالوا: لما قدم الأفشين على المعتصم ببابك تلقاه هارون بن المعتصم وأهل بيته (٥)، وأراد أن يشهره ويريه للناس. فقال: على أي شيء يحمل هذا وكيف يشهر؟ فقال بعضهم: يا أمير المؤمنين! لا شيء أشهر من

---

(١) الطبري: إذا قيل للرجل....
(٢) زيادة عن الطبري.
(٣) الطبري: بالميرة والزاد.
(٤) وكان الأفشين، بعد أخبر بمكان عبد الله أخي بابك، قد كتب إلى ابن اصطفانوس أن يوجه إليه بعبد الله، فوجه به ابن اصطفانوس إلى الأفشين (انظر الطبري ٩ / ٥١).
(٥) وقد استقبلوه عند قناطر حذيفة. ولما صار الأفشين ببابك إلى سامرا أنزله الأفشين في قصره بالمطيرة.

الفيل، قال: صدقت، وأمر بتصنع (١) الفيل كعادته، وحمل بابك عليه في قباء ديباج وقلنسوة سمور، فقال محمد بن عبد الملك الزيات في ذلك:

قد خضب الفيل كعاداته * يحمل سلطان خراسان

والفيل لا تخضب أعضاؤه * إلا الذي شأن من الشان

فلما دخل إلى المعتصم من باب العامة أمر أن يحضر سياف بابك - وكان اسمه نورنون (٢) - فحضر، فأمر أن يقطع يدي بابك ورجليه، فقطعهما فسقط، فأمر بذبحه، وشق بطنه واحتز رأسه ووجه به إلى خراسان، وصلب بدنه بسامرا عند العقبة.

وأمر المعتصم لسهل بن سنباط بألف ألف درهم وتاج البطرقة ومنطقة مغرقة بالجوهر، ولابنه معاوية بمائة ألف درهم. وكان يعطي لأفشين كل يوم يحارب فيه عشرة آلاف درهم سوى الارزاق والأموال والمعاون، وفي كل يوم لم يركب فيه خمسة

آلاف درهم. ثم إن المعتصم توج الأفشين وألبسه وشاحين بالجواهر ووصله (٣).

وكانت مدة قتاله سنتين وخمسة أشهر وأياما (٤) - والله أعلم -.

ولقد كانت مدة خلافته (٥) مثل مدة شيرويه بن كسرى قاتل أبيه، وكان عمره أربعا وعشرين سنة، وكانت وفاته بسامرا في القصر المهذب (٦)، وصلى عليه أحمد بن محمد بن [أبي] (٧) إسحاق المعتصم بالله - وهو المستعين بالله -، وكنيته أبو

---

(١) الطبري: بتهيئة الفيل.

(٢) في الطبري ٩ / ٥٣ نودنود.

(٣) وصله بعشرين ألف ألف درهم، منها عشرة آلاف ألف صلة وعشرة آلاف ألف درهم يفرقها في عسكره.

(٤) كان المعتصم قد عقد للأفشين خيذر بن كاوس على الجبال ووجه به لحرب بابك وذلك يوم الخميس لليلتين خلتا من جمادى الآخرة سنة ٢٢٠ وكان أسر بابك.... ثم إن وصوله إلى الأفشين ببرزند لعشر خلون من شوال سنة ٢٢٢ (انظر الطبري).

(٥) كذا بالأصل، والظاهر أن سقطا وقع في الأصل لان العبارة التالية تتعلق بخلافة المنتصر. وانظر مدة خلافة المعتصم في مروج الذهب ٤ / ٥٤ الطبري ١١ / ٧ اليعقوبي ٢ / ٤٧٨.

(٦) في الطبري ٩ / ٢٥٤ القصر المحدث وفيه مات المنتصر سنة ٢٤٨ وكانت مدته ستة أشهر سواء. وفي مقدار عمره أقوال: في مروج الذهب ٤ / ١٥٣: خمسا وعشرين سنة، وفي العقد الفريد والوافي بالوفيات: ستا وعشرين سنة.

(٧) زيادة اقتضاها السياق.

العباس (١)، ودفن في موضع يقال له الجوسق. وصار الامر من بعده إلى المستعين بالله، ثم خلع نفسه بعد ثلاث سنين وثمانية أشهر وعشرين يوما (٢) فهذا آخر الفتوح. والله أعلم وأحكم (٣).

---

(١) الطبري: أبو جعفر.
(٢) في مروج الذهب: كانت خلافته ثلاث سنين وثمانية أشهر، وقيل: ثلاث سنين وتسعة أشهر.
(٣) بعده في الأصل: (تم الجزء الثاني من فتوح ابن أعثم الكندي على التمام والكمال، على يد أضعف عباد الله تعالى محمد بن علي بن محمد الطنبذي غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين. وكان الفراغ من تعليقه في يوم الاثنين المبارك خامس عشر ربيع الأول سنة ثلاث وسبعين وثمانمئة. والحمد لله وحده. وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا إلى يوم الدين. وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم).